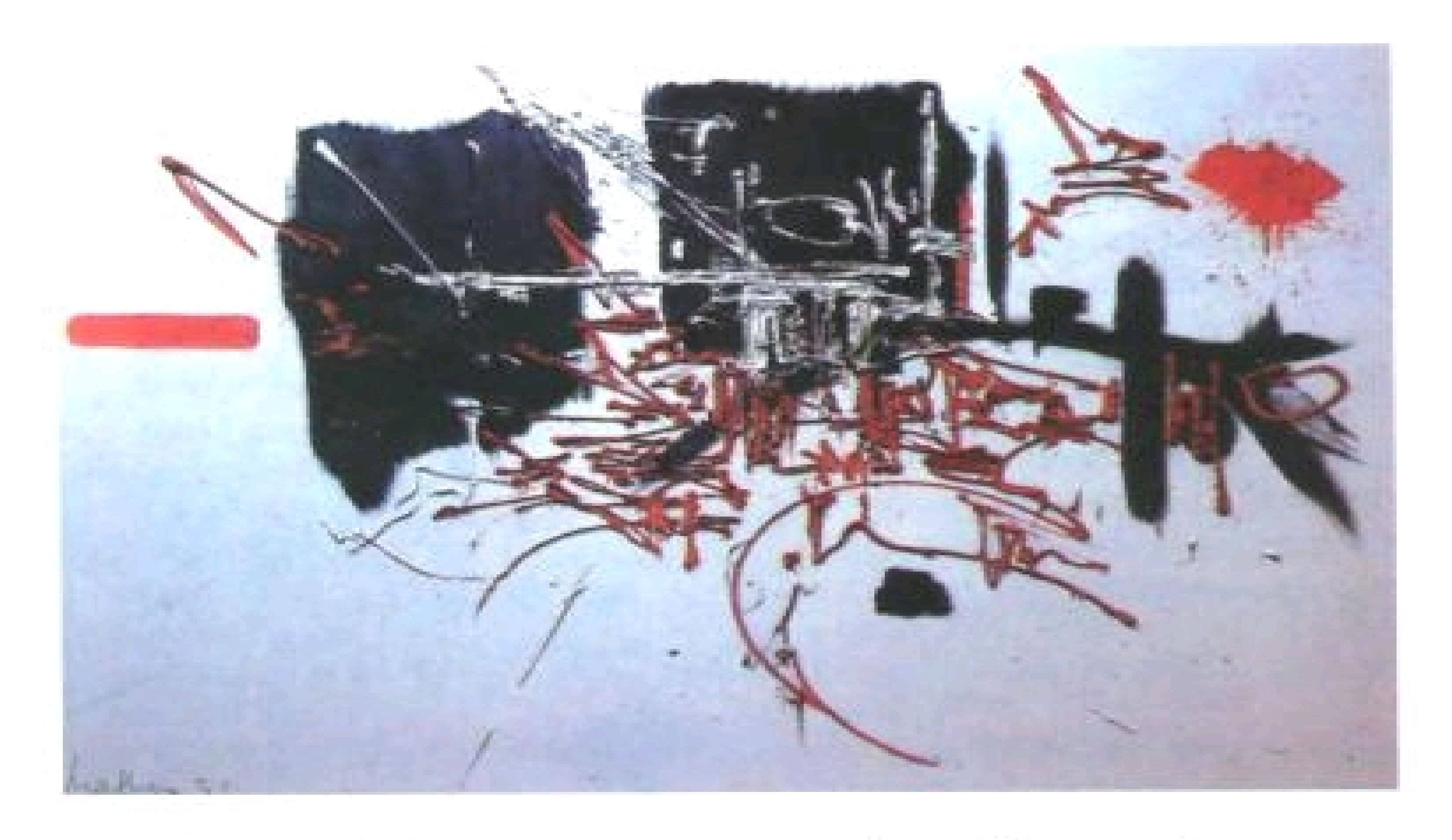
أ. مولز - ك. زيلتمان - ك. أوريكيوني

في التداولية المعاصرة والتواصل



ترجمة وتعليق د. محمد نظيف

أفريقيا الشرق

أ. مولز - ك. زيلتمان - ك. أوريكيوني

في التداولية المعاصرة والتواصل

- فصول مختارة -

ترجمة وتعليق د. محمد نظيف

أفريقيا الشرق

في التداولية المعاصرة والتواصل

- فصول مختارة -

المؤلف : **أ. مولز - ك. زيلتمان - ك. أوريكيوني**
المترجم : **د. محمد نظيف**
عنوان الكتاب : **في التداولية المعاصرة والتواصل - فصول مختارة -**
رقم الإيداع القانوني : 2013 MO 0988
ردمك : 978-9981-25-903-4
أفريقيا الشرق - المغرب
159 مكرر، شارع يعقوب المنصور - الدار البيضاء
الهاتف : 04 95 25 22 05 - 13 98 25 22 05
الفاكس: 20 29 25 22 05 - 80 00 44 22 05
مكتب التصفيف التقني :39، زنقة علي بن أبي طالب - الدار البيضاء.
الهاتف: 54 / 53 67 29 22 05
الفاكس: 72 38 48 22 05
البريد الإلكتروني : E-Mail : africorient@yahoo.fr

المقدمة

لايخفى على متتبع مسار الإبستمولوجيا اللسانية غنى المشهد اللساني المعاصر سواءاً من حيث العلوم التي انبثقت عنه تباعا منذ ظهور كتاب: «محاضرات في علم اللغة» Cours de linguistique générale de F. de. Saussure حيث توالت الدراسات المتخصصة من فونولوجيا Phonologie وتركيب Syntaxe وصرافة Morphologie ودلالة Sémantique وسيميولوجيا Sémiologie وتداولية Pragmatique وغيرها من التخصصات التي أَثْرت الإبستيمولوجيا اللسانية ومكنت من تحليل وتتبع المادة الألسنية بشكل دقيق.

ونجم عن هذا تلقائيا تواتر المؤلفات القيمة التي تفد علينا من أوروبا وأمريكا، تلك المؤلفات التي أعطت للسانيات مكانتها ضمن العلوم الإنسانية الحديثة.

ومن أجل مواكبتنا للتطور اللساني نعمد إلى ترجمة القيم من فصول مؤلفاتها حيث لا يغيب على الباحث اللساني المفيد من تلك المؤلفات فنغني بذلك رصيدنا المعرفي الألسني ونشارك قدر المستطاع في مواكبة المعرفة الألسنية المعاصرة.

في هذا الصدد يدخل هذا الكتاب الذي ترجمت بين دفتيه ثلاثة فصول لسانية رأيتها جديرة بالترجمة لما تشمل عليه من مفاهيم وتحليلات من شأنها إثراء الرصيد المعرفي في المجال الذي تتناوله.

- أول هاته الفصول عنوانه: التواصل

- La Communication. Abraham Moles et Claude Zeltma. Ed. Les dictionnaires du savoir moderne. Paris 1971.

- ثاني هاته الفصول عنوانه: إشكالية التلفظ، من كتاب التلفظ من الذاتية في اللغة . Kerbrat Orecchioni: L'Enonciation de la subjectivité dans le langage. Armand Colin. Paris 1980

- ثالث هاته الفصول عنوانه: كفايات المتكلمين وهوفصل من كتاب المضمر. Kerbrat Orecchioni: L'implicite. Les Compétences. des Sujets Parlants. Armand Colin. Paris 1986

وذيلت الكتاب بمعجم مختصر لمصطلحات الألسنيات المعاصرة هدفت من ورائه التركيز على بعض المصطلحات التي تهم البحث الألسني المعاصر.

الفصل الأول

التواصل

أبراهام مولز - كلود زيلتمان

التواصل هو إشراك شخص (أو هيأة organisme) مموضع في فترة ما في نقطة معينة — في تجارب منشطة لمحيط شخص آخر أو نسق آخر مموضع في فترة أخرى ومكان آخر عن طريق استعمال عناصر المعرفة المشتركة بينهما (تجربة عِوضية).

(يمكن تعريف التواصل حسابيا بأنه إقامة اتصال مُشَارِكٍ بين كون فضائي زماني مُرسِل أ، وكون فضائي زماني مستقبل ب).

نظرية للتواصلات

يتميز الإنسان عن الأنظمة البيولوجية الأخرى بامتداد ملكته التواصلية. يوجد عدد وافر من الطرق التواصلية: نذكر اللغة القديمة للعلامات التي استكملها الصم البكم، الشفرة مورس Code Morse (رموز من نقط وقواطع تستخدم لتوجيه الرسائل البرقية وسواها). لغة الشعارات والإشارات الهادية (للسفن والطائرات)، قانون السير، المكتوب، إلخ. سنوضح هنا أنها تشكل من الآن فصاعدا علما مستقلا يخضع لقواعد.

مجتمعنا يتحول شيئا فشيئا إلى نظام اجتماعي، إلى مجموعة من الأجزاء المتميزة التي يتحدد كل جزء منها بواسطة وظائفه أو أهدافه، التي تجتمع بالتفاعلات. هاته التفاعلات هي موضوع علم التواصلات،

وندرك أن هذا الأخير قد أصبح هاما بشكل كاف لكي تخصص له إحدى الموسوعات جزءا كاملا.

- **المحيط (البيئة) والمنبّه**

الإنسان يعيش في محيط: يخلق هو نفسه جزءا منه، الجزء الذي يسميه «ثقافة»، هذا الوسط الاصطناعي الذي ينضده على الإطار الطبيعي لل «Umwelt» كما تم تعريفه من طرف ڤون وكستيل Von Uexktill: (فيلسوف ألماني قدم دراسات هامة عن آليات الإدراك الحسي للبيئة من طرف الحيوانات ومن طرف الإنسان)، الذي يحدده باعتباره إنسانا. يتلقى من هذا المحيط منبهاتٍ وإرساليات ينفعل لها. يغير إذن سلوكاته تبعا لما تلقاه، يتصرف ويغير عند الاقتضاء هذا المحيط.

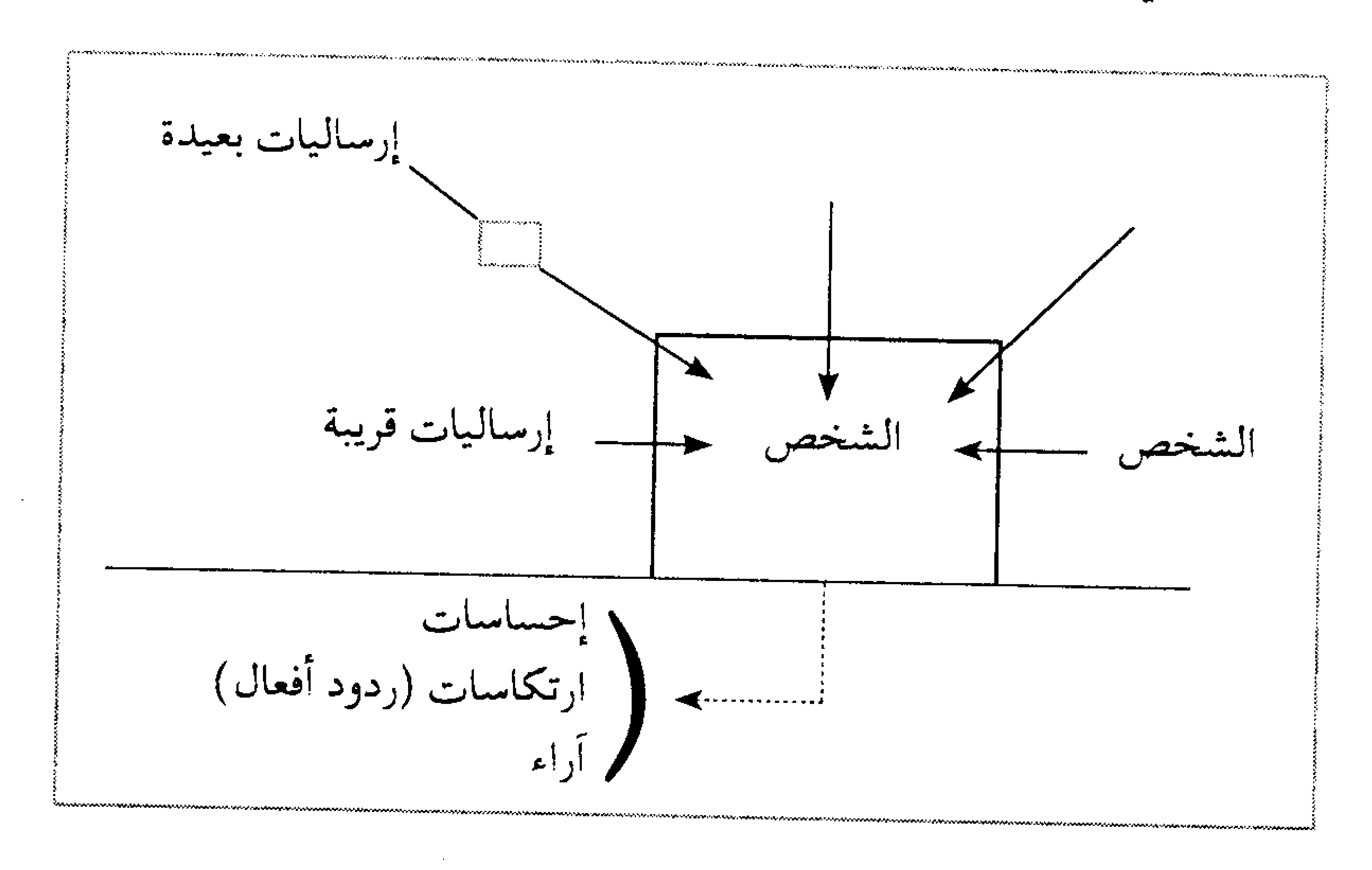
- **هذا الشخص مَرْكَزٌ مُسْتَقْبِلٌ للإرساليات**

في وسطه البيئي الخاص يتلقى الشخص إرساليات، أولا وقبل كل شيء من عالمه القريب: دائرته العائلية، على سبيل المثال الأشياء التي تحيط به؛ وبعد ذلك من عالم أبعد: عالم المحيط الاجتماعي، هذا الأخير ليس إلا جزءا من المحيط الشمولي، لكن بالنسبة للشخص الخاضع لوسائل الإعلام يصبح أساسيا - صحافة مذياع، تلفزة، ملصقات - كل الإرساليات تشارك في تأسيس الجزء الأكبر من هذا التأثيث لدماغه، الذي تصطلح عليه «ثقافة فكرية» Culture intellectuelle. إرساليات العالم القريب تنقسم إذن إلى صنفين كبيرين:

أ- منبهات طبيعية أو ظواهر مادية أصلها من أشياء العالم الطبيعي، إلخ.

ب- منبهات اجتماعية أو إشارات آتية من أناس آخرين - صور الآخر التي تمنحها اتصالا مع المجتمع. إنها عموما إرساليات بين الأفراد Messages Inter-individuels (محادثة على سبيل المثال) التي

يتبادل فيها تناوبيا مرسلون ومستقبلون دورهم: يتجاوبون وهم يؤسسون حلقة لسانية.



المحادثة التي تتقاطع بها الدائرتان الشخصيتان لكل فرد، حيث يحضر - فيها - كل فرد في شخصية الآخر، تعطينا المثال الآلف من بين أخرى. الفرد ليس وحيدا في هذا العالم: من أجل المشاركة في تجربة أفراد آخرين متموقعين في أماكن أخرى عليه أن يتصل بدوائر بيئية أخرى. من أجل المشاركة في تجربة الآخرين، ليس على الفرد أن يتحرك في الجزء الكوني ذي الأبعاد الثلاثة الخاص به فقط، لكن عليه أن يرصد الوقت الضروري ليكون في المكان الذي تقع فيه فجأة أحداث يرغب أن يشارك فيها. والحالة هاته، يستحيل على الفرد أن يشتت وقته في أماكن متعددة، لديه موازنة - زمان «Budget – temps» محدودة.

في معظم الحالات لا يمكن للمستقبل (المتلقي) أن يشارك في هاته التجربة إلا بتفويض: وهو ما نطلق عليه التجربة العوضية (النيابية) «Expérience vicariale».

- إذا أردنا أن نعرف ما يجري في بيافرا Biafra (الجزء الجنوبي الشرقي من نيجريا) أو على ورشة في بروكسيل فإن سلوكنا الأول لن يكون طلب تذكرة الطائرة، لكنه سيكون فتح الجهاز التلفزي أو استعمال الهاتف (← فك الهاتف) ونحصل على جزء كبير من المعلومات التي نرغب في معرفتها: إنها ليست مشاركة كاملة في الحدث، لكنها كافية لكي نشارك في انطباعات، في انفعالات في ارتكاسات (ردود أفعال) مراسلنا. تأتي لتضيف في دائرة المستقبل مجموع المنبهات الحاضرة لدى الشخص المرسل، الشاهد الذي ينقل لنا جزءاً، صورةً، انطباعات تلقاها (كابدها) في المكان الذي يتواجد به.

بفضل الرسائل المحصل عليها يعيش كل شخص تجربة الآخرين. والحالة هاته، لا يمكن لهاته السيرورة أن تحصل إلا إذا كان المرسل والمستقبل يملكان لغة مشتركة. بتعبير آخر، قبل أي تواصل على المرسل والمستقبل أن يتقاسما عددا من العلامات والأعراف التي نصطلح عليها فهرس «Répertoire» وسنن «Code». بشكل عام نقبل أن كل إرسالية تتشكل بطريقة ما من تجميع لعناصر بسيطة، معروفة، مركبة حسب قواعد معينة (سنن).

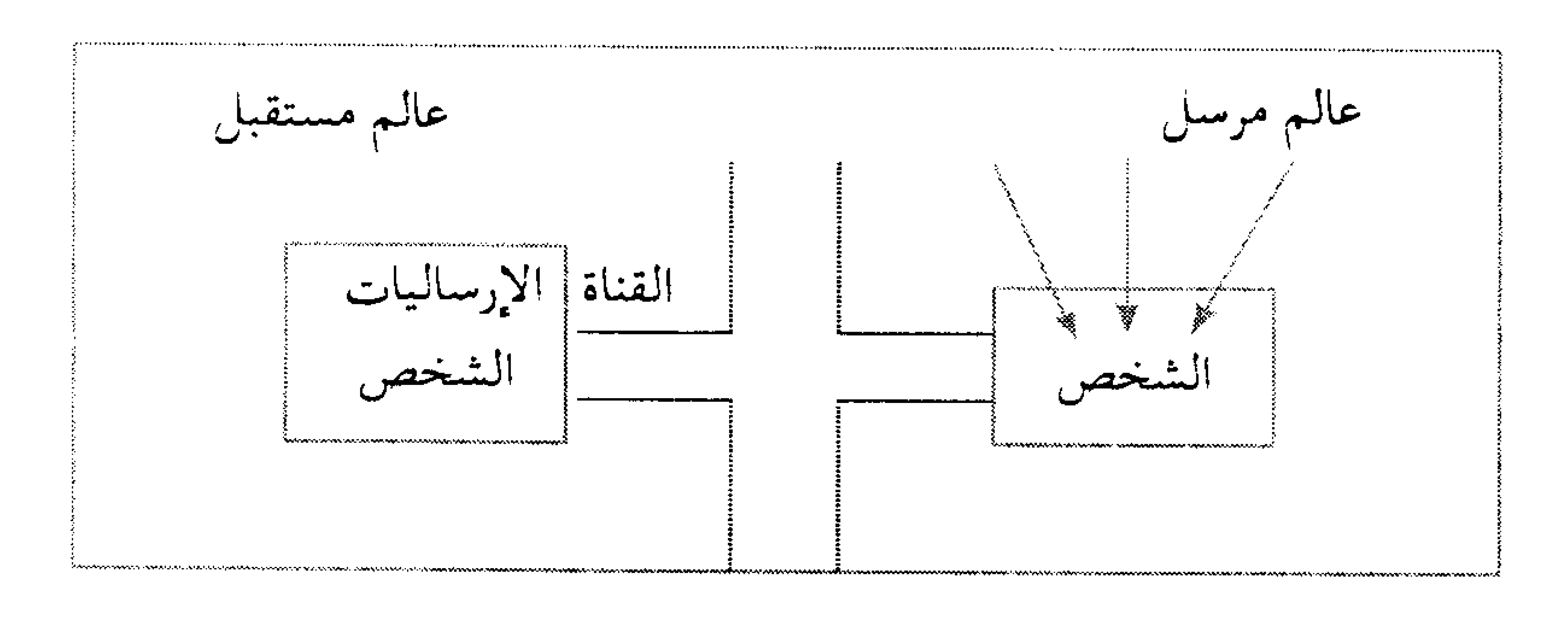
في حالة الرسائل الصادرة عن عوالم بعيدة فإن المرسل يكون منيعا يتعذر الوصول إليه تقريبا في الفضاء — الزمن. سواء تعلق الأمر بإرسالية القرون الماضية (كتابات، أو آثار فنية) أو لكيانات بعيدة تأتينا بالمذياع، الهاتف أو البريد، تعتمد على أساس تقني، على إعداد يتجاوز النزعة الحسية للمعنى. «التواصل — يقول وينر-Wiener[1]» يمدد معنى الإنسان إلى أطراف العالم».

1- N. Wiener: *Cybernétique et société*. Paris. Gallimard, 1962.

[*cybernétique*: مجموع نظريات ودراسات حول أنظمة التوجيه والتواصل .

- علم التوجيه يجد تطبيقاته في الصناعة في البيولوجيا ، في مجال الفنون . الإعلاميات هي تطبيق لعلم التوجيه ، ويتيح لإنسان أو آلة أوتوماتيكية أن يوجها وأن يبلغا هدفا معينا .]

في الواقع، في كل تواصل سواء كان قريبا أو بعيدا هناك نقل إرسالية من مرسل إلى مستقبل بواسطة قناة أي بنسق مادي (موجات صوتية هوائية على سبيل المثال).



القناة هي الميكانيزم المادي للتواصل: النص المرقون من كتاب، الموجات الصوتية في محادثة، جهاز استقبال تلفزي، إشارات عصبية في اشتغال الدماغ البشري، الروابط الكهربائية بين مختلف مراكز الحاسوب خلال الاشتغال، إلخ.... نخلط بها (أي بالقناة) تدريجيا العماد: الليفة العصبية La Fibre Nerveuse، المدار Le circuit، الهواء، وما يَنْقُلُ: الذبذبات الكهربائية، الموجات الصوتية، العلامات الطباعية المؤلفة على مستطيل أبيض.

نفصل بين صنفين من التحويل (النقل) Transmission: القنوات الطبيعية المباشرة (رجل يتكلم أو يقدم علامات لآخر) والقنوات الاصطناعية التي تستوجب نسقا تقنيا (رسالة، مواصلة مسافية

Télécommunication: أي اتصال عن بعد أو من مسافة بالراديو أو التلفزيون إلخ...، هاتف).

أنماط التواصل

يجب على محلل التواصلات أولا وقبل كل شيء أن يصف بالضبط نمط التواصل المعني بالتحليل. رأينا قبل قليل أن هناك عددا كبيرا من أشكال التواصل، التي سنرتبها وفق بعض المعايير. سنميز قبل كل شيء:

- **التواصل القريب**: «أ» - يتحدث لـ «ب» الدائرتان الشخصيتان لكل منهما في الفضاء الطبيعي تتقاطعان: إنهما في نفس المكان، لا يستعملان إلا القنوات الطبيعية المتوفرة لديهما: التكلم، السمع، اللمس، التطيب؛

- **التواصل المسافي**: يُنجز التواصل بالضرورة بواسطة قناة اصطناعية بفضل نسق تقني ينطلق من الأنبوب الهوائي الذي وضعه أجدادنا على القمر الصناعي Tel Star (قمر صناعي معمول لإنجاز التواصلات المسافية الفضائية) مرورا بالهاتف، رسالة الأعمال، إلخ.

من وجهة نظر أخرى نميز بعد ذلك:

- **التواصل الثنائي الاتجاه** La communication bidirectionnelle: الذي يتبادل فيه المرسل والمستقبل دورهما تعاقبيا في سيرورة سؤال جواب، إنها المحادثة، المحاورة؛

- **التواصلْ الأحادي الاتجاه** La communication unidirectionnelle: الذي يبقى فيه المرسل والمستقبل نفسيهما دائما، حيث لا تسير الإرساليات إلا في اتجاه واحد.

يتميز التواصل الثنائي الاتجاه في مجمله بكون الجواب ذو أهمية كمية أكبر من الإرسال ونتيجة لذلك يتطلب الإرسال والاستقبال مشاركة

متساوية تقريبا: المحاورة، المحادثة الهاتفية، تبادل الرسائل: أمثلة جيدة للتواصل الثنائي الاتجاه.

في التواصل الأحادي الاتجاه لا يوجد - على العكس من ذلك - تساوٍ بين إرساليات مرسلة وإرساليات مستقبلة. المرسل يرسل أكثر مما يستقبل: إنها حالة الأستاذ، حالة الجنرال الذي يتحدث إلى جنده، حالة رجل السياسة، حالة رئيس دولة يلقي خطابا عبر الراديو إلخ. يمكن أن يكون هذا أكثر تواضعا، في تقدير دبلجة الرسائل في مقاولة، في الصورة المستنسخة Copie Ronéotypée (النسخة المنتجة بآلة نسخ النصوص أو الرسوم بواسطة استنسل Stencils: ورق مشمع مغطى بطبقة رقيقة من الشمع تحفر عليه الكلمات ويعطي عددا من النسخ بواسطة آلة طباعة خاصة).

في النشرة الدورية la Circulaire (الرسالة المكتوبة في نسخ متعددة موجهة إلى عدد من الأشخاص مثلا الدورية الوزارية) إلخ. في الواقع هاته الحالات القصوى ليست دائما متباينة، متخصصو التواصلات يتحدثون طواعية عن نسبة من اللاتماثل أو أحادية الاتجاه، وهي القضايا التي بسطها كثيرا علم القياس الاجتماعي Sociométrie) [علم يعنى بدراسة العلاقات بين أفراد الجماعة نفسها وبين جماعات عديدة من النسب نفسه وقياس هاته العلاقات. كما يعنى هذا العلم مجموع مناهج التقويم الكمي للعلاقات بين الأشخاص في كنف الجماعات].

العلاقة إرسال - استقبال يمكن أن تحدد نمطا مجتمعيا

- في مجتمع كامل الديمقراطية ومتعذر التحقق سيكون الاستقبال بقدر الإرسال: الثرثرة في القبيلة، المحادثة في المجالس الإدارية لمجتمعاتنا المعاصرة تقدم لنا صورا من هذا النمط التواصلي بشكل أعم. في جماعة اجتماعية نحدد بواسطة العلاقة - نسبة الإرسال / نسبة

الاستقبال - مختلف الأدوار الاجتماعية. هناك أشخاص أو أنساق تقوم معظم أنشطتها على الإرسال (الخطاب الأستاذي على سبيل المثال)، وهناك أشخاص أو أنساق معظم نشاطها الاستقبال.

- هكذا يمكننا أن نحدد أنماط المجتمعات نفسها انطلاقا من متوسط علاقتها إرسال/ استقبال (مجتمع قبلي، مجتمع بروقراطي Bureaucratique مجتمع ملئي Oligarchique: حكم الأقلية تنحصر فيه السلطة ببعض الأشخاص الأقوياء أو الفئات المسيطرة على مقدرات البلاد ومصالحها، إلخ..): ميكانيزمات التواصل هاته تسجلها خطاطات التواصل سواء منها اللسانية أو المعرفية في إطار تفعيل الممارسة التواصلية.

تصنيف آخر يسجل تمييزا جوهريا في عالم التواصلات كلها: إنه التعارض بين :

أ - العلاقة بين الأشخاص للشخص س مع ص؛

ب - تواصل البث الذي يتحدث فيه مرسل واحد في الآن ذاته لعدد كبير من المستقبلين أو العكس.

التواصل بين الأشخاص وهو ما يتحقق بين المشتركين في الهاتف أو البريد: مرسل إليه ومرسل شخصان خاصان مستنزلان في مجموع مشترك، يتواصلان تارة بشكل أحادي الاتجاه (طلب بواسطة رسالة لدى ممون) وتارة بشكل ثنائي الاتجاه (محادثة)، لكنهما شخصان إسميان منضويان في عامة الناس.

تواصل البث: في هذا التواصل مرسل واحد يتحدث في آن واحد إلى عدد كبير من المستقبلين: منمق الكلام في معرض، مُزَود بحامل للصوت، يرش الحشد بكلامه، هو مثال جد تقليدي، لكن البث لا يأخذ بعده الحقيقي إلا مع وسائل الإعلام، التي فيها مرسل وحيد يبث

من خلال قنوات تقنية لملايين المستقبلين: المذياع، التلفزة مثالان جيدان لذلك.

يتفق أن معظم حالات إرساليات البث تكون أحادية الاتجاه بالنظر إلى حقيقة: القناة الإنسانية محدودة القدرة الاستقبالية.

أشخاص عدة يمكنهم الاستماع في آن واحد، وإدراك إرسالية الشخص الذي يتكلم. لكن شخصا واحدا لا يمكنه الاستماع إلى أشخاص عدة يتكلمون دفعة واحدة: الإرساليات كل واحدة منها تمد بمعنى مختلف، كل واحدة محصورة، تتراكب في وقائع غير متراتبة بالطبع، لن يكون الأمر على هذا الحال إذا حضر ذكاء شامل متعدد المداخل: مَقْسَمُ شبكة الإذاعة المتلفزة المنهكُ بنداءات المستمعين خلال الإنتاج، يقدم لنا فكرة عن ذلك. نذكر من بين أمثلة أخرى الانتباه المسهب (وهو انتباه مستدام سلس مهيأ أن يتكيف مع المناسبات بمقدار ما تتوضح؛ مثلا في المسرح انتباه الحضور يتوافق مع تجليات تدريجية «لأمين السر» الذي يحصر بحضوره المعطيات المنبثقة عن الشخصيات المتعددة) في علم النفس. في التواصل الاجتماعي الذي يهمنا بالدرجة الأولى يتعلق الأمر هنا بحالة جد محدودة وهذا مفهوم بكفاية (في التكنولوجيا على العكس من ذلك الحواسيب ذات المداخل المتعددة تعتبر تحققا ملموسا لما يمكن أن نطلق عليه على قاعدة هذا التصنيف أنظمة «البث السلبي» التي تمتص الإرساليات من مصادر مختلفة)، لا يمكننا الاستماع لكل شيء دفعة واحدة.

من طبيعة المرسلين والمستقبلين

بشكل عام التمييز بين التواصل بين الأشخاص وتواصل البث جوهري، يقسم كل ظواهر التواصل إلى قسمين كبيرين أهدافهما وتقنياتهما واستراتيجياتهما مختلفان.

يمكننا أكثر من ذلك — وهذا التصنيف ذو أهمية تطبيقية كبرى — أن نميز في أنظمة التواصل مختلف الأزواج مرسل ← مستقبل تبعا لطبيعة هذين الأخيرين. سنميز فئات مختلفة سواء بالنسبة للمرسل أو المستقبل:

- إنسان فردي كما ندرسه في علم الاجتماع القياسي Sociométrie؛
- شخص معنوي (من الناحية القانونية، مجموعات إنسانية يجمعها نفس المبرر الاجتماعي: مؤسسة تجارية أو صناعية، مؤسسة إذاعية أو مؤسسة نشر وتوزيع، إلخ...).
- آلة أو جسم صناعي (حاسوب، مبرقة كاتبة Télescripteur، آلة للكلام)؛
- حيوان، بأصنافه المختلفة التي تشكل إرسالاته واستقبالاته موضوع علم يصطلح عليه «السيميوطيقا الحيوانية «Zoosémiotique».

من حيث المبدأ، ستكون أنماط التواصل (مرسل — مستقبل) بقدر التأليفات الممكنة لهاته الأنظمة. بطبيعة الحال في اللوحة الآتية التواصل إنسان/ إنسان هو الأهم، لكن شيئا فشيئا مفهوم Interface (جهاز الإنذار المادي أو الحاسوبي الذي بفضله ينجز التبادل الإخباري بين نظامين) إنسان / آلة / إنسان يفرض نفسه بقدر تضاعف آلات تداول الأخبار وبالخصوص الحواسيب في محيطنا الاجتماعي أو المهني.

السيميوطيقا الحيوانية تهتم على الخصوص بالتواصلات بين الحيوانات من نفس النوع. لكن نتصور أنها بإمكانها دراسة التواصل بين الأنواع أيضا أو التواصل إنسان / حيوان الذي علق عليه طويلا علماء الحيوان.

- أصناف التواصل بحسب فئة المرسلين والمستقبلين.

مستقبل / مرسل	الإنسان	المقاولة	الآلة	الحيوان
الإنسان	محادثة، تواصل اجتماعي تواصل فني	علاقات إنسان، إدارة، شباك المكتب، استقصاء الرأي	جمع المعطيات، بطاقة مخرومة، أجهزة الدخول للآلة.	إشارات ترويض الحيوانات
المقاولة	تواصل تجاري توزيع الأوامر إشهار	أخبار تجارية، رسائل أعمال، رسائل إدارية، بورصة	وقت التشارك التواصل البيني للمعطيات الاقتصادية	
الآلة	الأجهزة النهائية للخروج من الآلة، أجهزة إنذارية،	آلة تقديم الأحكام في القضايا التجارية	لغة البرمجة ترجمة بين الآلة. مؤلف : جامع	أنظمة نداء الحيوانات والروامج
الحيوان	إشارات ندائية، إشارات إنذارية لغة الحيوانات الأليفة (كلب)		تسجيل المعطيات الحسية أو الدماغية في الحواسيب، مراقبة أعماق البحار بالاكتشاف بخضخضة العظم المائية	سيموطيقاحيوانية، حيوانات من نفس النوع أو من أنواع مختلفة

في الأخير، تصنيف هام بالنسبة لتقنيّ التواصلات مؤسس على مفهومي الآني والمسجل أو المرجأ: سنقابل مثلا بين الهاتف والمذياع المباشر، علاقة (من الناحية العلمية) آنية بين مرسل ومستقبل، عند التسجيل المرجأ أو نشر كتاب أو صحيفة التي تمضي فيهما مهلة بالضرورة، والتي تمكن من الحفاظ على أثر قار للإرسالية الذي تنشأ عنه نتائج في كل لحظة.

تحليل قنوات التواصل

مهمة تحليل التواصلات هي قبل كل شيء الاهتداء إلى كل هذا العالم التواصلي، سيتم لها ذلك بإعمال التصنيفات التي شرحناها آنفا.

ستصف مثلا: «تحقيقا مؤجلا (ما يذاع بعد تسجيله) في التلفزة»، باعتباره إرسالية (1)، إذاعية (2)، أحادية الاتجاه (3)، من طبيعة مرئية وصوتية (4)، يصدر عن شخص معنوي (التلفزة) (5)، مموضع في عالم بعيد، مستعمل لقناة التواصلات عن بعد (6)، منجز بين الناس (7) ومسجل.

ستصف على النحو ذاته دوران الناموس بإشارات المتحدث — الكبير في الغابة باعتباره إرسالية (1) بَثِّية (2) أحادية الاتجاه (3) صوتية (4)، مموضعة في عالم قريب. يمكننا أن نبني سننا تصنيفيا لكل هذا المجموع انطلاقا من معايير ثنائية للتصنيف المقترح.

لكي توصف الإرسالية يجب أن تدمج في نسق برمته:

عالم التوجيه Cybernéticien مشيد النُّظْمات Organismes يبحث على فك مدارات تحويل الإرساليات وتثمين كم تُغيرُ حالة النسق في كل نقطة، ثم إخضاعها إلى قياس بتقدير كمية الأخبار التي تواكب. سيرتب الإرساليات بحسب نمط القناة المادية المستعملة: أصوات، رؤية، إلخ... هكذا الإرسالية المرئية تفكك إلى:

- أنساق رموز أساسية، مجموعة خطيا ويتم استكشافها الواحدة بعد الأخرى: إن قراءة النص هي التي تقتفي السطور الواحد بإزاء الأخر (استكشاف الرؤية)، سنصطلح على هاته السيرورات بسبب هذا: «النسق التسلسلي»؛

- أنساق إيقونية: التي تقدم صورة Image مدركة كليا وفي الحال [مجموع مبنين Gestalt: (في علم النفس: مجموع مبنين تتوقف فيه الأجزاء، السيرورات الجزئية على الكل)].

كذلك الإرسالية الصوتية تشمل على:

- السيرورة التسلسلية للخطاب المنطوق المؤسس على رموز سمعية: الأدوات الصوتية لعلم الأصوات.
- الأنساق السمعية التي تنتج صورة للجريان الصوتي لحدث ما.
- الموسيقى تُقدَّم فيه باعتبارها حالة خاصة للتواصل غير التصويري Non-figurative حيث عناصره «مجردة» بالنسبة إلى عالم الأصوات الواقعية، دون علاقة مباشرة معه، إلا استثناءا (الموسيقى الملموسة La musique concrète) [اللوحة الموالية تقدم تصنيفا لهاته الأنماط من الإرساليات التي تعتبر مواضيع تمهيدية لتحديد طبيعة الإرسالية].

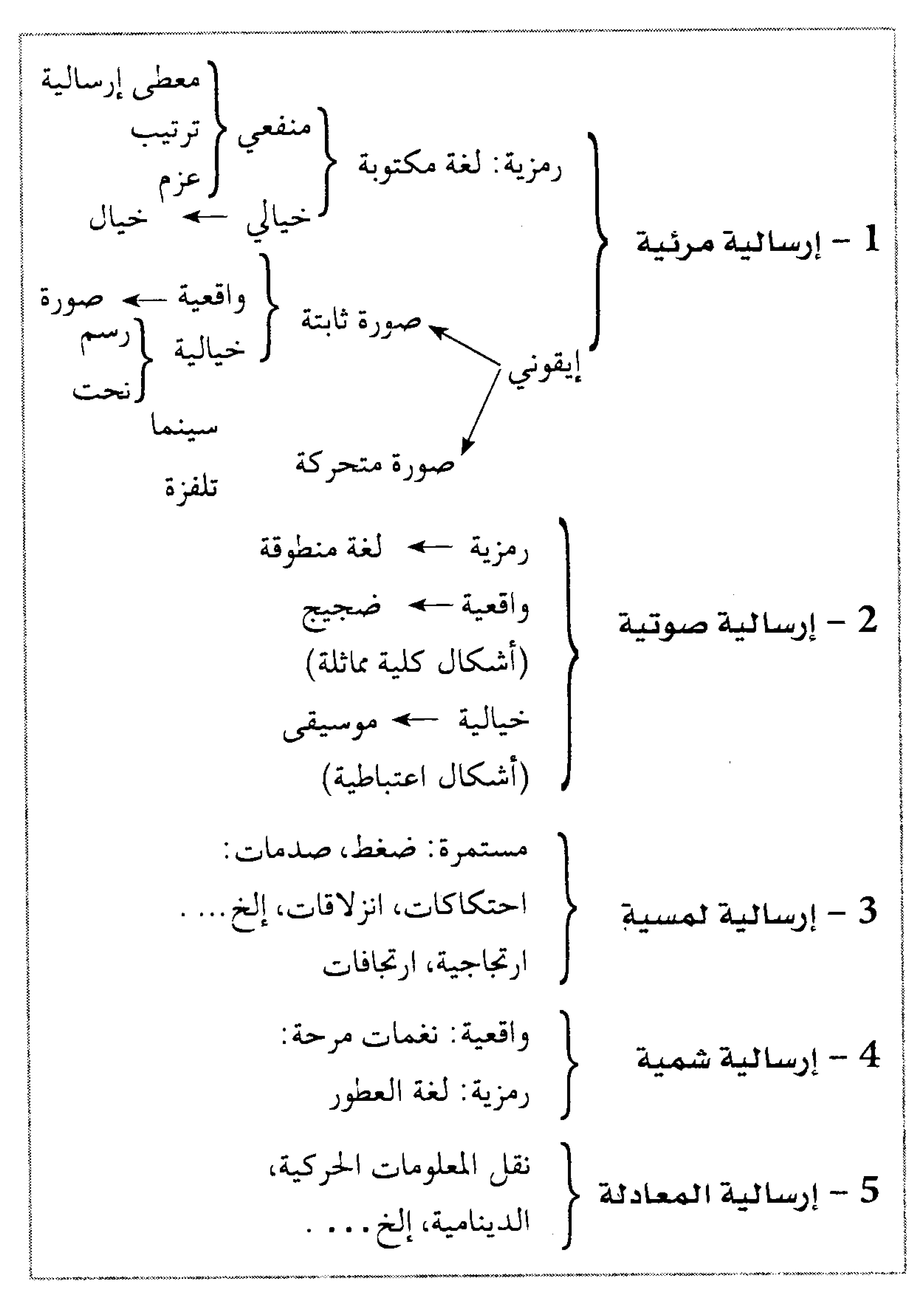
في الواقع سندرك عما قريب أن هذا التصنيف واف بالمرام ومتكلف شيئا ما. بالنسبة لكل إرسالية هناك جانبان يهيمن أحدهما على الآخر: الجانب الدلالي موضح بالنسبة للمستقبل (ما نقول) والجانب الجمالي بديهي في الموسيقى (كيف نعبر).

تطور ثقافات التواصل

في التواصل البيني الإنساني Communication Interhumaine القنوات الأساسية هي الرؤية والسمع. بداية الحضارة توافقت مع انتشار حضارة شفوية، الرسم لم يظهر إلا فيما بعد ثم شيئا فشيئا فرضت الكتابة نفسها باعتبارها نسقا تواصليا مرئيا، ثم الكتابة التصويرية، وأخيرا الرمزية الخالصة: إنها الألفباء. بقيت مدة طويلة بينية قوية في المخطوط حيث

العلاقة م ستقبل / مرسل كانت عديمة الأهمية (نادرا ما يقرأ المخطوط إلا من طرف قلة من المستقبلين).

تصنيف الإرساليات الأساسية



فقط مع ثورة كتنبرغ [«Johannes Gutenberg» Gutenberg ازداد بماينس Mayence بألمانيا بين 1394 و1399 وتوفي 1468م: مطبعي ألماني طور الطباعة بضبط حروف طباعية معدنية متحركة. وعمل على طبع صفحات متحركة وهو ما يميز بداية الصحف : McLuhan[2]

عالم اجتماع كندي: صاحب مجرة كتنبرغ (1962). الكتاب الذي أعلن فيه عصر الوسائل السمعية البصرية الإلكترونية التي أتت بعد «حضارة الكتاب»].

أصبحت الكتابة نظاما للنشر إذ من حيث المبدأ: المكتوب المطبوع يتوجه إلى عدد كبير من المتلقين بتوجيه لكل واحد منهم نسخة عبر الفضاء وعبر الزمن.

مرت الإرسالية المرئية إلى مستوى النشر مع الحفر، الرَّوْسَم، الملصق، زخرفة وحبكة الصورة، جاورت مدة طويلة أنساقا مختلفة؛ تستوجب مدة للاستيفاء إذ تتوجب بعض الساعات لإنجاز صحيفة، وبعض الأسابيع لطبع ملصق.

إن التلفزة هي التي أعطتها الآنية المبدئية. إننا نعيش حضارة مرئية أو مكتوبة، لكننا يمكن أن نفكر مع التسجيل الصوتي والمغنطيسي (لتسجيل صورة التلفزيون) في انبثاق حضارة شفاهية، حرفية رمزية أو بيانية تخطيطية.

في الواقع، إحدى الخصائص الكبرى للأنظمة التقنية التواصلية تتمثل في الاختلاف بين الإرسالية العابرة Message Fugace (الكلام الطائر) والإرسالية المسجلة (المخطوطة الثابتة) التي تخص الكتابة الشخصية، وتخص الأسطوانة التي تتيح وقتا طويلا للاستماع، المبثوثة

2- Herbert Marshall McLuhan: McLuhan 1911-1980.

إلى عشرات الآلاف من المتلقين وتخص الفلم المحتفظ به في المكتبة الفلمية Cinémathèque، والكتاب المحتفظ به في الخزانة، وتخص الوثيقة سهلة المنال للجميع،إلخ... تتشكل الذاكرة الاجتماعية من هاته الوثائق، من هاته المحافظة عبر الزمن سواء للإرسالية الشخصية (علبة الرسائل في المقاولة) أو للمحفوظات الثقافية: الرجوع إلى مورينو:[3] (أسس القياس الاجتماعي).

- عالم التواصل: في المجتمع المعاصر لم يعد يوجد فعل لا يجد صلته بتواصل أيا كان: كل فعل إنجازه هو نتاج لأمر إما وحيد أو متغير أو متكرر أو أكثر من ذلك مرفوق على الإطلاق. كل نقل بضاعة يكون مرفوقا بطلبية، بكشف، بفاتورة وبتنقل متلازم مع علامات مالية؛ كل إجراء إداري، كل علاقة إشهارية، كل شكل إخباري عن طريق الصحافة أو التلفزة بشكل أعم كل الحياة الاجتماعية تستند إلى التواصل. عدد من «المقاولات الاجتماعية» (المقصود بها كل أنظمة أشخاص أو كيانات تباشر عملا اتجاه العالم الخارجي، أي يجب أن نفهم منها إضافة للمقاولة الصناعية، الإدارة، الجامعة، الكنيسة، الشرطة إلخ..) أي سلعة مادية من أي نوع، إنها تحيى كليا في عالم العلامة: لنفكر في دار النشر، في شبكة إذاعية، في الجامعة.

*علم التوجيه والتحكم الأوتوماتي *Cybernétique*، علم الهيئات *Les organismes*، يطابق علم الإرساليات.

---

3 – جاكوب مورينو Jacob Morino عاش بين 1892 – 1974 عالم النفس الاجتماعي الأمريكي من أصول رومانية درس بنيات الجماعة. له عدة كتب: من أهمها: «Fondements de la Sociométrie 1934 »

هنا، دراسة بنيات الفعل في المقاولة مرتبط بدراسة بنيات جريان العلامات (تدفق الأخبار). في آخر المطاف، تبدو الشركة برمتها على شكل نظام من التواصل ينقسم هو نفسه إلى صنفين:

- التواصل الذي ينتج داخل النسق ويساهم في تكوين وعي جماعي: معرفة جماعية «savoir ensemble». يفيد (أي التواصل) في بناء القرارات الصغيرة أو الكبيرة للنسق المحصور في حدود متخيلة. يتدخل علم التوجيه والتحكم الأوتوماتي أيضا في دراسة ردود أفعال الهيئة اتجاه الإرساليات الوافدة.
- التواصل الخارجي المبعوث من طرف النسق إلى خارج ذاته والذي يمكن أن يحقق بواسطة الإرساليات الشخصية (مثلا رسالة المدير التجاري إلى زبون) أو إرساليات النشر (إشهار عن طريق الصحافة أو الإذاعة، خطاب سياسي، عرض في رواق فني، إلخ...). علم التوجيه والتحكم الأوتوماتيكي هو إذا الجناح الثاني لعلم التواصل، بالنظر إلى أنه يعتزم معرفة الإرساليات التي تدور داخل الأنساق من جهة والإرساليات المبثوثة تبعا للإرساليات التي تلقاها النسق.

نظرية الإخبار

هكذا إذن، تقدم نظرية التواصل نسقا اصطلاحيا يمكّن من تصنيف تنوع الظواهر التي تعود إليها.

تأسست نظرية التواصل هاته في اللحظة التي اتخذ فيها موقف جديد يميز بين المتضمن والمضمون بين العمق والشكل، أو لأسباب تقنية بذلت مجهودات لتحليل الإرساليات بفاعلية أكبر وكلفة أقل مع رفض الاهتمام بمضمونها رفضا منهجيا. في الواقع ما يهم مهندس الهواتف ليس معرفة ما تقول لكن المدة الزمنية التي شغلتم فيها

الخط، هل تتحدثون من قريب أو من بعيد، هل صوتكم خفيف أو حاد، قوي أو ضعيف، بإيجاز سيهتم بكل الخصائص المورفولوجية للإشارة / إرسالية وبها فقط . إن هذا الموقف لوضع المعنى بين قوسين هو ما برز نافعا وتم الإقرار به والتركيز عليه في نظرية عامة للإخبار التي لمح إليها إنشتاين Einstein، نيكست Nyquist وهارتلي Hartley؛ وتحققت بأعمال كل من وينر Wiener وشانون Shannon.

- ألبير إنشتاين[4] : عالم الفيزياء والرياضيات الألماني الذي منح الجنسية السويسرية سنة 1900 ثم الجنسية الأمريكية 1940. الرمز الكبير للعالم المعاصر. أسس نظرية عامة للكون هي النسبية *la relativité* التي فرضت نفسها لتفسير ظواهر متعددة تعود للسلّم الذري أو الفلكي: النسبية المحدودة *Relativité restreinte:1905*، النسبية المعممة *relativité* généralisée:1916. دراسات إنشتاين تشكل أساس الميكانيكا الكمية والإحصائية = *Mécanique quantique et statistique* سنة 1949 اشتغل على نظرية توحيدية للحقول: تركيب الجاذبية *Gravitation* والكهرومغنطسية *Éléctromagnétisme* (سنة 1921 حصل على جائزة نوبل للفيزياء).

-بعض العوامل المؤثرة في الخطاب التلغرافي:

- H. Nyquist: Certain factors affecting telegraph speed (Bell system tech. J. 1924).

- التلغراف :وسيلة أو نظام لنقل الرسائل برقيا.
- هارتلي : *R. W. Hartley* مزداد سنة 1888. مهندس أمريكي مختص في القضايا التقنية الإشعاعية

4- A. Einstein: [1879... 1955](مفاهيم علمية، أخلاقية واجتماعية) *Conceptions scientifiques, morales et sociales*. Paris, Flammarion 1952.

Radiotechniques، يرجع له الفضل بالخصوص في وضع قانون حول نقل الخبر وقياس هذا الأخير.
• عالم الرياضيات الأمريكي، - *Shannon (Claude Elwood né en 1916)* : أحد مؤسسي نظرية الإخبار *Théorie de l'information*.

الوضع الأساسي للتواصل:

تنطبق هاته النظرية على كل حالات التواصل التي تم وضعها آنفا إذ ترتكز على معاينة وضع أساسي منبثق على تحليلنا للتجربة العوضية Expérience Vicariale، وتختزل كل الحالات الأخرى إلى هاته الحالة بفضل سلسلة من الملاحظات.

وتحقق خطاطة موحدة مضبوطة سنصطلح عليها وضعية قانونية مناسبة «Situation» تلك الوضعية التي وصفها وصفا دقيقا كل من شانون وماير إبلر Meyer-Eppler[5].

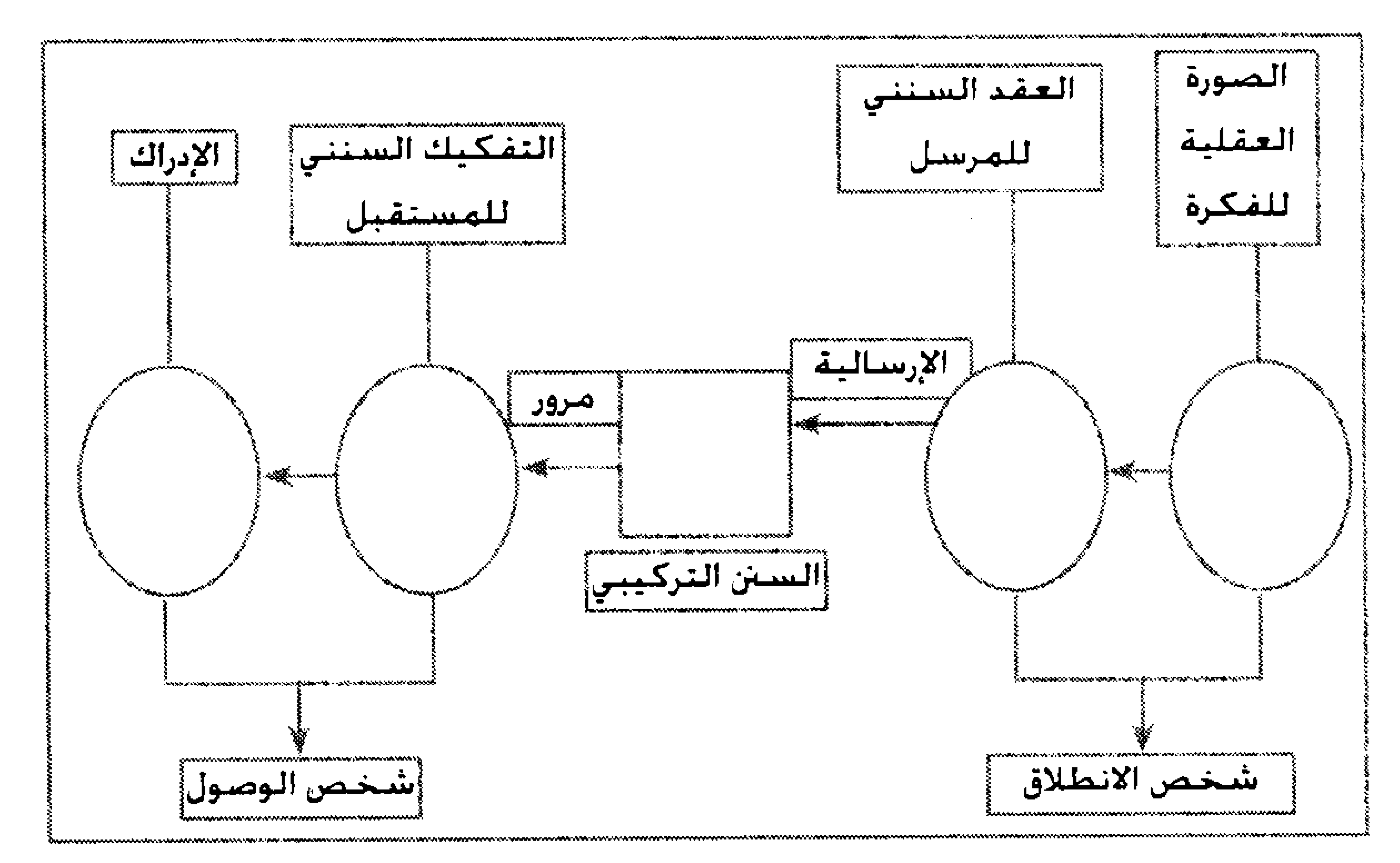
كل الوضعيات الحقيقية تعود لمجموعة من الخطاطات المماثلة الأساسية، الكل يشكل شبكات للتواصل مدروسة في علم القياس الاجتماعي Sociométrie.

[**علم القياس الاجتماعي** : علم دراسة العلاقات بين أفراد الجماعة نفسها وبين جماعات عديدة من النسب نفسه وقياس هذه العلاقات].
[وله تعريف آخر عن الموسوعة الفرنسية *Hachette*: مجموع مناهج التقييم الكمي للعلاقات بين الأشخاص في كنف المجموعات].

5 - W. Meyer-Eppler : عالم ألماني: جاءت مساهمته في نظرية الإخبار في كتابه باللغة الألمانية: - *Anwendungen der Kommunikations* – Forschung auf» *Lautsprchliche und Typographische Problem*». In Sprach forum n°1, 1955.

يمكن توضيح هاته الصورة القانونية المناسبة للتواصل على الشكل الآتي تتضمن في كل الحالات:

- مرسلا: هذا الأخير يمكن أن يكون كائنا واحدا أو جماعة كيانات، إدارة، إلخ.... («destinateur» عند جاكوبسون بدل Emetteur).
- قناة فيزيائية محددة أو قابلة للتحديد - تجري فيها الإرساليات، سلسلات مرتبة من العناصر المعروفة.



- مستقبلا: الذي بخضوعه لهاته الإرساليات سيلاحظ لديه سلوك معين ناجم عن التجربة النيابية (العِوضية) التي يشارك بها (مرسل إليه Destinataire عند جاكوبسون).
- مجموعة من العلامات أو العناصر المشتركة التي يستمد منها المرسل إرسالية بتجميعها (تكوين الإرسالية)، بحسب بعض العلامات (السنن Code) حيث سيبحث فيها المستقبل لتحديد طبيعة العناصر التي تم استقبالها (حل السنن Décodage).

في الأغلب ليس للمرسل والمستقبل إلا جزءا من تلقيهما المشترك الحقيقي، وهو الوحيد الذي يفيد في التواصل الفعلي.

نظرية الإخبار تهتم بشكل الإرسالية وليس بمضمونها: في كل دراسة للتواصل نبحث قبل كل شيء في كشف من هم المرسلون والمستقبلون، ماهي طبيعة القناة، طبيعة مجموعة العلامات. إنها بداية تحليل بنيوي. في الواقع نحلل في الغالب اتصالا مجملا إلى سلسلة من الاتصالات البسيطة المستجيبة لهاته الخطاطة القانونية المناسبة، حيث لا يتعلق الأمر في شأن تلك الاتصالات المتتالية: إلا بفهرس بسيط جد محدد. البريد مثال جيد لمجموعة من التواصلات المتتالية: السيد يملي حروفا للكاتبة يعمل على بعثها إلى موزعي الرسائل حيث توزع على المرسلين إليهم الذين يجيبون، إلخ...

التبادلات القياسية الاجتماعية (الرائزة) Sociométriques تستعمل سيرورات مجاورة لكنها تشكل شبكات أنسجة Réseau-maillé مثلما هي الشبكات الثقافية. أحد أدوار علم التوجيه والتحكم الأوتوماتيكي - أو علم الهيئات Science des Organismes هو توضيح بنية الشبكات أو الهيئات التي تدور فيها الإرساليات للتمكن من تطبيق النظرية المترية (القياسية) للإخبار التي سندقق النظر فيها. هكذا ترجع الرسالة - على الأقل مرحليا - إلى وعائها فتأخذ مظهرا جد مادي، ولم يبق إلا قليل من الاختلاف الجوهري في التفكير المنطقي الذي نمارسه في الهيئات التي تدور فيها الإرساليات والهيئات التي تدور فيها المنتجات المادية أو الأحجام الكبيرة الطبيعة. نعرف دائما أن هناك توازيا تاريخيا بين مدارات التبادلات التجارية ومدارات التبادلات الثقافية.

الإرسالية Le message:

الإرسالية العمادُ المادي أو النفسي - المادي للتحويل تمثُلُ على شكل متوالية من العناصر مستمدة من الفهرس من العلامات من طرف المرسل الذي يجمعها بحسب بعض القوانين المرتبطة بالإرسالية المحولة

إلى المستقبل. لا يقوم التواصل إلا حينما تكون هاته العناصر - أو أكثر من ذلك هاته الذرات المعرفية - مشتركة لدى الزوج مرسل - مستقبل. المستقبل يستقبل مجموع العلامات المكوّنة للإرسالية، يطابقها مع العلامات المخزنة في فهرسه الخاص، ثم يدرك أكثر من هذا التجميع صورا ودلالات يضيفها عند الاقتضاء إلى رصيده المعرفي.

مصطلح الشكل «Forme» ستؤول هنا باعتبارها «رسالة العالم الخارجي التي تبدو للمستقبل على أنها ليست نتيجة محض الصدفة»:

إذا سحب قرد عن طريق الصدفة حروفا ألفبائية موضوعة داخل قبعة، ستحصل بالتأكيد في ظرف معين من الزمن إرسالية: تجميع عناصر غير مفهومة، لكن لا وجود للشكل بحصر المعنى. سنتعرف على تدخل العقل، على القصدية، في الحالة التي انطلاقا من حروف ألفبائية تتركب الكلمات أي أشكال أولية ملقاة على هذا التجميع، تتشكل جمل بواسطة النمو المعرفي، إلخ... مشهد طبيعي سيكون قبل كل شيء بالنسبة للطفل عماء، «كائن منفرد». الإنسان المزود باللغة يمسك منه شكلا (صورة) Forme أفقيا أو عموديا، الفيزيائي يمسك منه استمراريات (اتصالات) الطبيعة، الجيولوجي (الاختصاصي بعلم طبقات الأرض) يمسك منه بنية Une structure (= تنظيم، ترتيب، تنسيق عناصر مختلفة لكل ملموس أو مجرد = بنية هيئة، بنية نبتة، بنية التضاريس الأرضية، بنية الذرة).

[البنية في الاصطلاح الفلسفي هي نسق (أو نظام) système، مجموعة متضامنة (أو مترابطة) ensemble solidaire حيث عناصرها متآلفة بعلاقة تعلقية Dépendance].

الفنان التشكيلي يتطلع أن يمسك منه «أشكال الألوان». نرى هنا ظهور كل الأشكال (الصور) المتتالية تبعا لتنوع الفهارس نفسها.

نعرف في الحقيقة أن إحدى الخاصيات الأساسية للأشكال (الصور) هي وضع نوع من التراتبية ذات البعد المباشر بين عناصرها.

مفهوم ذرة التواصل هذا غير القابل للقسمة عرف انتشارا واسعا من طرف البنيويين (مناصري البنيوية: نظرية ومنهج في التحليل يهدف إلى اعتبار مجموعة من الوقائع بنية). الملاحظ سيبحث قبل كل شيء ليس عن الوحدات الملائمة - كلمات اللغة - فقط، لكن سيقوم بالإضافة إلى ذلك بتقسيم - في اتصالية سرد معين - عناصر الفعل Eléments d'action أو التواصل: الصمونيتم (أي عنصر الكلمة الحامل للمضمون الدلالي). البراكسيمات Praxèmes (الألفاظالتي تتيح حصول نتائج عملية في الواقع). الجيستيمات Gestèmes (الحركات الإيمائية التي تحمل دلالة موازية - لسانية Paralinguistique، ممتزجات Mélèmes (ألفاظ تمتزج فيها مكونات مختلفة).

- القيمة المستحدثة في التجربة النيابية (العوضية)

من أجل أن نقف على قوة مفهوم الإخبار، لنتساءل عن القيمة التي يمكن أن تحظى بها إرسالية بالنسبة لمستقبل. رأينا انطلاقا من فعل التواصل المستقبل يشارك بطريق التفويض في «التجارب» أي في المنبهات Stimuli، في عناصر محيط المرسل. لا يمكن للمتلقي أن يغير سلوكه البعدي إلا بالنظر إلى أن يكون ما يتلقاه من جهة أخرى أو من شخص آخر مخالفا لما عرفه من قبل وليس تكرارا خالصا للعناصر التي يتوفر عليها، العالم المحيط لا يقدم له شيئا. بعبارة أخرى الإرسالية تفيد في المواكبة من جديد وهو ما يقدر الجسامة المصطلح عليها إخبار Information.

بواسطة قنوات التواصل ينجز إذا تبادل الإرساليات التي هي متواليات من الإشارات المعروفة من قبل. بالنظر إلى أن القيمة الخبرية

للإرسالية بالنسبة للمتلقي متضمنة في جدتها في درجة عدم توقعها، إذا كانت الإشارات معروفة لديه من قبل إذن لا يمكن أن تكمن هاته الجدة إلا في تجميع العلامات؛ الإرسالية هي تأليف مبتكر إلى حد ما لعناصر معروفة في البدء.

- ليس الخبر شيئا آخر غير قياس جدة الإرسالية:

تصور الخبر يثير مفهوم القياس: يستند (أي الخبر) إلى إدراك إحصائي لعناصر الفهرس (فهرس العلامات) و- حينما تعرف الاحتمالات - يكون من الممكن الحساب الحقيقي للكمية الخبرية للرسالة (أو تعقد البنية المشكلة من هاته الأخيرة)، إذن تعقد الأشكال التي تكوّنها.

ليس الخبر شيئا آخر غير القياس. الخبر ليس هو الشيء، مثلما أن مجموع الأضلاع المسجلة على تصميم المنزل من طرف المهندس ليست هي المنزل.

اعتاد الجمهور أن يخلط مصطلح الخبر «information» مع ما جرى تسميته بالمعلومات «Les informations». الخبر كما هو وارد هنا هو حجم حسابي، قياس كمي للإحالة بالنسبة للمتلقي. «المعلومات» هي الإرساليات التي تتضمن كمية من المعلومات حول بعض المواضيع بالنسبة للمستمعين الذين يستقبلونها. ويجب أن نسجل بهذا الصدد المعنى المغلوط الذي يمكن أن ينجم عن هذا المصطلح «خبر» الذي نال نجاحا كبيرا، حقيقة في معظم الأحيان هو مرادف لتعقد الإرسالية.

- قياس التواصل:

برهن ليبنيز Leibniz في تحليل مشهور أن كل نمط من الإرساليات مهما كان امتداد معجمه أو فهرسه يمكن أن يرد بطريقة ما إلى سلسلة من الأسئلة بواسطة «نعم» أو بواسطة «لا» يعبر عنهما بواسطة سلسلة من 0 إلى 1.

إنه الترقيم المزدوج بل النسق المزدوج هو القابل للتطبيق على كل الرسائل الممكن تصورها. بكلمات أخرى نتمتع مع هذا التعاقب بذرة «Atome» تواصلية: «واحد يكفي لجذب العالم من اللاشيء»، يقول ليبنيز [المنهج الجديد لتحديد الدرجات العليا والدنيا 1864.

- [Nouvelle méthode pour la détermination des maxima et des minima].

ها هو مثال عن ذلك: توجد لعبة هاتفية لا سلكية نطلب فيها من شخص ما أن يكشف شيئا معبر عنه بكلمة بوضعنا عشرين سؤالا في المجموع يجيب عنها مقدم البرنامج بنعم أو بلا.

هنا الفهرس معروف، إنه فهرس منجد صغير (2500 كلمة: رقم يغطي على وجه التقريب نكرات Noms communs معجم ما نحو Le Petit Larousse)، لكن قبليا لا يعرف الشخص ما يختار منها: بالنسبة له كلها قريبة من المعقول. لكن لنفترض أنه يطلب قبل كل شيء: هل موقع اللفظ (مهما كان) في النصف الأول من المعجم (أم لا)؟ ونجيبه «نعم»، ويسأل إذن هل موقع اللفظ في الربع الأول؟ (نعم — لا): وإلا يعني أنه في الثاني.

سؤاله الثالث سيكون: «موقع اللفظ هل هو بين هاته الكلمة (البداية 1/8) أو هاته الكلمة (في النهاية =، أم لا؟ «إلخ... ندرك بسرعة أن الالتباس يتضاءل بخصوص طبيعة الكلمة:

1 / 2 . 1/4 . 1/8 . 1/61 . 1/23 . 1/46 . 1/ 128

1/652 . 1/215 . 1/4201 . 1/8402 . 1/0004

1/0008 . 1/00061 . 1/00023

2^{-1}، 2^{-2}، 2^{-3}، 2^{-4}، 2^{-5}، 2^{-6}، 2^{-7}، 2^{-8}

2^{-9}، 2^{-10}، 2^{-11}، 2^{-12}، 2^{-13}، 2^{-14}، 2^{-15}

بعد 15 سؤالا (لأن $2^{15} = 32000$ وليس هناك إلا 2500 كلمة في المعجم) لن يكون له إلا اختيارا واحدا ممكنا: لقد وجد اللفظ.

- كل فهرس متعدد للعلامات يمكن أن يرد إلى فهرس ثنائي:

نقول أن تحويل الإرسالية منذ طارح المشكل (مبدع اللعبة) إلى المتلقي، في هاته الحالة البسيطة حيث لا يعرف المتلقي شيئا عن الإرسالية، يمثل سلسلة اختيارية من 15 سؤالا ثنائيا، أي أن المعلومة المتضمنة في اكتشاف اللفظ الفرنسي إذا كنا لا نعرف أي شيء آخر قبليا بشأنه هي من 15 ثنائيا bits (ثنائي تحت العشرة binary digits).

التخفيض الذي يمكن إنجازه بين فهرس علامات متعددة وفهرس ثنائي له أهمية كبيرة لأنه يحمل من هنا قياس التواصل نفسه انطلاقا من عدد التعاقبات المتتالية التي يمكننا أن نعيد بها بناء نفس الإرسالية. هذا القياس هو ما نصطلح عليه خبرا، والذي نقيسه بشكل أوضح حسب عدد التعاقبات التي يجب حلها، هاته الكمية هي العدد الأدنى من العناصر الضرورية لتقديم جديد معين للمتلقي انطلاقا من العناصر المنجزة من طرف المرسل. كل العناصر الأخرى التي تتضمنها الإرسالية هي «زيادة» بالمعنى الحصري للمساهمة الجديدة، تمثل غير الضروري، لا تحمل أي شيء مبتكر. في الواقع، في الإرساليات الحقيقية نقول فيها دائما أكثر من الضروري قوله بدقة. هاته العناصر المضافة المنقولة تفيد تحويل التلقي الخام لمتوالية العلامات بتفكيك السنن Décodage إلى إدراك (وتحصيل) مجموعة من العلامات أي إلى صور (وأشكال) تدمج في فكر المتلقي العناصر المحتملة لتكوين قرار حول تفاعل معين.

تتعقد خطاطة التواصل بين الناس على النحو الآتي: من جهة: المرسل بصفته مشاركا في وضعية معينة ينجز تمثلا (تفكرا، تَكَوُّنُ

فكرة)، أن يُكوِّن سلسلة من المراجع للمقام: يُسنِّن هاته المراجع بتكوين الإرسالية؛ ومن جهة أخرى يمر المستقبل من مطابقة سلسلة عناصر الإرسالية إلى تثمين شامل أو إدراك. لنركز تفكيرنا أولا وقبل كل شيء على ما هو متبادل بين المرسل والمستقبل.

* لكي يكون الثمن أقل، يجب أن لا تتضمن الإرسالية إلا العلامات غير المتوقعة...

المبدأ الذي قاد إلى العمل الأساسي لشانون Shannon من أجل قياس التواصل هو الأقل كلفة: يجب أن تكون الإرسالية أكثر اقتصادا ممكنا. إنجاز الإرساليات بتجميع العلامات التي تكونها ينبثق إذن من حالتين أساسيتين:

في الحالة الأولى ما يكون ثمنها غاليا هي القناة le canal الاشتغال بهاته الأخيرة مدة من الزمن: إنها حالة الاتصال الهاتفي العابر للمحيط حيث ثمن الدقيقة من المكالمة جد مرتفع وحيث تبذل كل الجهود في اتجاه خفض هذا الأخير بتهييء الإرسالية أحسن ما يمكن. في الحالة الثانية الأساسي هو المطابقة بين العمل وثمن الإرسال أولا ثم الاستقبال والفعالية. عمل المرسل على المستقبل حاسم بالنسبة لثمن الاستفادة من القناة.

لنتناول أولا الحالة الأولى: يتعلق الأمر هنا باقتصاد العلامات أكثر ما يمكن بالنظر إلى أننا بهاته العلامات نشغل القناة.

أوضح شانون Shannon في نص مشهور «النظرية الرياضية للتواصل»[6] أن الوصول إلى ذلك يفترض استعمال العلامات التي نملكها بالطريقة غير المتوقعة أكثر ما يمكن، أي أن كل واحدة تكون

---

6 - «*Mathematical Theory of communication*» منشورات جامعة إلينوا Illinois, Urbana 1952.

محتملة مثل الأخرى (متكافئة الاحتمالات). في هاته الحالة الخبر في درجته القصوى (وإن كانت الإرسالية غامضة كليا). هذا المنطق يبين أن بفهرس (n): (عدد لا نهائي) من العلامات يكون الخبر على شكل المعادلة الرياضية الآتية:

$$H = N \, Log_2 \, n$$

N = باعتبارها عدد العلامات المنقولة، لتكن مع 26 حرفا من الألف باء (الفرنسية طبعا) حوالي 4,5 ثنائي تحت العشرة bits لكل حرف (لأن: $26 = 2^{4.5}$).

ليس هناك أي توقعية للعلامة التي تلي انطلاقا من السابقة، والإرسالية تبدو مجردة من الدلالة Signification، محتملة درجة قصوى من الأصالة وإذن حدا أقصى من الأخبار بواسطة العلامات.

على المتلقي أن يفكك رموز الإرسالية عند الوصول إذا هو أراد أن يعيد ترجمتها إلى شكل مفهوم مدرك بالعقل. إنها حالة النقل عن طريق التبادل من آلات إلى آلات: من ناقل هاتفي إلى آخر، من مركز إدارة محطة إلى منظم التوربين Turbine (أداة دوارة لتحويل قوة الهواء أو البخار أو الماء... المندفع إلى طاقة ميكانيكية ويطلق عليها عنفة)، إلخ...

تحويل معطيات أعمدة طويلة من الأرقام، رسائل تجارية سرية تطابق في الحقيقة هاته الحالة المحدودة. لكن في معظم الحالات ليست الآلات التي تتواصل بل الأشخاص الذين يتواصلون. هؤلاء ليسوا منشغلين بشكل أساسي باقتصاد كلماتهم أو إشاراتهم؛ هدفهم الجوهري هو أن يفهموا من طرف مناظرهم. الهدف المتوخى من نقل الإرسالية هو

إدراكها بأقل مجهود من المستقبل، وضمان الحد الأقصى من التفاعلات عليه: إنها حالة التجربة النيابية (العِوضية). في هاته الحالة يكون الموَصِّل في موقف حرج: عليه من جهة تحويل شيء من الجديد للمستقبل، لكن في نفس الوقت عليه أن يُفهم وأن يكون معقولا وواضحا أي تمكين المستقبل من تكوين صور حول تجميع العلامات التي قُدمت له.

... لكن سيكون غير قابل للفهم إذا لم يتضمن علامات غير نافعة يجب أن تُفهم هاته الإرسالية بشكل كاف لكي تثير ردات فعل، يجب أن تعمل على إشراك الشخص: لن يتحرج المرسل من استعمال بعض العلامات الإضافية إذا أمكن له أن يتوقع تثبيت فكرته بشكل أفضل. هذا يفضي إلى فكرة كثافة الإبداع المقبولة في وحدة الزمن أو الفضاء في إدراك الإرسالية، قراءة نص، رؤية ملصق أو سماع خبر هاتفي. إذا كانت هاته الكثافة جد كبيرة فإن المستقبل سيعمل إذا كان بإمكانه ذلك على تقليصها بالتخفيف المتصنع للإرسالية؛ على سبيل المثال: سينظر من جديد للصورة، يعيد قراءة مقال الصحيفة، يعيد محاوره عبر الهاتف: من الطبيعي أن يحتاج من أجل ذلك «موازنة زمنية». إذا تعذر ذلك سيعدل عنه؛ ستبقى الإرسالية غامضة بالرغم من تمكنه من الإمساك بعناصرها. الإلمام بالكثافة القصوى للأخبار القابلة للاستعمال، والتدفق الأقصى للابتكار المقبول من طرف المستقبل جوهري: يقيس كفاءة وأهلية العامل البشري لقبول الجديد، لقد تَم تقويمه في 16 Bits (ثنائي تحت العشرة) في الدقيقة.

عدم تجاوز هاته المقدرة يصبح إذن قاعدة أساسية للتواصل: نبلغ بهذا الهدف بتلقينا بكيفية منهجية لكمية الأخبار في كل علامة، وذلك بتذويب تلك الكمية - إن صح القول - في عدد كبير من العناصر، بتأسيس مرجعيات أو بكونها زوائد. هكذا عوض استعمال كل علامات

الفهرس بالتساوي، فإن المرسل يؤثر البعض منها؛ يستعمل على سبيل المثال هذا الحرف عوض الحرف الآخر.

شانون Shannon في تحليل كلاسيكي أوضح أنه إذا استعملت كل علامة أو عنصر في المتوسط «Pi» مرة الخبر الكلي، فأصالة الرسالة من «N» عناصر المأخوذة من فهرس «n» علامات، كانت:

$$H\ (bits) = Ni\ \varepsilon_{i=1}^{n}\ Pi\ Log\ 2\ Pi$$

H: تمثل إذن عدد الأسئلة الثنائية التي - بطرحها بمنهج - يجب أن تكفي لتحديد الإرسالية بوضوح.

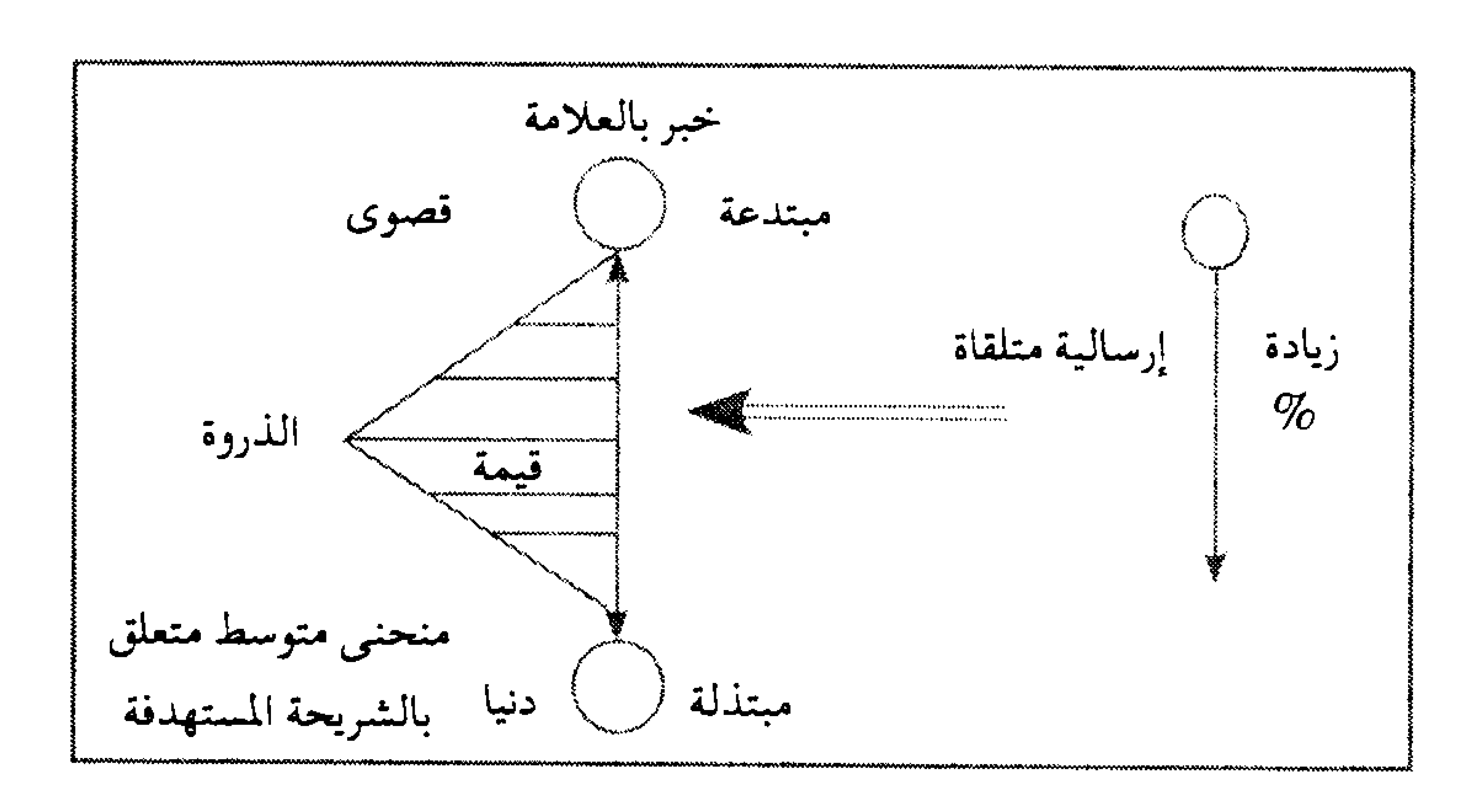
الطريقة التي يستعمل فيها المرسل العلامات استعمالا حشويا هي التي نطلق عليها «قواعد السنن» Règles de code [مترابط الزيادة الضرورية لبناء الإرسالية]. تحكم ظهور عناصر الفهرس في مستوى معين؛ قوانين التجميع هاته المعروفة قبليا من لدن المرسل والمستقبل إجبارية وتقلص غنى تركيبات العناصر/ علامات التي من الممكن تصورها قبليا. إذا أخدنا على سبيل المثال اللغة المكتوبة نقول أن النحو الممكن من تكوين الجمل هو سنن لتجميع العناصر/ علامات (كلمات المعجم)، والمطبعي يضع سننا جديدا للنص المنجز من طرف الكاتبة التي هي نفسها تكون قد وضعت سننا جديدا للإرسالية المنطوقة من طرف الكاتب، إلخ...

ترجمة نص ما هي وضع سنن جديد Recodification لعناصر الدلالة في نسق آخر، كما هو الشأن بالنسبة لنقل برقية أو صورة تلفزيونية، إلخ... م. ويرتمر M. Weirtheieimes في كتابه Productive Thinking:

«التفكير الخصب»: New York – Harper 1945 – «أوضح أن الإبداع الثقافي ظل يشكل إعادة تسنين أو تجديد السنن لأشكال والصور العقلية المكتسبة من طرف وعينا وذلك بتفكيك الوحدات الدلالية Sémantèmes المكونة من أجل تركيبها في نسق آخر.

الجدل المبتذل والمبتدع:

- زيادة ومعقولية



- تعليق على الرسم البياني:

«يمكن أن تتميز كل إرسالية بواسطة نسبتها الخبرية، وتتموقع في نقطة محددة من السلم (على اليسار) متجهة من الابتذال الكامل حيث يقدم التكرار المثال الجيد لذلك؛ إلى الابتداع الكامل حيث تقدم لعبة التكافؤ الاحتمالي للعلامات أمثلة عنه. أما الزيادة أو الحشو La Rédondance فتتفاوت في الاتجاه المعاكس.

من الخبر (السلم على اليمين) وضوح ومعقولية الإرسالية ترتبط بزيادتها. إنها قصوى بالنسبة لإرسالية كاملة الابتذال، وعديمة الجدوى بالنسبة لإرسالية تامة الابتداع.

قيمة الإرسالية تترجم إذن بنسب مختلفة من الزيادة بواسطة المنحنى على اليسار الذي يقدم نسبة قصوى، وظيفة الخاصيات الثقافية للمستقبل».[7]

نقول إذن أن الإرساليات الحقيقية المستعملة بالفعل، تتموقع بين قطبين نهائيين هما الإرسالية المفاجئة تماما التي تتضمن الابتداع النصي لكن لا تملك أي بنية داخلية؛ التلازم الذاتي منعدم.

الإرساليات الاعتيادية تحمل للمستقبل من جهة شيئا من الجديد، المفاجئ، المبتدع، تحتمل كمية معينة من المعلومات، لكن من جهة أخرى تبقى متوقعة جزئيا، لها حد أدنى من البنية، تكون مبتدعة إلى حد ما ولأجل هذا ينصرف المرسل إلى الإسراف في الرموز بالنسبة إلى الذروة النظرية.

– فعالية الإرسالية ترتبط بالتوازن بين الابتداع والزيادة: هنا إذن ثمن القناة يمر هو نفسه إلى المستوى الثاني، تبديد العلامات بديهي، الهدف هو رد الأحداث إلى سلم الشخص. لنقارن حالتين نهائيتين: في الحالة الأولى، رأيناها آنفا، إذا توالت الرموز دون رابط بينها، تكون الإرسالية مفاجئة وغير متوقعة تماما، تعطي الابتداع الأقصى، لكنها غامضة. على العكس من ذلك حيثما يتم ترديد إرسالية بسيطة إلى ما لا نهاية فإنها متوقعة كليا ومفهومة بمنتهى الإتقان، لكن بمنتهى الابتذال. مثال نموذجي تقدمه لنا الإرسالية الإشهارية المرددة دون تحديد، المعروفة بإتقان من طرف المستقبل الذي يتوقع كل الموالي انطلاقا مما توصل إليه من قبل ويمكنه أن يقذف بالماضي في المستقبل انطلاقا من توقع هذا الرمز أو ذاك انطلاقا من تقدير تذكري بشأن الرموز التي توصل إليها من

---

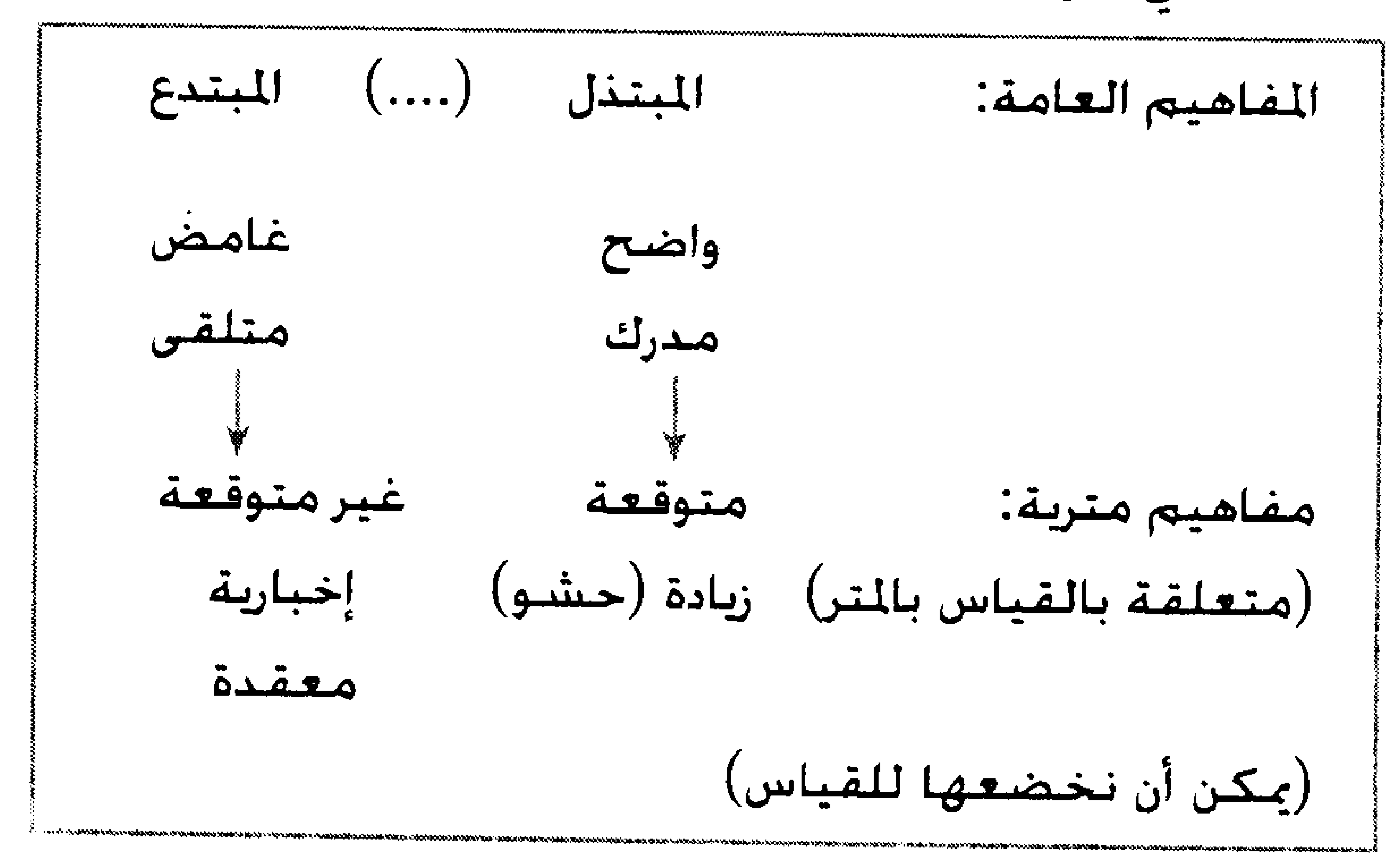
7 – مقتطف من أ. مول A. Moles:

Art et ordinateur. P 24 - Paris, Casterman 1971

قبل. مثلما في حالة تردد خالص لمجموعة من العناصر (نحو: Ga، Ga ....)، قابلية التوقع تصبح تامة والإرسالية تصبح مفهومة بكاملها، ومدركة تماما من طرف المستقبل منذ تحقيقه من الرموز المكونة لها. والحالة هاته أن الوضوح والمعقولية ترتبط بالابتذال وإن بتقليص المعلومات. ليس هناك وضوح ومعقولية ممكنان دون بنية معينة تمكن من التوقع، وبالتالي دون زيادة ما أي شيء ما زائد عن الحاجة بخصوص الخبر الخالص (أو المعلومة الخالصة).

نقول أن الوضوح والمعقولية تقاس بواسطة الزيادة، هاته الأخيرة تُكَوِّنُ البنية. الزيادة (الحشو التي هي قياس هذا التقليص الخبري هي في نفس الوقت قياس للوضوح والمعقولية، لأنها إحدى عواملها الأساسية. يمكن أن نحدد البنيات باعتبارها الأشكال (الصور) العقلية داخل فكرنا على عكس الأشكال الإدراكية التي ترافقنا من خارج الأعضاء الحسية، انطلاقا من العالم الطبيعي المبتذل بواسطة سيرورة الثقافة والتعلم.

التحليل السابق يؤسس داخل نظرية الإرسالية سلسلة من التعارضات الجدلية التي تنير دلالة الكلمات المستعملة.



الفصـل الثاني

«إشكالية التلفظ» L'Enonciation

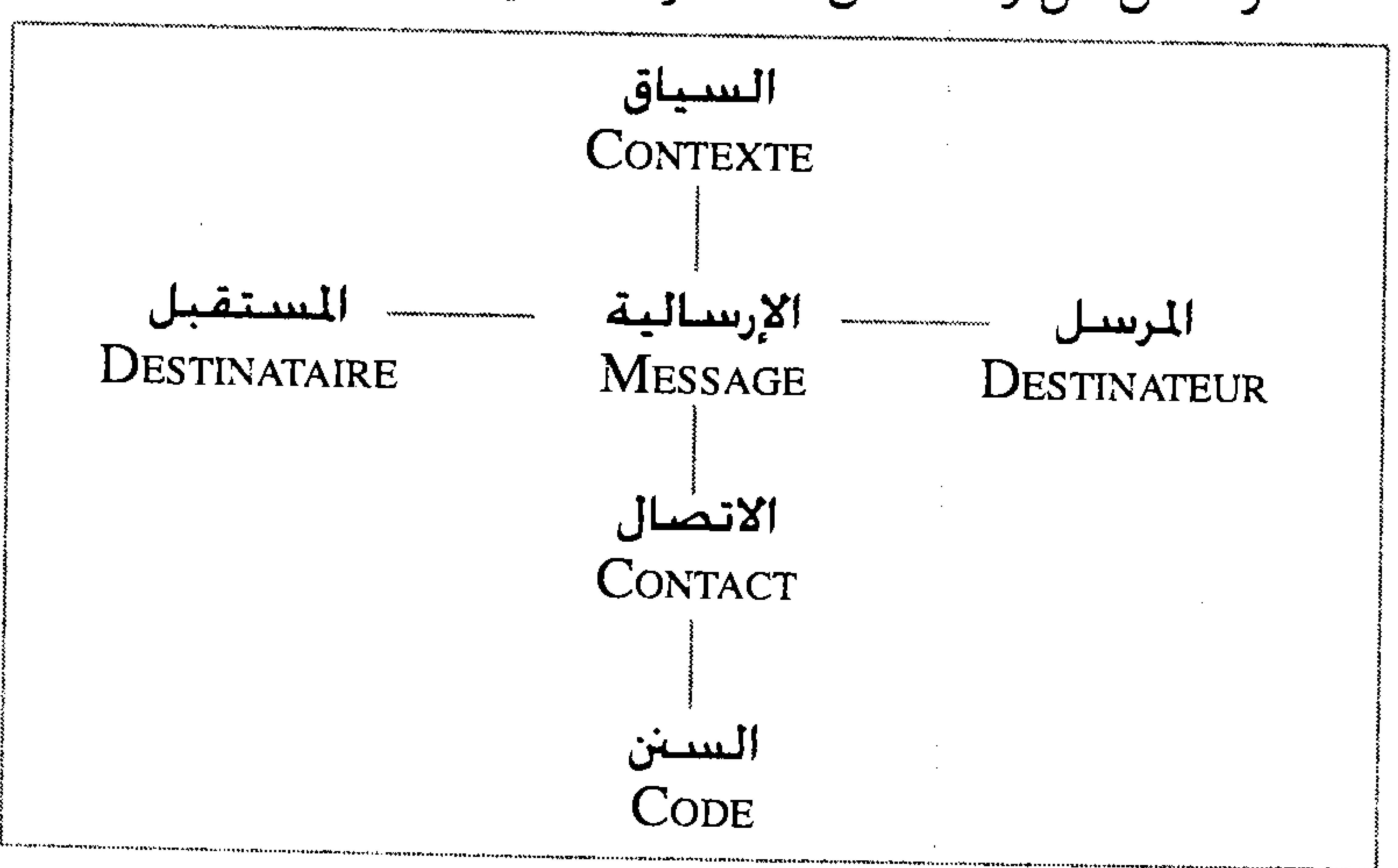
كيربرا أوريكيوني

I – التواصل اللساني[1]

1 - خطاطة جاكوبسون

«يمكن تقديم مختلف العناصر الأساسية للتواصل اللغوي على شكل الخطاطة الآتية:

تتولد عن كل واحدة من العناصر الستة وظيفة مختلفة ...»



1 – يجب أن تفهم العبارة في معناها الواسع نسبيا – أوسع مما هو عند لاينز Lyons الذي وضع تعريفا لها (1978 P. 33): «نقل قصدي للأخبار، بمساعدة نسق من العلامات محدد سلفا» – والتي يمكنها أن تتجاوز الإطار الضيق لما يصطلح عليه مونان G Mounin : «سيميولوجيا التواصل» Sémiologie de la Communication في مقابل: «سيميولوجيا الدلالة» Sémiologie de la Signification.

جرت العادة أن نبدأ كل تفكير يهم إشكالية التواصل اللغوي بالتذكير بالطريقة التي يتصور بها جاكوبسون (p. 214 1963) اشتغالاتها بتعداد مختلف مقوماتها الأساسية.

تتم أيضا المراجعة - وهذا ثمن الشهرة - بنقد جدري وأساسي جزئي أو كلي للخطاطة السالفة الذكر التي يصفها كوينز Kuentz بإيجاز «بالارتداد»[2] régressif، لذلك تمكنا من مآخذة جاكوبسون في موضوع «الامتداد» Extension الذي يربطه بمصطلح السنن بتطبيق هذا الأخير على اللغات الطبيعية، لا يتعين بطبيعة الحال كما هو شأن علم التوجيه cybernétique[3] بمجموعة من قواعد التناسب القارة والتقابلية بين الدالات والمدلولات. بعد مونان Mounin دكرو Ducrot اهتم هو الآخر - لكن من وجهة أخرى - بمصطلح السنن (5 - 4 et 3 - 2 1972 p) «كثيرا ما نذهب إلى اختزال معنى كلمة «تواصل» communication لجعله يعين نمطا خاصا من العلاقة الذاتية الواقعة بين شخصين، إرسال المعلومة، تواصل ستكون - قبل كل شيء - فعل معرفة جعل المخاطب على علم بمعلومات لم يحط بها من قبل».

إلا أن إدراكا كهذا بالنسبة لدكرو Ducrot يكون مختزلا بكيفية مبالغة، كما يوضح ذلك «فلاسفة أكسفورد». إذ بدراستهم للأفعال اللغوية

2- (1972 P. 25) «..أيضا الخطاطة التي وضعها جاكوبسون جد معروفة الآن باعتبارها حصيلة مركزة للسانيات، هل تبدو نموذجا ارتداديا أكثر فأكثر»، لكن في علاقتها مع ماذا؟

لا ندخل هنا في جزئيات تفسير أصل هاته الخطاطة (التي تكيف مع التواصل بعض عناصر نظرية الإخبار Théorie de l'information) أو في مقارنة مع خطاطات أخرى مقترحة سابقا (بولر Buller ، شانون Channon ويفر Weaver) : يمكن الرجوع في شأن ذلك لأومبرطو إيكو. (54 - 39 .Um.Eco (1972 pp .

3- Cybernétique: علم التوجيه: مجموعة نظريات ودراسات حول الأنساق ذات الصلة بالإيصاء والتواصل (يجد علم التوجيه تطبيقاته في الصناعة والبيولوجيا وفي مجال الفنون (الإعلاميات تطبيق لعلم التوجيه).

مثل: وعد، أمر، استفهم، أرشد، مدح، إلخ... توصلوا إلى اعتبارها جوهرية لسانيا كما هو شأن فعل المعرفة».

النتيجة: «سنعدل عن تعريف اللسان بطريقة صوسير Saussure باعتباره سننا أي آلة للتواصل (Instrument de communication) لكن سنعتبره لعبة أو بكيفية أدق إرساءً لقواعد لعبة، واللعبة ترتبط بكيفية شاملة بالحياة اليومية».

بدون شك الفكرة صحيحة، ولكن يمكننا أن نتساءل عن الداعي، وإلا بأمر مفاهيمي اعتباطي، يختزل دكرو Ducrot معنى السنن على تلك الشاكلة (لأن القواعد التي تنظم اللعبة اللغوية هي أيضا مسننة Codifiées) ومعنى التواصل أيضا: مثل هاته الاعتبارات - دون وضع النموذج التواصلي محط نقاش - تدعو ببساطة لإدماج مكون تداولي في القدرة اللسانية، وتقبل القيم الإيحائية Valeurs illocutoires من بين الدلالات المحتملة الورود في الإرسالية. لاشيء يدفع للاعتقاد أن بالنسبة لجاكوبسون Jakobson، (حتى بالنسبة لتقبله إلى جانب الوظيفة المرجعية Fonction référentielle، خمس وظائف أخرى، وخاصة الوظيفة المعرفية Fonction cognitive: يثبت العكس)، إنها المعلومات فقط هي التي يتم تبادلها أثناء الفعل التواصلي[4]. لاشيء ينفي ذلك بكيفية صريحة، وإن كانت الحقيقة تقتضي هذا بكيفية ما. وسنعود لهاته النقطة بعد قليل من خلال إدراكه للسنن إذ بالنسبة له مثلا التلفظ Les deux

---

4 - فيما يخص المناجاة، المرسل والمستقبل مندمجان جوهريا، لكنهما يبقيان متميزين وظيفيا، إضافة أنه من الملاحظ أن المجتمعات تكبح عن طريق السخرية المناجاة النفسية [...]. بث إرسالية دون وجود مرسل إليه، هنا سلوك يدخل في نطاق علم الأمراض. (والكلام اللغوي يتعارض في هاته النقطة بالمجال الذي يمكنه أن يكون بصفة جد «عادية» نشاطا منفردا).
حتى في الممارسات اللغوية لدى غير الأسوياء، المتكلم (الذي يعلن أنه لا يفهم نفسه) يملك عموما وجود مرسل إليه غيبي (قابل لحل رموز الإنتاجات الخطابية للشخص غير السوي).

acteurs de l'énonciation يتبادلان معلومات مسننة بكيفية صحيحة ومطابقة بالنسبة لموضوع المرجع Objet de référence (كينتز Kuentz). معلومات تمر - بفضل هذا - مائة بالمائة و م. هول M. Hall له الحق في أن يعارض موقف الذين يؤولون قاعدة «اللسان آلة تواصلية «بتأويل» اللسان آلة مثلى للتواصل»، مع أنه ليس من هذا في شيء، إذ يتم الأخذ بالنقيض تماما، بقاعدة أكثر قابلية للنقد أيضا:

- «اللسان وسيلة للتواصل، إذ يشتمل على كثير من الغموض والحشو وعلامات نوعية ليكون وسيلة جيدة للتواصل. ولكن من يطمح في أن يكون وسيلة جيدة؟ ما هو هذا الاستدلال الزائف الذي - اعتبارا «للنقائص» الواضحة لفعل إنساني الذي له تاريخ، وينزه تلبية لحاجياته، الغموض الذي يمكنه أن يزيحه - يبعد فعل التجربة الذي هو الاستعمال اليومي للسان: وهذا باسم المثال الأسطوري الذي يتحرى النأي عنه».

(Le Monde 7 juillet 1973).

يحدث في بعض الأحيان أن هذا الإدراك «للتبادل» الكلامي يبدو مشتبها إيديولوجيا، ومتأثرا ببعض الرؤى الخاصة بجريان الثروات كما هي في اقتصاد السوق. ولكن أكثر من هذا مما لم يصرح به بوضوح - إذا كان هذا النقد يتوجه إلى التواصل الكلامي نفسه واشتغالاته داخل نظام اقتصادي معين أو في نموذج يحاول الاهتمام بهذا الجانب، وهذا الخلط بين المستويات اللسانية والميتا - لسانية موجود عند الذين يريدون تحرير النماذج اللسانية من الأوهام. إنه افتراض سهل أن يوجد بين البنية التحتية الاقتصادية والبنية الفوقية الرمزية علاقات تشابه وتحديد مباشر.

هي معرفة ما إذا كان هذا التصور للتبادل اللغوي الذي يمثل فعلا «نموذجا من الحقيقة» هامشي بالنظر للموضوع التجريبي الذي - يحاول مقاربته (وغير ملائم جوهريا لهذا الموضوع) أدى مع ذلك إلى وضع ترسيمة بيانية كافية نسبيا.

نعتقد من جانبنا أن تصور رولان بارث R. Barthes حينما يتحدث عن وضعه التلفظي في «حلقة دراسية»: «أردت أم أبيت إنني موجود في مدار لتداول الآراء».

يتعلق الأمر وإن بأقل درجة بنشاط مكتوب أيضا؛ وأن كل العناصر التي يعتبرها جاكوبسون «عوامل لا يمكن التخلي عنها في التواصل اللغوي» هي حقا كذلك - خاصة المرسل والمستقبل إذ بالرغم من أنهما غير قابلي التعيين دائما فإنهما يساهمان بالقوة في الفعل التلفظي: النشاط المزدوج: إنتاج/معرفة Production/Reconnaissance، يموضع وظيفتي المرسل والمستقبل، بشكل معقد بالنظر إلى أن كل مرسل هو في آن واحد مستقبله الحقيقي وكل مستقبل مرسل بالقوة. على هذا الأساس يفضل كوليولي Culioli تسميتهما بالمتلفظين: «المتلفظان هما العنصران الأساسيان اللذان بدونهما لا يكون هناك تلفظ».

> *C. Fuchs et P. le Goffic*: نشاط الكلام يعني التواصل، والتواصل شيء يمر بين شخصين [إذ نفضل التمييز بينهما اصطلاحيا: مرسل نحو مستقبل، متكلم نحو مخاطب، عارض نحو معترض...].

2 - نقد الخطاطة

بعد هذا يمكن أن نؤاخذ جاكوبسون على عدم تأمله في مقومات كافية، ويحاول بعد ذلك تركيب الخطاطة حتى تصبح خريطة أكثر استيعابا لمجال اهتمامها»[5].

5 - تلميح إلى هذا المثل الذي يعيده بلا كلل كورزيبسكي Korsybsky والذي يهم كل أشكال الإبداع الخطابي: «الخريطة ليست هي الأرض».

في هاته الخطاطة يتواجد السنن مصاغا في المفرد ومعلقا في الهواء بين المرسل والمستقبل. مما يطرح مشكلتين ويستدعي نقطتين نقديتين:

أ - مشكل تجانس السنن:

ليس صحيحا كما قلنا سلفا أن المشاركين في التواصل، بالرغم من انتمائهما لنفس «الجماعة اللسانية» Communauté Linguistique، يتكلمان نفس اللغة تماما وأن قدرتهما (كفايتهما Compétences) تتطابق مع اللغة الفرنسية المشتركة لمتكلم، مخاطب مثالي.

ما هي درجة الاختلافات الممكنة بين اللغتين الفرديتين (أو أكثر) الراهنتين؟ في هاته النقطة هناك وجهتان متعارضتان منطقيا: من جهة هناك وجهة نظر جاكوبسون Jakobson التي يعلن (1963, p 33):

«حينما نتوجه إلى مخاطب جديد، كل واحد يحاول دائما عمدا أو عن غير قصد - الكشف عن لغة (مفاهيم) موحدة - سواء من أجل الإرضاء أو من أجل التفاهم أو للتخلص منه، نستعمل كلمات المستقبل. المجال الخاص في الميدان اللغوي لا يوجد، كل شيء مشترك [...]، اللغة الفردية ليست أخيرا إلا وهما منحرفا شيئا ما»[6]: تفاؤل من هذا النحو [السنن المشترك سيكون إذن للمرسل إليه، حيث يتملكه المرسل تكيفيا] يعبد الطريق أمام الالتباسات والشكوك وإخفاقات التواصل. آخرون بالعكس حذرون اتجاه هاته الإخفاقات، يناصرون أحادية تصورية جذرية،

6 - هاته ملاحظتنا، نسجل أنه سنة 1961 اعتبر جاكوبسون Jakobson (أشار إليه ريفزين 1969 Revzin - N°17. P. 29) أن المحاولات التي استهدفت إنشاء نموذج لغوي دون اعتبار المتكلم أو المستمع يهدد بتحويل اللغة إلى خيال مدرسي لاهوتي = Fictio - scolastique في عشر سنوات غير الخيال La Fiction نهائيا حقله... توبة جديرة بالملاحظة ومعلنة عن هذا «التحول» الذي تحدثنا عنه في المدخل.

كما هو الشأن بالنسبة «للويس كارول Lewis Carroll، الذي يعلن الارتباط بالمنطق الرمزي Symbolique: «أعتقد أن كل كاتب له الحق الكامل في إسناد المعنى الذي يريد لكل كلمة وكل عبارة يريد استعمالها. إذا صادفت كاتبا يعلن في بداية كتابه: ليكن في علمكم أن باستعمالي كلمة «أبيض» أعني دائما «أسود» وأن باستعمالي كلمة «أسود» أعني دائما «أبيض»، سأقبل هاته القاعدة بتواضع، ومع ذلك سأحكم عليها بأنها نقيض المعنى الصحيح»[7]. قاعدة صريحة وبسيطة (إبدال الأضداد) حيث تطبيقها يمكّن دون مشاكل من ضبط اعتباطية الإطار الدلالي.

ولكن ليس هذا من قبيل خطوة خطوة Humpty Dumpty ، حيث يتعذر اختزال اللغة الفردية: «حينما أستعمل كلمة [...] تدل على ما أريد أن تدل عليه، لا أقل ولا أكثر»[8] خاصية مثيرة، جائرة، مضحكة، وداعية إلى اليأس في آن واحد. الذي يؤسس شعورا حادا بشأن التباسات المعنى التي تصنع أليس (Alice) على حسابها في بلاد العجائب Pays de Merveilles (الرواية التي تنقل حماسات المنطق الطفولي) التجربة الواقعية، لا تحظى بفهم الآخرين: بقدر ما نفهم على الأقل أنفسنا.

خاصية أحادية التصور - مثل هاته - يشجبها مونان Mounin في (1951) على اعتبار أنها رجعية وبورجوازية: «هؤلاء الرفاق البارزون البسطاء، يعرفون فطريا أن من بين خاصيات اللغة هناك متانتها الكبرى من جهة ووحدتها من جهة أخرى، وهي خاصية ضرورية لكي تظل اللغة أداة بين الناس، بينما كل المناورات الشكلية التي تحكم لغة البرجوازية - ما قبل الرمزية (مدرسة شعرية ظهرت في فرنسا في أواخر القرن 19 عشر

---

7 - أورده جون كاطينيو Jean Gattegno في مقدمة للمنطق البسيط للويس كارول Lewis Carrol: Hermann 1966 P. 32.

8 - (خلف المرايا) *De l'autre côté du Miroir*: (Marabout 1963. P . 245

ومن أعضائها «بودلير» و«مالارمي»). فحسب منظريها أنفسهم البولانيين Les Paulhan والبلونشيين Les Blanchot والسارتريين[9] Les Sartre تعتبر وسيلة توحيد بين الناس». بورديو Bourdieu (1975) يعتبر على العكس من ذلك أن استعمال هذا العارض النظري الذي هو مفهوم اللغة المشتركة أو اللسان المشترك يلعب دورا إيديولوجيا محددا: أنه يهدف وضع قناع بهذا المظهر المرح بانسجام خيالي على وجود توترات مواجهات وجور حقيقي. إنكار وجود هاته التوترات والتعلل بأوهام المشاعية اللسانية أو التشارك اللساني Communisme Linguistique هو في الواقع توسل بواسطة ورقة اللغة للاختلالات الاجتماعية.

الآراء تتشعب - إذن كما نرى - حول الظاهرة نفسها وكذا تأويلاتها الإيديولوجية على حد سواء. سنتجنب التركيز على النقطة الثانية، أما فيما يخص النقطة الأولى سنقول بتبصر أن الحقيقة توجد بينهما. من جهة للأخذ بعين الاعتبار خاصية المكون المعجمي Composante Lexicale حيث تلتقي التشعبات اللهجية بكثافة، من المؤكد مع ذلك أن بعض التوافق يتأسس حول الدلالات، التي تمكّن من المفاهيم جزئيا على الأقل (وتشييد مواد المعجم)؛ حيث الكلمات لها في اللغة معنى واحدا أو على الأصح معاني ثابتة نسبيا ومتبادلة بين الأشخاص:

---

9 - بفضول، في هذا التصريح لمونان Mounin (الذي أشار إليه باكجيوني D. - P. 106 1977 Baggioni). يتغيب ميشيل ليريس Michel Leiris عن التفقد، الذي يعطي رغم ذلك صياغته الجوهرية للأطروحة الأحادية Solipsiste في مدخل المعجم (مذهب (أي المذهب الأحادي) يقرر أن الأنا وحده هو الموجود، وأن الفكر لا يدرك سوى تصوراته): «خروج هائل عن المألوف يجعلنا نفكر في الناس الذين ولدت اللغة لتسهيل علاقاتهم المتبادلة، إنه في هذا الهدف الاستعمالي يؤلفون القواميس، حيث الكلمات مصنفة: تمنح معنى محددا سلفا (يعتقدون) على أساس العادة واشتقاق الكلمة. بينما علم الاشتقاق Etymologie علم لا طائل وراءه، لا يفيد في شيء من حيث المعنى الحقيقي للكلمة، أي الدلالة الخاصة، الشخصية، التي يجدر أن يعنيها كل واحد وفق رغبة فكره».

«إذا وضعنا ألف شخص إزاء ألف كرسي»، يعلن دون تبصر برنار بوتيي B. Pottier (لأننا لاحظنا بأنفسنا نوعا من الفارق في الاشتقاقات الإسمية الخاصة بهاته المادة، حيث هي أفضل المشاهد المتعلقة بأنماط أخرى للحقول الدلالية)، «يمكن أن نحصل على ألف مرة كلمة «كرسي»، هذا التوافق الذاتي في اللسانيات هو ما يسمى بالموضوعية». هاته الملاحظة تبين على الخصوص أن العلامات «ضرورية» في ذات الوقت الذي تكون فيه «اعتباطية»[10]: بالرغم من عدم وجود أي سبب طبيعي لتسمية القط «بقط»، متعلمو اللغة الفرنسية يقبلون لعب «لعبة» الاشتقاقات الإسمية، والتاريخ لم يسجل لنا أي مثال لخطوة - خطوة Humpty Dumpty (مثل أليس Alice في منطوق المفارقة السابقة تعلن مترددة أن السؤال هو معرفة ما إذا كنتم تستطيعون جعل نفس الكلمات تعني أشياء كثيرة. خطوة - خطوة تفند بامتياز: «السؤال هو معرفة من هو المعلم فقط!» صيغة تبين بشكل تفضيلي مسألة حضور علاقة القوة في التبادل الكلامي، إذ غالبا من يكون القوي هو الذي يفرض على الأضعف لغته الفردية الخاصة، هذا لا يمنع من أن أي شخص لا يمكنه أبدا إبعاد سيطرته إلى حد الرغبة في التخلص من استبداد الأعراف والاستعمالات وتأكيد المجال الوحيد للمعنى «الجيد».

---

10 - دفاعا عن أطروحة قريبة من نظيرتها «خطوة - خطوة - Dumty Humpty يعترف منطق بور رويال Port – Royal - P. 129 أن التواصل ينبني على ضرورة العلامات: «يسمح لكل واحد استعمال الصوت الذي يروقه للتعبير عن أفكاره، شريطة الإخبار بذلك. لكن بما أنهم لا يملكون إلا كلامهم وليس كلام الغير، كل واحد له الحق أن يضع قاموسه الخاص، لكن ليس له الحق في أن يضع قاموسا للآخرين، ولا تفسير كلامهم بدلالات تم ربطها بالكلمات.

لهذا السبب ليس لنا النية في أن نعرف ببساطة في أي دلالة تستعمل كلمة ما، ولكننا نهدف تفسير مصدرها بصفة عامة: التعريفات التي نضعها ليست قطعا اعتباطية، ولكنها مرتبطة وملزمة لا لتمثيل حقيقة الأشياء، ولكن حقيقة الاستعمال». (نشير هنا أن الاعتباطية Arbitraire تتعارض مع ضرورية nécessaire، وليس مع معلّلة Motivé كما هو شأن التقليد الصوسيري).

حقيقة، «كل كلمة تعني ما أريد أن تدل عليه» ولكن في نفس الوقت، «كل كلمة تعني ما تريد أن تعني» (لها معنى في اللغة). تكلم، هي بالتحديد محاولة الوصول إلى مطابقة هذين القصدين الدالين «Intentions Signifiantes»؛ هاتين الإرادتين للقول = «Vouloir dire».

ولكن المتلفظين، وإن كانا على استعداد للتقيد بالمعنى اللغوي، فليس لهما بالضرورة نفس التصور، لذا فبعد أن قبلنا أن التواصل الكلامي يمكن من تحقيق تفاهم جزئي يجب أن نصر ثانيا على أن هذا التفاهم لا يمكن أن يكون إلا جزئيا. يجب أن نأخذ قسمه: الاتصال المتبادل (أو التواصل البيني) Intercommunication (علماء اللغات العامية أو اللهجيون Dialectologues تحدثوا عن هذا منذ زمن بعيد، والحقيقي أيضا وجود تناقضات لهجية، كل النسب المحفوظة لتناقضات اللهجات الفردية). هو ظاهرة نسبية وتدريجية. لا يوجد أي سبب لتفضيل حالات التواصل الناجحة[11]»، واعتبار ظواهر تحصل من سوء الفهم «شوائبا»: التفسير المقلوب[12]، اللبس، الغموض. هكذا وعلى غرار كوليولي Culioli يعلن كل من C. Fuschs و P. Le Goffic - P. 122 : «اللا تطابق بين الإنتاج

---

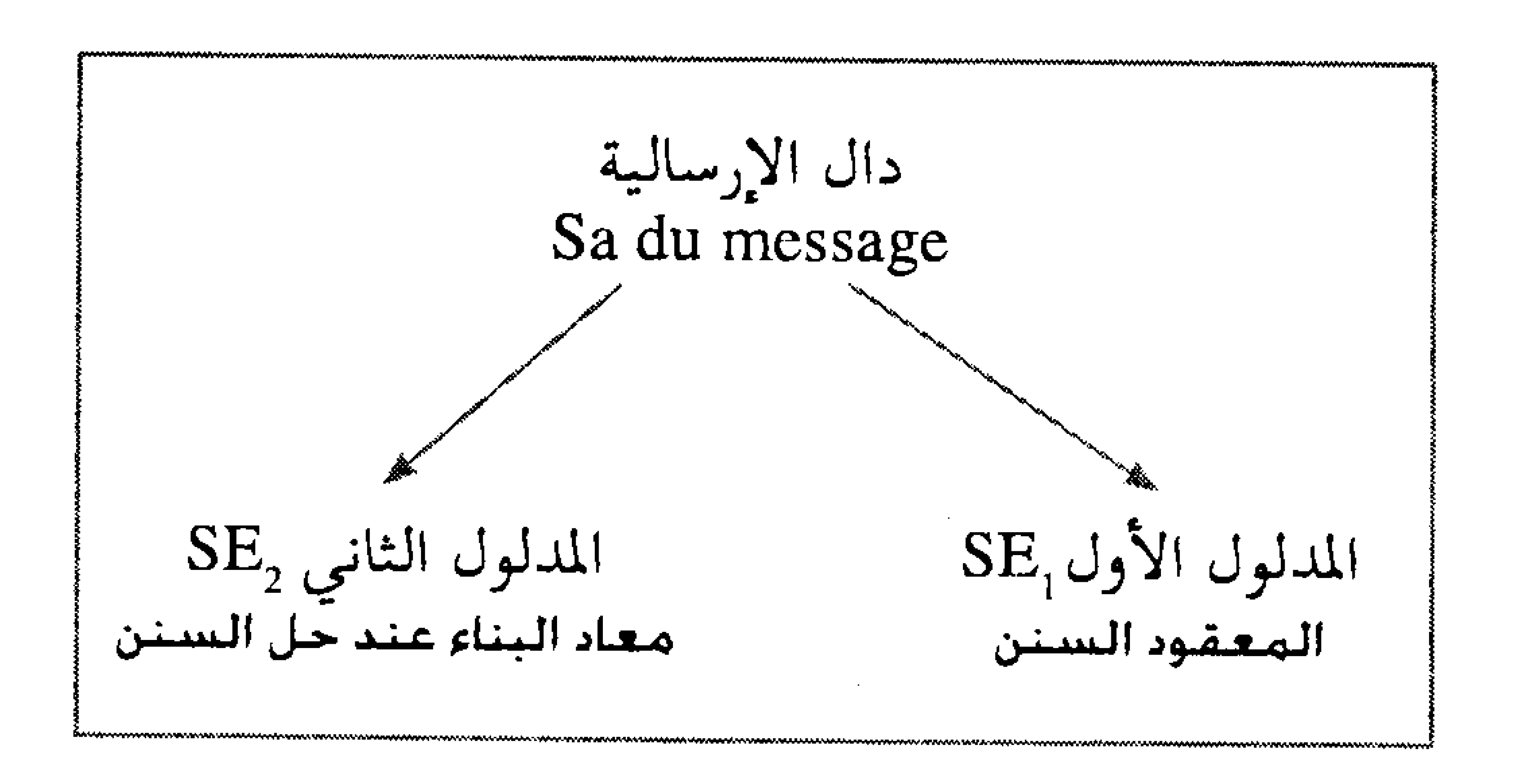
11 - تتضمن هاته العبارات المثل الأعلى لتواصل شامل وشفاف (إعادة كاملة لمدلولات مكثفة السنن إلى حالة تفكيك السنن). ..../..

لكن لماذا من الفظيع والمؤسف أن يكون خلاف ذلك؟ يمكننا - على النقيض - أن نطبق على كل اللغات هاته الحقيقة التي يكتشفها رولان بارث R. Barthes خلال دورة الـ (R. C. A. M. le Monde 21 Mars 1987 P. 15) : «نعتقد أنه يجب مواجهة صعوبة، هي تلك التي تخص مقاربة لغات مختلفة معروفة، آتية من كفاءات متفاوتة لكن ما واجهناه، أظن فقط خوفنا من الإحساس بالإقصاء من لغة الآخر، ما فهمناه هو أن هذا الخوف وهمي في جزئه الأكبر: فصل اللغات ليس حتميا، بدءا من اللحظة التي لا نطلب فيها من الكلام أن يضطلع بكل التواصل».

12 - هذا المفهوم مثلما الحل (التفكيك) السنني الزائغ Décodage abérrant (إيكو Un E co) متعلقان طبعا بالقصد الدلالي للمتكلم.

والمعرفة، اللا تطابق بين أنساق المتلفظين يفرض وضع - في أثناء النظرية اللسانية ظواهر ظلت إلى الآن تعتبر إخفاقات التواصل».

من وجهة النظر المنهجية، هذا يعني أن إسباغ الكمال المثالي الذي يتضمن مسألة مطابقة كفاية المرسل لكفاية المستقبل (المستمع). (مسلمة «النموذج المحايد») ليس «مشروعا» أكثر مما يراه لينز (Lyons 1978. P. 71)، ويجب على العكس الاعتقاد أن التواصل (المناظرة: لن نتكلم اللحظة إلا على هاته الحالة الأبسط). يتأسس على وجود ليس السنن، ولكن لغتين فرديتين، انطلاقا من أن الإرسالية نفسها تزدوج فيما يخص جانبها الدال على الأقل: إذا اعتبرنا فعلا الكفاية مجموعة من القواعد المحدّدة «لاقتران المعاني بالأصوات «شومسكي Chomsky» وإذا افترضنا أن قواعد التطابق دال SA / مدلول SE تختلف من متكلم إلى آخر، مثلما شأن الدال (دال الإرسالية) يبقى ثابتا بين عقد السنن Encodage وحل السنن Décodage، يجب الاعتقاد أن في المسافة التي تفصل بين هاتين العمليتين يخضع المعنى لتغيرات:



ليست حقيقة إذن كما يبدو من قول (من خلال Fuchs و Le Goffic دائما) جاكوبسون، بأن الإرسالية تمر في مجملها «من يد إلى يد دون أن تشوه في العملية».

ب – مسألة خارجية السنن

بالرغم من أن صيغة السنن في شعور المخاطبين تبقى غامضة فإنها مؤكدة. وتصور شومسكي يُطور فيما يخص هاته النقطة رؤى كل من صوسير وجاكوبسون، حيث لا يشتغل إلا باعتباره «كفاية ضمنية» Compétence Implicite لشخص ما [مجموعة من الاستعدادات المستبطنة].

المكون سنن الذي تضاعف إلى اثنين، العلل الفردية المحصل عليها يجب أن تكون مدرجة، الأولى في دائرة المرسل والأخرى لدى المستقبل. يمكننا أن نعتبر أيضا أن كل واحدة من اللغتين الفرديتين يحتملان مظهرين: كفاية من جانب الإنتاج مقابل كفاية من جانب التأويل[13] [الأولى مدرجة ضمن الثانية لأن كفاياتنا في عقد السنن أقل حجما من كفاياتنا في حل السنن[14]] من الضروري الإشارة إلى أن الأولى تشخص في دائرة المرسل والثانية تشخص لدى المستقبل [نفس الشخص يعمل على تشغيل الأولى أو الثانية من هاتيتن الكفايتين وفق دوره التلفظي].

ولكن نفضل التمثيل الآتي: نصطلح «كفاية الشخص» Compétence d'un sujet على مجموعة إمكانياته اللسانية، الجرد الكامل للاحتمالات من حيث الإنتاج والتأويل. هاته الكفاية، المدركة بشكل موسع، توجد مختزلة في حالة اشتغال التواصل حيث يكون الشخص في موقع عاقد السنن Encodeur، وبفعل اشتغال مصفاة[15] مختلفة.

---

13 – الذي نصطلح عليه أحيانا كفاية فعالة Compétence active مقابل «منفعلة» ولكن العبارة جد معاكسة لأن عملية حل السنن بعيدة عن الاختزال إلى مجرد تسجيل الدلالة البديهية (إنها – على النقيض – تأسست (أي الدلالة) من جديد بهدف عمل يختص بالدل).

14 – على غرار «Koko le Gorille» يشتمل بنشاط وفعالية على ثلاث مئة كلمة، لكن بسلبية وانفعالية يزيد مئتين أو ثلاث مئة كلمة.

15 – مثلا، نفترض أن شخصا، يستعمل لغة أجنبية في المختبر بسهولة أكثر من الحياة الواقعية، نصطلح «كفاية» لسانية لهذا الشخص، كفايته المختبرية، ونقول أن المقام التواصلي العادي يشتغل مصفاة تأتي لاختزال استعداداته اللغوية.

ليس صحيحا أن نتصور إذن أن المرسل شخص يختار بكيفية حرة، هذا أو ذاك من الوحدات المعجمية، هاته أو تلك من البنيات التركيبية من مخزونه من العناصر اللغوية، ويستمد من هذا الخزان الشاسع دون قيد آخر سوى «ما يريد قوله». بل هناك قيود تظهر وتشتغل مصافا، تحد من إمكانيات الاختيار (وتوجه تقابليا نشاط حل السنن) مصاف تنهض من نمطين من العوامل.

1- الشروط الواقعية للتواصل

2- الخاصيات الموضوعاتية والبلاغية للخطاب أي بالجملة قيود «النوع».

على سبيل المثال، لتحليل خطاب أستاذ اللسانيات يجب أن نأخذ بعين الاعتبار:

1 - الطبيعة الخاصة للمتكلم (حيث تشتغل مجموعة من المعايير)، طبيعة المخاطبين (عددهم، سنهم، مستواهم، سلوكهم)، والتنظيم المادي، السياسي والاجتماعي للمكان حيث تقام العلاقة التعليمية إلخ....

2 - على اعتبار أنه خطاب يستجيب للقيود الآتية: خطاب تعليمي (قيد النوع) الذي يتناول اللغة (قيد موضوعاتي).

نفس الشيء حينما يتعلق الأمر بتحليل الإبداعات الطفولية يجب الاهتمام بما يلي:

1- هل يتعلق الأمر بخطابات شفهية أو مكتوبة، مونولوجية أو حوارية، مرسلة في وضع مدرسي أم لا؛

2 - هل يتعلق الأمر بخطاب روائي، وصفي أو شعري (طبيعة المستودع الأسلوبي الموضوعاتيConsigne Stylistico-thématique.

نصطلح «عالم الخطاب» على مجموع

(1) مقام التواصل + (2) القيود الأسلوبية الموضوعاتية.

نقترح في الأخير التحسينين أو بتعبير محتشم مبدأي إغناء تابعين لنموذج جاكوبسون.

الكفايات غير اللسانية

في قطبي المرسل والمستقبل، تدمج إلى جانب الكفايات اللسانية الخالصة (واللسانية الموازية Para – linguistiques): تصميماتهم النفسية والنفسية التحليلية Psychanalytiques التي تلعب دورا هاما بطبيعة الحال في عمليات عقد السنن وحل السنن (Encodage/décodage)، التي سنقول عنها خطأ الكفاية في الموضوع، بعض الأشياء (اشتغال الإشاريات Les Déictiques) ستعطينا بالرغم من ذلك مثالا لتأثير هذا العامل (النفسي) – Psy [16] على الاختيارات اللسانية.

كفاياتهم الثقافية [أو الموسوعية: مجموع المعارف الضمنية التي يملكونها عن العالم] والإيديولوجية Idéologiques (مجموع أنساق التأويل والتقييم حول العالم المرجعي) التي تنشئ علاقات مع الكفاية اللسانية تلك العلاقات التي هي ضيقة أكثر منها غامضة، والتي تأتي خصوصيتها أيضا لبصم التفرعات اللهجية.

---

16 – هاته الوحدة الشكلية الدنيا (المورفيم Morphème) [الحاصلة من تقاطع دالاتهم Signifiants] تشتغل وحدةً معجمية مشتركة Archi-lexème آتية لتحييد (تقاطع متلازم المدلولات) التعارض الدلالي الموجود بين علم النفس Psychologique/ التحليل النفسي Psychanalytique/الطب النفسي Psychiatrique .

توضح نماذج الكفاية اللسانية مجموع المعارف التي يملكها المتكلمون عن لغتهم، ولكن حين تتحرك هاته المعارف في فعل تلفظي فعال، الشخصان المرسل والمستقبل يشغلان قواعد عامة تحكم سيرورات عقد السنن وحله، تلك القواعد التي في حال أصبحت واضحة في مجموعها (وهي الحالة البعيدة الحصول) فإنها تشكل نماذج الإنتاج والتأويل.

نقبل بكيفية مؤقتة فرضية: على خلاف نموذج الكفاية اللسانية، هاته النماذج مشتركة لدى كل المتكلمين، أي أن الكل يستعمل نفس الإجراءات حينما يرسلون / يستقبلون الإرساليات (الإجراءات التي ستكون حسب «ج. بول J. Pohl» عالمية ودائمة الصلاحية Pan chroniques).

نسجل أيضا، بين هذين النمطين من النماذج الاختلافات الآتية:

- في نموذج الكفاية، ترتيب القواعد غير ملائم[17] مبدئيا، في نماذج الإنتاج / والتأويل، هذا الترتيب يلعب على العكس دورا أساسيا إذ يتعلق الأمر بوصف سيرورات وراثية فعالة مرتبة فعلا من حيث مدتها.

- ترتكز نماذج الإنتاج والتأويل على نموذج الكفاية، اللذان يهدفان تشغيله، ولكن كل الوقائع الملائمة في الكفاية ليست مستعادة أيضا من طرف هذين النموذجين.

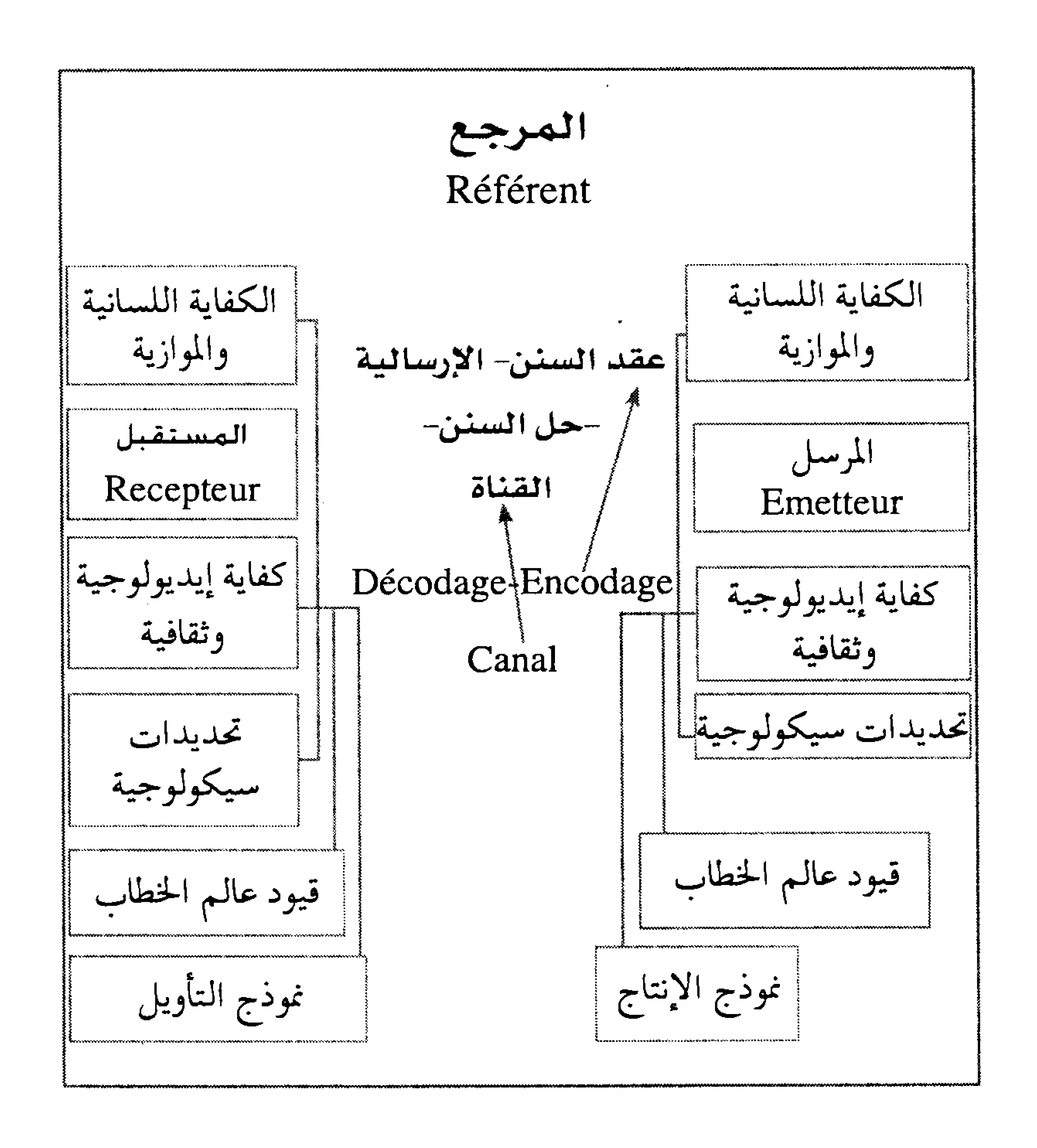
على سبيل المثال:

بينما كل الأشخاص يتوفرون على «كفاية ترادفية» («Compétence Synonymique») و«كفاية الاشتراك اللفظي» («Compétence

17 - نعلم أن في شأن ذلك يؤسس شومسكي N. Chomsky حجاجه الذي يتوخى البرهنة على أن الدلالة التوليدية = Sémantique Générative ليست إلا متغيرا مفهوميا للنموذج المعيارModèle standard.

Polysémique») [الشعور بوجود هاته الظواهر ومعرفة المناسبات حيث تلتقي]، مشكلة الترادف (الاختيار في الإجراء المنطقي الإبلاغي للوحدات) من طبيعة «إبداعية» أساسا بينما مشكلة الاشتراك اللفظي (اختيار في الإجراء المنطقي الدلالي) من طبيعة «تأويلية».

- على النقيض عوامل أخرى غير الكفاية اللسانية تتدخل في تكوين نماذج الإنتاج/التأويل: كفاية ثقافية وإيديولوجية، معطيات مقامية، إلخ...



3 - تعديل خطاطة التواصل

ها هو إذن بعد التعليقات المتقدمة، التعديل الذي نقترحه لخطاطة جاكوبسون[18] Jakobson :

ملاحظات

أ - يبدو لنا من غير الممكن الفصل بين الكفايات اللسانيات واللسانية-الموازية (الحركات الميمية) على اعتبار أن في الشفهي على الأقل التواصل «متعدد-القناة»: لإرسال الدلالات العمادات الصوتية واللسانية -الموازية التي تتقاطع على مستوى الوقائع التطريزية يتأكد تعاونها تبادليا.

في الدراسة التي استحقت الانطلاق من ملاحظة الوقائع الملموسة، وبالخصوص الاختلالات المرضية التي تختص باشتغال دورة التواصل،

ب - بوريل A. Borrel ول. نسبولوس J. Nespoulous يعتقدان أن تكلم، هي أولا مباشرة نخبة من مختلف أصناف العمادات الشكلية للتواصل [لسان، حركة، ميم...] هاته العملية ليس لها هدف إعطاء الامتياز لأحد الأنظمة السيميائية على حساب أخرى، عدد من العلاقات تبدو على النقيض ممكنة. هكذا نلاحظ في بعض الأحيان الحضور المتوازي لمختلف الأنظمة في إطار الخطاب على سبيل المثال:

إرسالية لسانية + حركة + ميم. في حالات أخرى مختلف العناصر تظهر تبادليا، حركة تأتي هاته المرة لتقوم مقام كلمة أو مركب إسمي أو فعلي (1975 P.103).

---

18 - هذا التقديم يدمج الكفاية الإيديولوجية (سلاكطا Slakta، ومختلف الأسس (الإيديولوجية، اللسانية، التحليلية، النصية) لكل من مالديدي Maldidier ونورمن C. Normand وروبين R. Robin.

أهمية السلوك الموازي للكلام Para–verbaux تظهر ضمن أخرى في الفعل الشفهي حيث اتجاه نظر المرسل هو الذي يعين مبدئيا المخاطب، وهكذا بشكل قطعي أكثر من استعمال «أنت» الضمير اللساني لأن الضمائر يمكن أن تعطي إمكانية استعمالات «زائحة» (إشكالية هاته الاستعارات الخاصة التي سنحللها بعد هذا تحت مصطلح انزياحات Enallages) : عندما يُقدَّم شخص في مقام التواصل ويكون معينا بمساعدة ضمير «هو» نستخلص إذن ما يلي:

– إنه يزاح من علاقة التخاطب إذا كان نظر المرسل متجها إليه.

– أنه يلعب فعليا دور المخاطب في الحالة المعاكسة (الـ «هو» تفسر إذن باعتبارها «استعارة» التي تلتقي في الإرساليات «التدليلية» Hypocoristiques من نوع: «كم هو ظريف رضيعي...!»).

ج – نطلق «عالم الخطاب» على شيء جد مركب ومتغاير الذي يشتمل على:

– المعطيات المقامية، وبالخصوص الطبيعة الخطية أو الشفهية لقناة الإرسال وتنظيم الفضاء التواصلي، موضوع تفكير «القرب» (هول[19] Hall، موسكوفيسي Moscovici). يجدر أن نوضح أن كل هاته المعطيات ليست ملائمة إلا على شكل «صور» (Images) التمثلات التي يكونها الأشخاص المتلفظون، ويجب على الخصوص أن يقبلوا في كفايتهم الثقافية الصور (ا) التي يحدثها المرسل (أ) والمستقبل (ب) حول أنفسهم وحول مقابلهم الخطابي. أي العناصر الأربعة التي رمز لها م. بيشو Michel Pécheux على النحو الآتي:

---

19 – بشأن القواعد التي تنظم الاتصال البصري (eye - contact) يمكن الرجوع لأعمال هول hall وشيغلوف Schegloff.

ص أ - (أ) [صورة «أ» لـ «أ»]: «من أكون حتى أتكلم معه بهاته الطريقة؟».

ص - أ - (ب) [صورة «ب» لـ «أ»] من يكون حتى أتكلم معه بهاته الطريقة؟

ص — ب - (ب) من أكون حتى يتكلم معي بهاته الطريقة؟

ص — ب - (أ) من يكون حتى يتكلم معي بهاته الطريقة؟

القيود الموضوعاتية البلاغية هي التي لها وزنها في الإرسالية التي نَهُمُّ بإنتاجها[20].

هاته العوامل المختلفة كما يوضح ذلك ف. هامون(P. Hammoun 1974 P. 119) لها خاصية جبرية نسبيا[21]، خاصية يقول عنها: «يدركها الأطفال مبكرا، حينما يكتشفون أن تركيبهم لإرسالية تتوسطه (مصفى، محدد سلفا) سلسلة من الصور الضمنية أو الصريحة التي تَحدُثُ، لإعادة النظر في الخطاطة السداسية الوظائف لجاكوبسون:

حول أنفسهم؛

حول خطابهم؛

حول عماد خطابهم؛

---

20 - بمعنى أن هذا المكون يأخذ بعين الاعتبار - في آن واحد - ما يصطلح عليه تودوروف Todorov 1973 P. 135 القيود التلفظية والخطابية في تعارضها مع القيود اللسانية الخالصة.

21 - نسبيا، لأن القيود المقامية تمكن على كل حال في اللغة الفرنسية - من لعبة مرنة شيئا ما على خلاف ديربال Dyirbal التي يُتكلم بها في كينلاند (دولة في شمال شرق أستراليا)، التي يبين لنا ديكسون Dixon-1971 P. 437 أنها تشتمل على متغيرين مختلفين كليا في المعجم: الكوال Le Guwal اللغة اليومية غير الموسومة (وغير الواضحة). والديالنوي Dyalnuy، لغة خاصة مستعملة إجباريا بحضور بعض الأقرباء «المحترمين»، استعمال إحدى اللغتين مرتبط كليا بحضور أو غياب شخص ما محظور العلاقة بالمتكلم أو قريبا من ذلك، ليس هناك أي اختيار آخر.

حول المرسل إليه؛

حول الحقيقة الاجتماعية والمادية.

هاته الصور يمكن اختزالها إلى حد ما: أكتب انطلاقا من الصورة التي يكونها قرائي عني، مشكلة العلامة المميزة للمؤلف التي تشتغل أيضا باعتبارها معيارا جبريا [...] كل علامة تقابل سلسلة من القيود أو المقتضيات (معايير) التي تأتي لتوجيه عمل المرسل».

4 - انتقادات (- ذاتية)

نمذجتنا للتواصل الكلامي، بمنح مكان للكفايات الأخرى التي تنضاف إليها الكفاية اللسانية، وكذا لمختلف العوامل التي تتوسط العلاقة لسان/كلام، وتمكّن من تحول إحداها إلى الأخرى، تُخضِع نظيرتها خطاطة جاكوبسون - كما يبدو لنا - لبعض الترتيبات الإيجابية ذات الاتجاه البياني (التخطيطي) جدا والاعتدالي- (-التوازني-) جدا.

خاصيات التواصل الكلامي

هذا العرض لا يكشف بعض الخاصيات المميزة للتواصل الكلامي (والتي تمكن من معارضته لأنماط أخرى من التواصل السيميائي[22] Communication Sémiotique) ، بمعنى:

- الانعكاسية Réflexivité: مرسل الإرسالية هو في نفس الوقت أول مستقبل لها[23]:

22 - مثلا: التواصل بين النحل ليس تقابليا ولا متعديا ولا انعكاسيا، نفس الشيء يقال عن الإرسالية التي تنتجها لوحات المرور: اللوحة لا ترسل لذاتها، والمتلقي لا يجيب المرسل بمساعدة نفس السنن.

23 - بل إنها الأهم بالنسبة لطوماتيس A. Tomatis الذي يعيد ويبرهن حول السمع واللغة أن «تَكلمَ هي أولا إدراك الكلام».

- التقابل La symétrie: الإرسالية الكلامية تدعو بصفة عامة إلى إجابة، أي أن كل مستقبل يشتغل في نفس الوقت مرسلا بالقوة (هاته الميزة تنطبق خاصة على الإرسالية الشفهية، مع أن بعضها يزيح حق الإجابة: بعض أنماط الخطاب الأستاذي[24] Discours Professoral، الخطاب المسرحي - الجمهور يتمكن بالتأكيد من الإجابة بواسطة بعض السلوكات الكلامية أو الميمية الحركية Mimogestuels ولكن التقابل يتضمن أن الإجابة تنجز بمساعدة نفس السنن[25]، وعلى النقيض التواصل التراسلي، مهما كانت طبيعة كتابتها فإنها تبيح وتجذب إجابة مؤجلة).

ملاحظـة

تفترض خطاطتنا أنه حينما يتكلم الواحد الآخر ينصت في صمت والعكس صحيح. أي أن المتحاورين يلعبان بالتناوب دور المرسل والمستقبل. هذا التبسيط المفرط (لأن مختلف المشاركين في الحوار عادة «ما يتكلمون في آن واحد). مقبول عند الاقتضاء فيما يتعلق بالسلوكات الكلامية بحصر المعنى، وضعية مثل هاته تمر - رغم ذلك - بطريقة عادية[26]. لكنه على النقيض - غير مقبول حينما يتعلق الأمر بالسلوكات

24 - إنه من اللاذع أن نعتبر استعمال الصيغة «يرد» (على التلميذ)، تطوقه بالحطة وتتضمن الوقاحة: هناك بالتأكيد عدة طرق «للرد»، ولكن تعدد معنى هذا التعبير، يظهر بالأساس أن التواصل التعليمي يفهم كما لو يجب أن يبقى لا - تقابليا Asymétrique.

الإنسان في الواقع مشكل على هيأة، وانطلاقا من طبيعته، أكثر استعدادا للسمع من أخذ الكلمة، الفيلسوف زينون Zénon الإيلي يبرهن على ذلك بشكل قاطع «أعطتنا الطبيعة لسانا وأذنين، لكي نسمع أكثر ونتكلم أقل».

25 - إنها نفس الحالة في المفاجأة (المصادفة) Le Happening التي توافق الاهتمام بأن يصبح كل التواصل المسرحي تقابليا.

26 - أثناء برنامج: فواصل Apostrophes المخصص لقضية: «الحداثة» في الأدب (8 déc. 1978)، بما أن التباس الأصوات يعطل الجدل بسبب ضجيجه المفرط، بيرنا ربيفو يعالج هذا الوضع المؤسف بواسطة تقسيم جيد في الموضوع (نشير إليه تقريبا): .../..

الموازية للكلام Para – verbaux لأن الاستعمالات الحوارية تريد على العكس من ذلك في الوقت الذي يتكلم فيه المرسل، يستجيب المستقبل بحركة إيمائية (إيماء تصديقي، حركة ارتيابية صادرة من الشفتين... إلخ)، استجابة التي في غيابها التام والمطول ينتهي بكبح خطاب الأول كليا. من أجل عرض وتقديم مثل هذا الاشتغال يجب ان تدقق الخطاطة على الشكل الآتي:

- من جهة المرسل، تدخل في الاشتغال

- كفايته الكلامية لعقد السنن

- كفايته الموازية لعقد السنن وحل السنن (سلوكات «فعالة» للمستقبل).

- من جهة المستقبل

- كفايته الكلامية لحل السنن («منفعلة»)

- كفايته الموازية لحل السنن وبعض عناصر كفايته لعقد السنن (وحدات ذات خاصية انتباهية = Phatique).

[الوظيفة الانتباهية وظيفة لغوية موضوعها ودورها يتحددان في إقامة وتثبيت الاتصال والحفاظ عليه بين المتحاورين (بعض صيغ الاحترام والتأدب لها وظيفة انتباهية)].

- التعدية **Transitivité**:

ترتكز على أنه إذا أرسل المرسل (س) المعلومة (م) إلى المستقبل (ص)، فبإمكان المستقبل (ص) أن يرسل بدوره (م) إلى (ط) (مستقبل آخر) دون أن يحدد بنفسه التجربة القيمية لـ (م). هاته الخاصية الأساسية

«اسمعوا، أعلم جيدا، في الأدب العصري، هناك غالبا «أصوات» متعددة مختلطة، لا نعلم جيدا من المتكلم، وليس له أية أهمية، لكن في التلفزة نحن لازلنا في العصر الكلاسيكي، هناك واحد يتكلم والآخرون ينصتون ...».

تمكن اللغة الإنسانية (في اختلافها مثلا على نظيرتها لغة النحل) من الاشتغال كآلة متميزة لإرسال المعرفة.

تعقد القضايا الإرسالية والاستقبالية

من جهة أخرى هذا العرض لا يحلل إلا الخاصية الأبسط، ةأخيرا الأندر للتواصل: التواصل المناظري Communication duelle (رأسا لرأس)، دون الحديث عن الخاصيات المعقدة للخطاب الأدبي. حيث توجد به القضايا الإرسالية والاستقبالية مزدوجة [كاتب / راو narrateur من جهة، قارئ/مروي له narrataire من جهة أخرى]، حالات متعددة من التواصل «المألوف» تنزاح عن هاته الخطاطة المناسبة، وسيكون من المستعجل وضع صِنَافَة نموذجية لمناسبات الخطاب التي تأخذ بعين الاعتبار عدد وحالات المشاركين في التبادل الكلامي.

أ – في مرحلة الإرسال يمكن أن نجد مستويات متعددة من التلفظ مركبة (إشكاليات الخطاب المنقول، تحول السنن[27] transcodage ... إلخ)، وجاكوبسون نفسه له إلمام بهذا حيث يعلن، فيما يتعلق «بمقتطف حوار» تم سماعه في القطار: «تحضر هنا سلسلة من المرسلين والمستقبلين حقيقيين أكثر من خياليين، حيث أكثرهم له دور بسيط تبادلي، ويحاولون سرد (لنسبة عريضة بشكل طوعي) إرسالية واحدة كانت (بالنسبة) لعدد منهم على الأقل) معروفة منذ زمن» (1973 P . 206).

نفس الشيء حينما يباشر معلن لوكالة، عملا إشهاريا، خطاطة التواصل تتشكل على النحو الآتي:

---

27 – في هاته المسألة، يمكن الرجوع لـ: ج. بول (J. Pohl. 1968. P. 50)، الذي يقترح تصنيفا لمختلف أنماط الوسائط البشرية: مبعوث، كاتب عمومي، كاتب، مبعوث برقيات، مؤول، مترجم، معمِّم، Vulgarisateur ، إلخ...

معلن ←وكالة ← إرسالية ←«هدف».

مرسل مركب

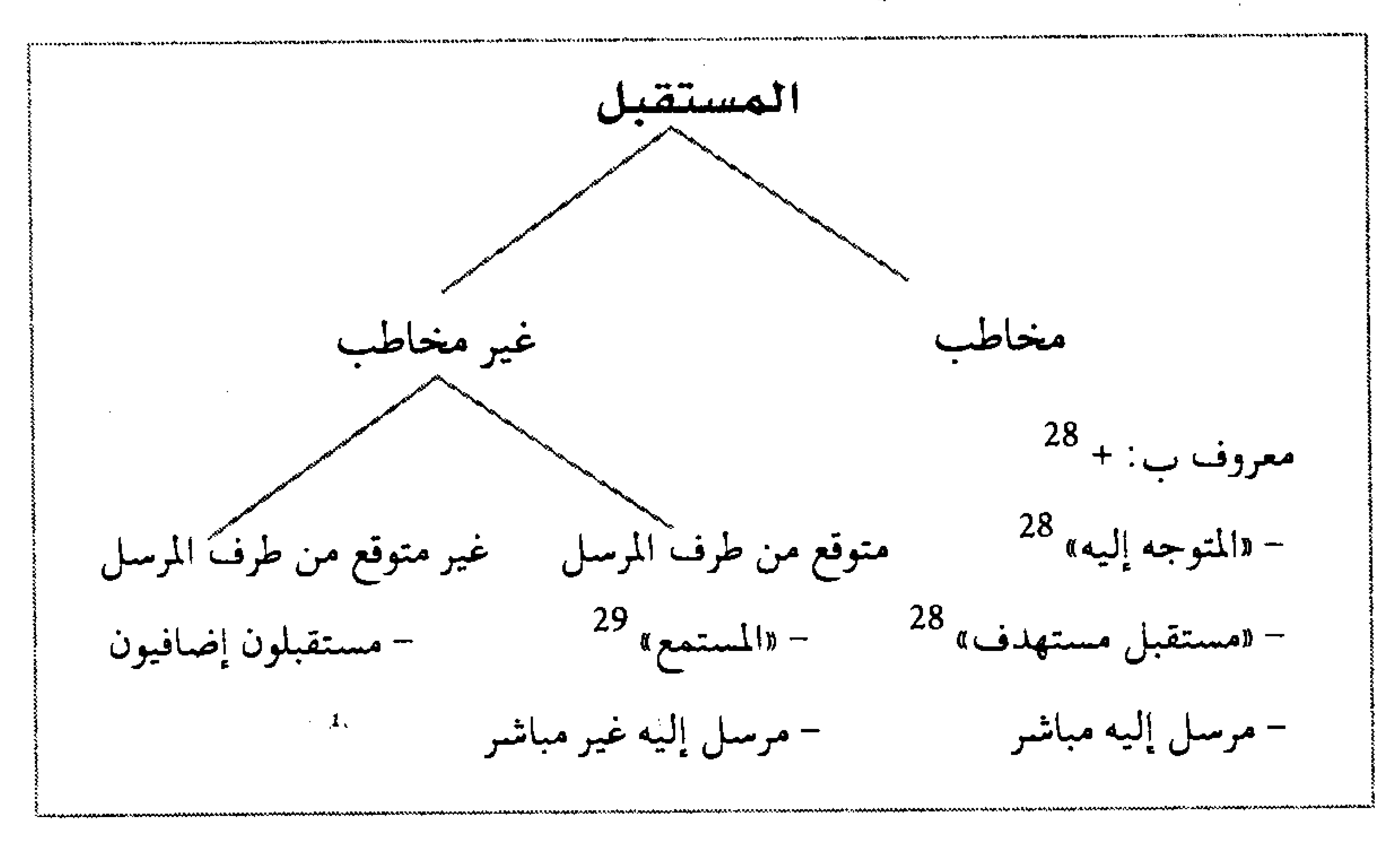
الوكالة نفسها تتضمن أدوار مرسلين مختلفين: مؤسس الإشهار، محرر - مفاهيمي، مصور، خطوطي...).

مثال آخر:

التواصل المسرحي La Communication Théâtrale

يُجبر هو أيضا - على أن نقبل بوجود سلسلة من المرسلين، المرسل الأصلي (الكاتب) يُناب عنه بواسطة سلسلة من المرسلين «مؤوِّلين» (المخرج / مهندس المناظر Décorateur، الإضائي، المثلون...).

ب - بينما فيما يخص فئة المستقبل، من المناسب تمحيصه هو أيضا بإدخال بعض المحاور المميزة Axes Distinctifs:



28 - نجد لدى Millmore (3 «Derxis I») هذا التعارض «المتوجه إليه» في مقابل المستمع هذا الأخير يعرف على النحو الآتي» الشخص الذي يمكن اعتباره فردا من مجموعة الحوار ولكن ليس عنصرا من ثنائي المتكلم / المخاطب.

29 - إنها العبارة التي يستعملها لاينز (Lyons (1978 P. 34.

- المرسل إليه بحصر المعنى، أو المخاطب (الذي يمكن أن يكون مفردا أو جمعا: معلوما أو مجهولا، حقيقيا أو خياليا).

- يحدد بفعل اعتباره صراحة من طرف المرسل (استعمال ضمير المخاطب و/ أو اتجاه نظر المرسل يشهد له) مشاركه في العلاقة الخطابية. وبالتالي تحدد جزئيا عمليات عقد السنن بواسطة الصورة التي يكونها عنه المرسل.

- يمكن للمرسل أن يهتم بالإضافة إلى ذلك بحضور: المرسلين إليهم «غير المباشرين Destinataires indirects في دورة التواصل، الذين - دون إدماجهم في العلاقة الخطابية بحصر المعنى يوظفون باعتبارهم شهودا «للتبادل الكلامي، ويؤثرون في بعض الأحيان بشكل حاسم (نماذج النكتة، خطاب جدالي، عروض مدافعة عن أطاريح... إلخ).

- يجب أخيرا أن نقبل بحضور مستقبلين إضافيين واحتماليين Récepteurs additionnels et aléatoires لكل إرسالية، مستقبلون لا يتوقع المرسل طبيعتهم التي تنجم عنها الطريقة التي يؤولون بها الإرسالية المنتجة. في هذا الإطار قد تقع إرسالية في أياد أخرى غير مستقبلها المقصود، أو أن محاضرة يمكن أن تسمع من فرجة الباب من طرف مستمع من المارة، إذ لا يترك للمرسل أي حظ للتحكم في الطريقة التي تمر بها الإرسالية.

2 - بالنسبة لكل واحدة من هاته الفئات الثلاثة من المستقبلين، عدد العناصر التي تقبل ضمها جد متغيرة، وتختلف تبعا لذلك الخاصيات الداخلية للإرسالية.

3 - المستقبلون المباشرون وغير المباشرين يمكن أن يكونوا حاضرين جسديا في المقام التواصلي أو غائبين عنه[30] (المستقبلون الإضافيون يعتبرون خارجين من هذا المقام قطعا).

---

30 - لذا من المفيد عدم خلط (1) المقام التواصلي مع (2) علاقة الخطاب Relation d'allocution: المخاطب يرتبط بالتحديد ب (2)، لكن ليس بالضرورة ب (1).

4 – قد تكون لهم إمكانية الإجابة أو لا تكون (تواصل تقابلي – تناظري / أحادي الجانب). وهذا المحور (الذي يهيمن على آخر: الإجابة يمكن أن تكون مباشرة أو مرجأة كما هو شأن التبادل التراسلي) لا يغطي المحور السابق، من هنا إمكانية تأسيس أربعة أصناف من المستقبلين على المحورين (3) و (4):

- حاضر + فصيح[31] Loquent (التبادل الشفهي اليومي).
- حاضر + بليغ[32] non Loquent (محاضرة من مستوى عال).
- غائب + فصيح (التواصل الهاتفي).
- غائب + بليغ (في عدد من أشكال التواصل المكتوب).

5 – في بعض الحالات المعقدة من التواصل ينقسم المستقبلون إلى «طبقات» متعددة التي ليس لها نفس الوضع التلفظي (أي أن هذا المحور يوضح ويبين المميزات المدرجة في (1)، فيما يلي بعض الأمثلة:

– في معرض الاستجوابات الإذاعية للشخصيات السياسية والعلمية، نلاحظ أن التسميات تأتي لتدقيق الخطاب باطراد غير مألوف، إذ بالإضافة إلى وظيفتها المعرفية والانتباهية العادية، تستعمل لإخبار المستمعين الذين لا يتوقفون في مجملهم عن التجدد خلال البرنامج على شخصية المستجوب. لا يمكننا أن نصف بشكل كاف وظيفة هاته العناصر التي تضم

---

31 – نأخذ هذا المصطلح عن م. مايار (1974) M. Maillard.

32 – الخطاب السينمائي يتعارض من حيث وجهة النظر هاته مع التواصل المسرحي، لهذا السبب التوجهات نحو المتفرج (أو الخطابات نحو المتفرج) التي نجدها في: [Pierrot le fou, Le Go-dard] توجد ضمنها بوضوح أكبر.

ملحوظة إضافية: في إحدى متتاليات هذا الأثر: ماريان Marienne وفرناند بيرو – Fernand Pierrot، يجلسان جنبا إلى جنب على المقعد الأمامي للسيارة يتحدثان بشغف:

– «أضع يدي على ركبتك»؛
– أنا أيضا ماريان؛
– أقبلك من كل مكان... «ولكن لا يفعلان شيئا. .../..

ينجم عن هذا المجاز السلوكي تأثير أقوى من «أقبلك»: العرفية في التواصل الهاتفي، الاختلاف موجود طبعا في وضعية المستقبل (حاضر/غائب، – إمكان/استحالة المرور إلى الفعل).

الوظائف المناداتية والإشارية إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار تركيب مستويين مختلفين ومتغايرين من الخطاب.

- في التواصل المسرحي يتحاور الممثل مع ممثلين آخرين حاضرين على الخشبة وبإمكانهم الإجابة، لكن وفي مستوى آخر مع الجمهور الحاضر [33] أيضا، لكن في الظل والسكون، ويمكن حسب الحالات تفضيل العلاقة المشهدية الداخلية Intra - Scénique أو العلاقة مع الحضور.

نصطلح على التوالي (م.غ) و (م.ح) على مستويي الاستقبال، إذا احتفظنا بالتعارض الاصطلاحي الذي يقترحه لافوريل P. Lavorel (1973 PP 146 - 147) وأن المونولوج monologue (مناجاة الممثل نفسه على خشبة المسرح) الهزلي والميلودرامي Mélodramatique (تمثيل عاطفي مثير) يحصل دون علم المتكلم بحضور مستقبل فضولي بينما المناجاة التراجيدية Soliloque Tragique لممثل ليس له متلقي غير الجمهور، يمكننا وصف الوظيفة التلفظية لهذين الصنفين البلاغيين على الشكل الآتي:

- حضور في الحالتين معا للمستوى (م.ح).

- بينما (م.غ) إنها مجموعة فارغة في حالة المناجاة، وتخص واحد أو عددا من المستقبلين الإضافيين في حالة المونولوج.

ملاحظات:

خارج هاتين الحالتين، كل مقطع مونولوجي Tirade يقبل في (م.غ) واحدا أو عددا من المستقبلين المباشرين، مضاعفين عند الاقتضاء بمستقبلين غير مباشرين.

- المستوى (م.ح) يمكن أن يماثل صنف المستقبلين غير المباشرين (الذين يصبحون مباشرين في حالة التوجه إلى الجمهور).

- Parler à la cantonade حسب المعجم: (Petit Robert 1967):
في المسرح، «تكلم مع شخص يفترض أنه في الكواليس» [حضور إذن في (م . غ) لمرسل إليه مباشر، لكن غائب عن فضاء الخشبة)، عادة: تكلم وكأنه لا يتوجه إلى أي شخص بالتحديد».

(أي: غيَّاب متلق مباشر ولكن حضور متلقين غير مباشرين). على إثر تحليل - في مجلة نسائية - النص التلفظي الذي تسجل فيه مراسلة القارئات، تلاحظ شبرول (Chabrol (1971 P. 100، دون مع الأسف - توضيح أشكال مميزة لتسجيلها في الملفوظ (القول) Enoncé فإن مارسيل سكال Marcelle Ségal تتوجه إلى القارئة المثالية أكثر من مراسلة خاصة: «القارئة المثالية مسجلة في الخطاب. هاته الخاصية تفسر الطابع المنحرف لأجوبة سكال Ségal. إنها لا تتوجه إلى مراسلة لكن إلى القارئة المثالية. المراسلة تصبح الشخصية الثالثة للحوار».

- آخر مثال للتعددية الممكنة لمستويات الاستقبال: اللون البرتقالي: رواية آلان جربير (Alain Gerber (Ed. Laffont 1975 مهداة لماري جوزي Marie José التي تُذكر مستجوبة منذ الجملة الافتتاحية: («ما أحب، هو اللون البرتقالي أتعرفين؟). ولكن دون شك يتمنى قارتين آخرين غير هاته المستجوبة ذات الأهمية الخاصة: من المناسب إذن، هنا أيضا، الأخذ بعين الاعتبار في وصف المنطوق الخطابي الذي يؤطر هذا النص - مستويين متغايرين من المستقبلين.

ملاحظة:

يحصل في بعض الأحيان (وهو جلي في مثال مارسيل سيكال وهو رابط هزلي استعمله موليير بوفرة) أن السلمية الحقيقية لمستويات الاستقبال تكون معكوسة بالنسبة لسلمية الأصل، أي أن الذي يسجل حرفيا في الملفوظ Enoncé (القول) باعتباره مستقبله غير المباشر يوظف في الواقع

مخاطبا حقيقيا: يمكننا في هاته الحالة الحديث عن المجاز التواصلي Trope Communication.

6- يمكن أن يكون المستقبل أيضا حقيقيا، افتراضيا أو خياليا - صوريا، يصبح كذلك بفضل الذريعة التي ترتكز على منح القارئ الافتراضي المظاهر والقدرات المخصوصة بكائن حقيقي، مثل ملكة الكلام. حينما يفترض ديدرو أن تصدر من قارئه معارضات، تشنجات، شكوك («أستمع إليكم، تكلمتم بكفاية، ورأيكم هو أن نضجر من إدراك مسافريْنا»)، يحافظ على وضعه الحقيقي كونه افتراضيا. لكن بمجرد آخذه الكلمة (... بينما أقدم لكم هاته القصة، التي تعتبرونها حكاية... وعن تلك الخاصة بالشخص ذي الخلعة التي يجرف من الشاطئ المرجاني الذي لا ينحسر عند الجزر؟ القارئ، أواعدكم)[33]، القارئ بوصوله إلى الكينونة يجد نفسه بنفس الضربة مقذوفا في الخيال. بعيدا عن بعض الحدود، تسجيل الآخر في خطاب الأنا تتأرجح في لا - واقعية مستوعبة بكيفية متقنة حسب لوكونتر S. Lecointre ولوكايو J. Le Gaillot من خلال ديدرو Diderot.

7- في تعريف المتلقي من المناسب إدخال العلاقة الاجتماعية والانفعالية التي تؤثر في المتكلم. هاته العلاقة تتحدد انطلاقا من معايير مختلفة (حسب درجة الألفة الموجودة بين عنصري التبادل الكلامي، طبيعة الطبقة التي تفرق بينهما عند الاقتضاء، والعقد الاجتماعي الذي يربط بينهما) لكن تعود حسب دلفين بريت Delphine Perret.

إلى محور رئيسي تدريجي: | مسافة / لا مسافة |

33 - مقطع مأخوذ من جاك الجبري Jacques le fataliste [الجبري = المؤمن بالقضاء والقدر]. أعمال ديدرو 544 -528 . Diderot- Gallimard 1951 P أشار إليها لوكوينتر Lecointre ولو كايو 1972) Le Gaillot).

الذي يتضمن كلا من محور التآلف ومحور الهيمنة الاجتماعية والتي تتدخل مثلا بكيفية قاطعة في استعمال الضمائر «أنتم» مقابل «أنت».

*** التفاعل الموجود بين هاته المكونات المختلفة**

لكن العائق الأساسي لخطاطتنا، أنها لا تموضع في الخانات الخاصة إلا المصطلحات (بمعنيي هاته الكلمة):

أ – ليست إلا كلمات حيث يتعلق الأمر بإعطاء مستوى مرجعي محدد. ماهي الحقيقة التي تغطيها هاته العلامات بالتحديد؟ العنصر الوحيد الذي يمثل إلى الوقت الراهن مادة الدراسات المعمقة، هو الكفاية اللسانية (مدركة بشكل مقيد). بينما بالنسبة للمكونات الأخرى للتواصل تبقى إلى حد الآن أرضا غير معروفة أو أقرب من ذلك.

ب – إنها مصطلحات علاقة: مختلف مقومات هذا النموذج متقاربة الواحدة مع الأخرى، وموضوعة في المكان الذي آلت إليه، كما لو لم يكن بينها أي مشكل لتعريف تخومها، ولا أي نوع من التفاعل.

بعض الأمثلة توضح ذلك:

1 - المرسل والمستقبل، في هاته الخطاطة، متواجهان، ومحيطهما الخاص كفقاعتين مغلقتين، يحترسان بكيفية جيدة من التقاطع. عملنا آنفا على إدخال بعض التصحيحات على هذا التقديم بقولنا أن كل مستقبل هو في نفس الوقت مرسل بالقوة، وأن في الكفاية الثقافية Compétence Culturelle لطرفي التواصل يجب إدماج الصورة التي يكونانهما عن نفسهما، والتي يكونانها عن الآخر، والتي يتصوران أن الآخر يكونها عنهما: لا نتحدث إلى مرسل إليه حقيقي، ولكن من نظن معرفته، بينما المرسل إليه يحل سنن الإرسالية بواسطة ما يظن معرفته حول المرسل.

* التفاعل: يعني تداخل الأفعال واستدعاء فعل لفعل آخر.

لكن هاته التحفظات لازالت ضعيفة جدا، لأن المتحاورين لا يحاولان آخذ الكلمة بالتناوب معتبرِيْن الصور التي كوناها دفعة واحدة أحدهما عن الآخر: هناك تغير متبادل للمشاركين في الخطاب بإزاء مجريات ما يسميه بعض المنظرين نحو فاتسلا فيك Watzlawick: تفاعل Interaction. من جهة أخرى، بالرغم من أن كفايتهما ليست متطابقة أيضا على الوجه الأكمل كما يفترض جاكوبسون Jakobson، فإنه لسقوط في التضخم المعكوس بتقديمهما كأنهما منفصلين تماما، إذ أنهما يتقاطعان لاسيما وأنهما يهدفان أن يتكيف الواحد مع الأخر خلال التبادل الكلامي Echange Verbal.

كل واحد يشكل في بعده الخاص - صحيح أنه جد متغير - سننه (Code) الخاص لما يفترضه لدى الآخر. بعض التوليديين Générativistes يسلمون بهذا في موضع آخر ويحاولون ترتيب التصور المعيار «متكلم - مستمع مثالي Locuteur – auditeur idéal بطرح مسلمة وجود كفاية تواصلية Compétence Communicationnelle (شعور بوجود بعض الاختلافات اللهجية: Lakoff)، أو أكثر من ذلك كفاية واصفة Méta–compétence (فوندرليش :Wunderlich 1972. P. 47): التي تشكل أيضا جزءا من الكفاية اللسانية، نوع من الكفاءة الواصفة بمعنى، الكفاية على إعادة تنظيم مستبطن سلفا، من أجل بلورة قواعد موجودة لإنتاج الجمل والإدراك اللساني لاستيعاب عناصر جديدة في المعجم، إلخ... يحدث هذا كل مرة يقبل مستمع (من المناسب إضافة (ومرسل)) الكفاية اللسانية المختلفة لأحد المشاركين في التواصل ويحاول استيعابها. مهما كان الوضع الذي نخصصه في النموذج للظاهرة فمن الأكيد (واستعمال القرائن الإشارية توضح لنا ذلك) أن كل فعل كلامي يقتضي بذل بعض الجهد «لجعل نفسه

مكان الآخر» (وهو بذل - على العموم - كما يوضحه لنا أيضا اشتغال القرائن الإشارية، أكثر حجما بالنسبة للمستعمل من المرسل=. وأن التواصل ينبني على هذا التنظيم الناجح والمرغوب فيه تقريبا من الأنظمة الاستدلالية للمتحاورين».[34] (Culioli 1973 P. 87).

2 - مسألة الكفاية الإيديولوجية Compétence idéologique سنتناولها بعد قليل، ولكن لنقل منذ الآن أن الإيديولوجيا باعتبارها تكوّن نسقا من المضامين المستقلة والقابلة للتمظهر في كل أشكال السلوكات السيمولوجية، توظّفُ من كل جانب وخاصة المضامين اللسانية، وأن الحدود بين الكفايتين اللتين قدمناهما بخاصية مكثفة هي في الحقيقة نفيذة.

3 - نظام المرجع هو أيضا مركب. من جهة يوجد خارج الإرسالية ويحيط بالتواصل. لكنه في نفس الوقت مرتبط به، باعتبار أن جزءا من هذا المرجع حاضر بكيفية ملموسة وقابلة للإدراك في الفضاء التواصلي Espace Communicationnel وهو ما نعني عموما بمقام الخطاب Situation du discours؛ حيث جزء آخر (الذي يمكن أن يلتقي جزئيا في «خطاب المقام» بالسالف الذكر) من هذا المرجع يتحول إلى مضمون الإرسالية؛ فينعكس في الأخير في «الكفاية الإيديولوجية والثقافية» للأشخاص، أي مجموعة المعارف التي يملكونها والتمثلات التي يكونونها عنها، مجال امتدادها (أي امتداد الكفاية الإيديولوجية والثقافية) إذن متشعب.

---

34 - شريط سينمائي لجون شيمث Jean Schmidt مثل الملائكة المقذوفين من كوكب القديس ميشيل (وثائقي حول: Les Zonards = الجانحين، وآخر Sous prolétaires Urbains الكادحين المدنيين) يعطي مثالا للشخص المربي الذي بسبب بقائه غامضا («والمقاومة التي نظمتموها مجتمعين هل تغير الصورة التي وضعتها حول المهاجرين؟» — «كيف تكون هاته هي الصورة؟؟»)، يضرب دون انقطاع على وترين، ويعتقد أنه مجبر على ترجمة الصيغ التي تأتيه تلقائيا على شفتيه إلى لغة الآخر (الذي يفضي مثلا إلى قضية وجوده خارجا بصفة كلية عن دوائر الإبداع).

4 - القناة Le canal: هي قبل كل شيء عماد الدوال Support des signifiants، لكنها تشتغل في نفس الوقت باعتبارها مصفاة إضافية. لأن طبيعة القناة ليست دون تأثير حول الاختيارات اللسانية، وهي ظاهرة معروفة في الإشهار إذ طبيعة الإرسالية تتغير مع طبيعة العماد[35].

5 - أما فيما يخص «عالم الخطاب» Univers de discours فيدمج من جهة - قلنا هذا - المعطيات المقامية والقيود النوعية، إلا أن هاته الحدود الداخلية غير واضحة المعالم بنفس الدرجة مع الحدود الخارجية، نظرا لما يلي:

- القيود البلاغية يتحدد جزء منها بالمعطيات المقامية.

- يمكن أن نعتبر المرسل والمستقبل طرفين مدمجين في المقام التواصلي Situation de Communication.

- أخيرا المقام يدمج جزءاً من المرجع لكن أيه ؟ ما يراه المتكلم والمخاطب؟ ما يمكنهما رؤيته بتغيير حقل نظرهما، دون أن يغيرا مكانهما؟ بتغيير مكانهما ؟ ولكن، في أي مدى يمكن حصر مرجع المقام؟

سنكون إذن عاجزين على الإجابة على كل هاته الأسئلة خطاطتنا (لأن «النموذج» يكون كلمة جيدة كبيرة متعلقة بشيء جد ضعيف البنينة). لها أحقية إثارتها، لتوضيح أن كل المعايير الخارج - لسانية بعيدة على أن تحضى بموضع هامشي فيها، والتمكن من حصر الأدوار التي تنتظر لسانيات «الجيل الثاني» التي نادى بنفنست Benveniste بأهدافها: البحث في كيفية تمفصل مختلف الكفايات فيما بينها، كيف تشتغل في عقد السنن وحله هاته المصفاة المركبة التي هي «عالم الخطاب»؛ كيف تنجز في مقام معين الموضعة المرجعية للإرسالية اللغوية؛

35 - نعرف العبارة المشهورة لـ «ماك لوهان» Mac Luhan: «الإرسالية هي الوسيط». وكمثال (خاص بالتواصل السمعي البصري) على تأثير القناة على الخاصيات الداخلية للإرسالية يمكن الرجوع لـ أمبرطو إيكو UM. E co - 1972 P. 19.

أخيرا محاولة بلورة هاته النماذج الخاصة بالإنتاج والتأويل التي تمكّن من تحويل اللغة إلى خطاب.

II – التلفظ L'Enonciation

جاء الوقت الآن لتحديد حقل دراستنا، أي تقديم جواب على هذا السؤال: ما هو التلفظ؟ ما الذي يجب أن يكون، ما الذي يمكن أن يكون موضوع «لسانيات التلفظ»؟ في هذا الحد تظهر الفجوة التي تفصل هاته «الإمكانية» على «الواجب» والغموض الذي يكتنف مفهوم التلفظ.

1 – اعتبارات دلالية حول كلمة «التلفظ»

المعنى الأصلي

كل الألسنيين مع ذلك يتفقون على المعنى «الحقيقي» المناسب إسناده لهذا المصطلح:

– بنفنست: «التلفظ هو تحريك اللغة بواسطة فعل فردي استعمالي».

Benveniste - 1970 P. 12

– أنسكومبر ودكرو «التلفظ سيكون بالنسبة لنا نشاط لغوي يمارسه المتكلم في الوقت الذي يتكلم فيه» [لكن أيضا من طرف الذي يسمع في الوقت الذي يسمع فيه].

Anscombre, Ducrot: 1976 P. 18

نقول إذن أن التلفظ من حيث المبدإ مجموعة الظواهر التي يمكن ملاحظتها حينما تتحرك خلال فعل تواصلي خاص مجموعة العناصر التي وضعنا خطاطتها آنفا.

لكن أنسكومبر ودكرو يواصلان هكذا:

«[التلفظ] هو إذن من خلال الماهية التاريخية، الظاهراتية، على حاله، لا يتوالد أبدا مرتين مماثلا لنفسه». إذا كانوا قد اتفقوا على حقيقة

طبيعته، فإنهم أجمعوا (أي الألسنيون) على الإقرار باستحالة تكون موضوع دراسة التلفظ على هذا التصور: بل هو في الحقيقة «النموذج الأصلي لِلاً مفكّر» لأننا لا نعرف أبدا إلا التلفظات المتلفظ بها». تودوروف Todorov - 1970 P. 3.

أول انزياح دلالي

لهذا السبب، يخضع المصطلح بسهولة - انطلاقا من قيمته الأصلية - إلى أول انزياح دلالي ذي خاصية كنائية، انزياح يفسر من جهة بالاستحالة المنهجية لتناول التلفظ في معناه الحقيقي بواسطة تعليل الدال (اللاحق tion ـ يعين في اللغة الفرنسية معاني متعددة الفعل ونتيجة الفعل) في حين أن في الأصل التلفظ يتعارض مع الملفوظ Enoncé (أو القول) باعتباره فعلا un acte مع نتيجته، سياق دينامي بنتيجته السكونية، عرف المصطلح بكيفية تصاعدية تجمد معناه التقريري، مثل هذا النص اعتبر تلفظا، بينما المعنى الأول يصبح موسوما في علاقته مع المشتق، بل يعلل من جديد على شكل «فعل التلفظ».

يمكننا إذن أن نتساءل في أي اعتبار وعلى أي مدى يتعارض التلفظ أيضا مع الملفوظ. قبل الإجابة على هذا السؤال نريد أولا أن نشير بسرعة إلى أن مصطلح الملفوظ Enoncé هو الآخر متعدد الدلالات، هكذا يمكننا أن نميز بين الاستعمالات الاصطلاحية الآتية:

الملفوظ 1: جملة مفعلة (روفي Ruwet-1967 P. 368)؛ (لاينز Lyons (1970 - P. 42, P 102 (سبيربر Sperber = 1975- P. 389).

الملفوظ 2: وحدة عبر ـ جملية Unité Transphrastique متوالية مبنينة من الجمل (كوينز Kuentz 1960- P. 86) التي يمكن تصورها في اللسان أو الكلام.

الملفوظ 3: متوالية من الجمل المأخوذة من اللسان (مقابل «الخطاب»: كسبين Guespin 1971 - P. 10).

الملفوظ 4: متوالية من الجمل المفعلة (دوبوا Dubois، سومبف Sumpf = 1969 – P. 3).

محوران متغايران يوجدان متضمنين في هذا التعدد الدلالي (الاشتراك اللفظي)[36]:Polysémie: محور تعارض لسان / كلام، محور الرتبة L'axe du rang (بُعد الوحَدة المعنية). من أجل توضيح المسألة: يمكننا أن نقترح تعارضا بحسب محور الرتبة بين مصطلحي «الجملة» و«الملفوظ» واستعمالهما وحدتين معجمتين مشتركتين تضم ستة عناصر:

جملة	جملة	جملة	مقابل	ملفوظ	ملفوظ	ملفوظ [37]
مجردة	مفعلة			مجرد	مفعل	

لا يهم كثيرا الاختيار في هذا التعقيد الاصطلاحي بل المهم هو محاولة توضيح الحدود بين الملفوظ والتلفظ بدءا من الوقت الذي ينتهي فيه إدراك الثاني باعتباره فعلا لإنتاج الأول، وبالنظر إلى أن الشيئين يوجدان انطلاقا من هذا متقاربين بكيفية خاصة.

---

36 – يتعلق الأمر بالتعدد الدلالي Polysémie وليس بالجناس Homonymie:

م (2) / م (3): علاقة اشتمال؛

م (2) / م (4): نفس الشيء؛

م (3) / م (4): علاقة تناقض

م (1) / م (4): علاقة من الجزء إلى الكل من المعاني التعينيية Les dénotés المطابقة.

37 – أما بالنسبة لأوزفالد دكرو O. Ducrot فيتبنى النسق الاصطلاحي الآتي:

جملة / ملفوظ	في مقابل	نص / خطاب
(مجردة) (منجز)		(مجرد) (منجز)

نقول في الحقيقة يتعلق الأمر بنفس الشيء وأن الاختلاف في احتمالية هذا الشيء: «الملفوظ المدرك باعتباره شيئا حادثا، تخريج كلي من طرف المتكلم الذي أنتجه، يحل محل (في منظور لسانيات التلفظ) الملفوظ الشيء المنتَج، حيث يُسجِّل المتكلم دوما داخل خطابه الأصلي، في نفس الوقت الذي يدرج فيه الآخر بواسطة السمات التلفظية Marques énonciatives» (بروفوست شوفو Provost – Chauveau = 1972. P. 12).

لوسيل كورديس Lucile Cordesses تعبر بكلمات قريبة عن فكرة مماثلة، تقول في اللحظة التي عدلنا فيها عن اعتبار التلفظ فعل إنتاج الملفوظ، «المشكل الذي يطرح هو اكتشاف قوانين التلفظ انطلاقا من الملفوظ المحقق، هل توجد بنيات خاصة للتلفظ، عناصر منفصلة خفية قابلة للتحليل تمكن من تأسيس إجراء التلفظ بكيفية واضحة داخل الملفوظ مثل خيط من السدى خفي لكن حاضر في النسيج» (1971 - P. 23).

على هذا النحو ستكون إشكاليتنا أيضا: استحالة القدرة على دراسة فعل الإنتاج مباشرة، نبحث في تحديد ووصف آثار الفعل في المنتوج، أي مجالات التسجيل في اللُّحْمة التلفظية لمختلف مكونات الإطار التلفظي.

ثاني انزياح دلالي:

من بين هاته المكونات المختلفة، هناك مكون نصادفه باستمرار يوليه أهمية منظرو التلفظ، والاستشهاد السابق لأنسكومبر Anscombre ودكرو Ducrot يُبينه بوضوح («سيكون التلفظ بالنسبة لنا النشاط اللغوي الممارس من طرف المتكلم...»): إنه مرسل الإرسالية، ميزة الذي يُضَمن ويبدع في آن واحد الحد غير الناضج نسبيا للتلفظ»، إذ بالرغم من أن الاستعمال اللساني يهدف وضع وحدة معجمية مشتركة تحايد التعارض عقد السنن / حل السنن، فإن الاستعمال المشترك (تَلَفَّظَ: هو

إنتاج، أكثر منه تفسير للإرسالية أو تأويلها). يهدف بإصرار لتلويثه[38]. لهذا السبب فإن مصطلح التلفظ إضافة إلى الانزياح الكناتي المعلن آنفا، متأثر مرارا بنمط آخر من الانزياح الدلالي الذي يعود لاختصاص (اختزال الامتداد): عوض ضم مجموعة المسافة التواصلية، يُحدَّد التلفظ إذن بآلية توليد النص، انبثاق المتلفظ في الملفوظ، إدماج المتكلم في كنف كلامه.

2 - التلفظ المقيد والممدد

على اعتبار أن المنظور المتبع هل يقبل اختزال المفهوم أم يرفضه، سنتحدث عن لسانيات التلفظ المقيد أو الممدد:

أ - بتصور شامل، لسانيات التلفظ لها هدف وصف العلاقات التي تنسج في الملفوظ ومختلف العناصر المكونة للإطار التلفظي، خاصة:

* المشاركون في الخطاب (مرسل ومستقبل (ون)).

* وضعية التواصل.

- المناسبات الفضائية الزمنية.

- الظروف العامة لإنتاج الإرسالية واستقبالها:

طبيعة القناة، السياق الاجتماعي التاريخي، قيود عالم الخطاب، إلخ.

نصطلح «وقائع تلفظية» Faits énonciatifs على الوحدات اللسانية كيفما كانت طبيعتها، فئتها، بُعدها، التي توظف باعتبارها أمارت التسجيل - في كنف الملفوظ - للواحد أو الآخر من المعايير التي تم ذكرها، والتي من هذا المنطلق تكون حاملة لخاصيات دلالية مشتركة مميزة نصطلح عليها الوحدة التلفظية الدنيا Enonciatème.

38 - بالطريقة نفسها، أحسن كوليولي Culioli صنيعا: متلفِّظ الإرسالية هو أولا وجريا على العادة مرسلها.

يرجع الفضل للسانيات التلفظ في تعريف ووصف وبنينة مجموعة الوقائع التلفظية أي:

- وضع جرد لعماداتها الدوالية ومضامينها الدالة؛
- بلورة بنية رمزية تمكن من تصنيفها.

مبدأ التصنيف الأكثر ملاءمة يبدو كالآتي:

- ملفوظ يرجع للمتكلم.
- ملفوظ يرجع للمخاطب.
- ملفوظ يرجع للوضعية التلفظية. (أو المقام التلفظي)

وهو الذي نتبناه بالرغم من عدم كفايته بكيفية شاملة:

- يمكننا أن نعتبر في الحقيقة أن المتكلم والمخاطب طرفان مندمجان في المقام التواصلي.

- بعض الوقائع التلفظية كتلك التي تعكس العلاقة التي يحافظ عليها المرسل عن طريق الملفوظ مع المستقبل لاتجد مكانا في أية زاوية من الزوايا الثلاث.

- وأخرى بالمقابل تتداخل في عدة زوايا، لهذا السبب اشتغال الإشاريات Déictiques يقحم: المتكلم + المخاطب (بكيفية ثانوية) + الوضعية الفضائية الزمنية للمتكلم (وعند الاقتضاء للمخاطب أيضا).

ولكن الذي يتوقع في تعريفها، هو أنها تُمكّن المتكلم من تملك جهاز التلفظ، وتنسيق مجموع الفضاء الخطابي حول ظروفه الزمانية والفضائية الخاصة. يمكن دراسة الإشاريات إذن في منظور المتكلم الناسخ Locateur – scripteur إنها القيمة المهنية للظاهرة المعنية التي سنحدد انتماءها لهاته الخانة أو تلك[39].

---

39 – الخاصية الوصفية التي نعتمدها هنا ترتكز على الافتراض (غير اليقيني، نقبله مع ذلك) الذي بالرغم من كون مختلف مكونات الإطار التلفظي تتعايش بالضرورة وجدليا في

ب — بتصور مقيد، لسانيات التلفظ لا تعنى إلا بإحدى المعايير المكونة للإطار التلفظي: المتكلم - الناسخ، تلك هي الخاصية الوصفية التي نحتفظ بها فيما يتعلق على الأقل بالقدر الأكبر من دراستنا، في هذا المنظور المقيد، نعتبر وقائع تلفظية، الأمارات اللسانية لحضور المتكلم في ملفوظه، مجالات التسجيل وطرق حضور ما سنسميه مع بنفنست Benveniste الذاتية في اللغة = La Subjectivité dans la langue، سنولي الاهتمام إذن بالوحدات «الذاتية» فقط (التي تشكل مجموعة فرعية للوحدات التلفظية الحاملة لوحدة دنيا ذاتية دالة Sujectivère (حالة خاصة للوحدة الدنيا التلفظية Enonciatème).

هاته الذاتية كلية الوجود: كل هاته الاختيارات تتضمن المتكلم ولكن بدرجات مختلفة. فرضيتنا في العمل ستكون أن بعض الوقائع اللسانية من وجهة النظر هاته ملائمة أكثر من غيرها، هدفنا هو موضعة وتحديد نقط الإرساء هاته الأكثر جلاءاً للذاتية اللغوية.

3 - الخلاصة

أوضحنا سابقا أن مصطلح «التلفظ» انطلاقا من قيمته الأصلية يتعرض لانزياحين دلاليين، وارتباطا بذلك إشكالية التلفظ تتعرض لنمطين من التحويل، حيث يبدو الأول حتميا (إننا منهجيا، مقيدين بإشكالية الأمارات Les Traces)، بينما الثاني فَظَرفي وعابر، إذن سنقبل بكيفية مؤقتة هذا الاختزال - لأنه يمكّن - بعد حصر حقل البحث من عدم إضاعة الكثير منه.

كل فعل تواصلي، فإنها ليست غير قانونية بصفة شاملة — من وجهة النظر المنهجية - للتفكيك (كل المشروع اللساني يرتكز إذن على عمليات تفكيك معينة - مثل بعدي المحتوى والتعبير، اللذان مع ذلك - كما يعرف الجميع - غير قابلين للتفكيك مثل جهتي الورقة ...).

نظرا لهذا التشعب المزدوج للمفهوم، يمكن تعريف إشكالية «التلفظ» (إشكاليتنا) على النحو التالي: إنها البحث في الإجراءات اللسانية (إشاريات Shifters كلمات صيغية Modalisateurs، كلمات تقويمية Termes évaluatifs، إلخ...) التي بواسطتها يسجل المتكلم طابعه على الملفوظ، ويندرج في الإرسالية (بكيفية ضمنية أو ظاهرة) ويتموضع بالنسبة لها (مسألة المسافة التلفظية) إنها محاولة معْلَمَة ووصف الوحدات من طبيعة ما ومن مستوى معين، التي توظف إشارات لتسجيل الشخص المتلفظ (المتلفظ) Sujet de l'énonciation في الملفوظ L'Enoncé.

في المرحلة الأولى إننا بصدد مَعْجَمَة Lexologie مختزلة، هكذا هو التعبير الجديد (مشكل من المصطلح اليوناني Lexis). بمساعدته يقترح رولان بارث (Roland Barthes - 1978 -P. 9) تأسيس لسانيات «التلفظ»، مختزل، لأن من بين مختلف المعايير التي يمكن اعتبارها ملائمة في إطار هاته الإشكالية لن نحتفظ إلا بالمعيار الأول ونركز تفكيرنا على الأمارات (الآثار) الموجودة في الملفوظ وتخص المرسل - الناسخ Locuteur Scripteur -، مختزل لأن دراستنا تنحصر في الظواهر الأكثر ابتذالا في الخطاب الأكثر اعتيادا للذاتية اللغوية Subjectivité langagière، وأن حذلقات الخطاب الأدبي التي سيصبح من المؤكد الإشارة إليها على مستويات متعددة، لن تشغل أبدا المشهد القبلي لتفكيرنا، الذي يمكن أن يبدو بهذا الخصوص فظا شيئا ما.

فرضيتنا ومنهجنا في العمل سيكون نفسه الذي يتبناه كل من سيمون لوكوينتر Simone lecointre وجون لوكايو Jean le Gallot (1972) (PP. 222 - 223) في تطبيقية على النص الأدبي: Jacques le Fataliste (جاك الجَبْري: المؤمن بالقضاء والقدر): «ينبغي التمييز بدقة بين ما قيل: الملفوظ Enoncé - وحضور المتكلم داخل خطابه: التلفظ Enonciation

إذا توارى هذا الحضور بمقاربة موضوعية، فإن التمييز السابق يتوضح عمليا. والحالة هاته يوجد جرد مفهرس [...] من الأشكال اللسانية التي تترجم فعلا ملكية المرسل لخطابه الخاص. إننا موجهون في الأبحاث من هذا النمط نحو عزل أنساق الإشارات من بينها الضمائر، الأشكال التصريفية للأفعال، المكونات الفضائية، وبصفة عامة مجموع الصيغ التي تؤسس العلاقات بين المتحاورين والملفوظ».

على نحو مماثل ويتعلق بالمتكلم بشكل منفرد، إنها أماكن الإرساء الأكثر وضوحا للذاتية اللغوية (لوكوينتر Lecointre ولوكايو Le Gallot لازالا يتحدثان عن «النقط المدركة») حيث سيتعلق الأمر بالنسبة لنا بعملية جردية.

بعد اختزالها بقساوة، نوسع في مرحلة ثانية المنظور الوصفي La perspective descriptive: ندمج من جديد المعايير التلفظية التي تم حذفها بكيفية جائرة من قبل. ثم نشير إلى بعض الأعمال التي تشارك من وجهات مختلفة في جرد الحقل المعجمي.

الفصـل الثالث

كفايات المتكلمين

- كيربرا أوريكيوني

تحليل لساني تداولي

تأويل القول سواء تعلق الأمر بمضمونه الظاهر أو المضمر هو بكل بساطة تطبيق مختلف كفاياته على مختلف الدوال المسجلة في المتوالية بشكل يمكن من استخلاص المدلولات. فقط.... لكن بمجرد أن نترك مستوى المبادئ لنحاول توضيح طبيعة العمليات التأويلية المنجزة بالملموس فلم يعد يتعلق الأمر بشيء بسيط، لكن بآلية ذات تعقيد مهم تتدخل فيها بشكل مشترك كفايات مختلفة التي يصعب توضيح مجالاتها الخاصة وصيغ تدخلها.

الآن ومع كامل التحفظ نميز أربعة منها التي نصطلح عليها «كفاية لسانية» / «موسوعية» / منطقية / وبلاغية تداولية [1].

I - الكفاية اللسانية La compétence linguistique

تأخذ على عاتقها الدوال النصية، السياقية والنصية الموازية paratextuels (أو على أي حال التطريزية[2] Prosodiques) لمنحها مدولات بمقتضى قواعد تكوينية «للسان».

1 - هذا التمييز يغطي بالجملة الكفايات التي يقترحها من جانبهما سورل Searle (1975, b, P. 60 - 61) وكارول Charolles (1980, c, P. 60) عن مختلف العوامل التي تدخل في عمليات حل السنن (حل سنن المضمر بالخصوص).

2 - وضعية الوحدات الصوتية أكثر إشكالا بوجه آخر... بينما بالنسبة للوقائع الإيمائية الحركية Mimo – gestuels فإنها تعود لنسق سيمولوجي مستقل، ستدرج في الكفاية الموسوعية../..

كل وحدة من المضمون تملك بشكل مباشر أو غير مباشر عمادا دالا معينا، وحتى في الحالة التي لا يكون لها إلا الإرساء غير المباشر فإن المضامين المضمرة تكون «مطعمة» بشكل ما بالمضامين الظاهرة بشكل تكون معه معرفة الأوائل تقتضي تحديد الثواني. لا وجود إذن لوحدة من المضمون يمكن الحصول عليها بحل السنن Décodage دون تدخل الكفاية اللسانية.

هاته الكفاية ليست في كنف نفس «الجماعة» اللسانية المتجانسة: ما نسميه «اللسان الفرنسي» ليس إلا «نسقا لهجيا» Diasystème مجردا يدمج عددا لا يحصى من المتغيرات اللهجية، العامية والفردية، وهو بالإضافة إلى ذلك شيء مركب (سنن ضخم «hypercode» يقول أمبرطو إيكو Umberto Eco) تتمفصل فيه مكونات مختلفة معجمية تركيبية، تطريزية، أسلوبية، نمطية typologique (أو «خطابية»: معرفة القواعد الخاصة لهذا النمط من الخطاب أو ذاك)، إلخ...

II – **الكفاية الموسوعية** [3] La compétence encyclopédique

إذا كانت الكفاية اللسانية تمكن من استخلاص الإخبارات التلفظية الداخلية Intra-énoncives (الموجودة في النص والسياق النصي)، فإن

كل المعلومات الملائمة التي تقدمها الدوال ذات الطبيعة غير - اللسانية (الحسية - الحركية kinésique الجوارية القريبة Proxémique، الإيقونية عند الاقتضاء إلخ...) لكن هذا القرار قابل للمراجعة بطريق الإدراج في متن النص Cotexte (وليس في السياق Contexte لبعض هاته المعلومات غير اللسانية الملائمة.

3 – في تعبيرنا، نفس الشيء اصطلحنا عليه «نخضع هنا لاستعمال اصطلاحي الذي يَعُمُّ في هاته السنوات الأخيرة بالرغم من الالتباسات التي يحتمل أن يمحها مصطلح «الموسوعة»: خلال محاضرة ألقيت حديثا في لكسنبورغ أمام جمهور من نقاد ومترجمي السوق الأوروبية المشتركة، بما أنني تحدثت على أهمية دور هاته الكفاية، وجدتني أرد بأنه من غير المعقول أن مترجما جيدا يجب أن يكون «موسوعة حَيَّة»، وأن إفراطا في المعارف يمكن أن يكون مزعجا إلخ. سوء تفاهم من طبيعة اصطلاحية، لكن من الصعب تبديده.

الكفاية الموسوعية تتمظهر على شكل خزان شاسع من الإخبارات التلفظية الخارجية Intra-énoncives التي تحمل على السياق Contexte؛ مجموع المعارف والاعتقادات، نسق تمثلات، تأويلات وتقويمات العالم المرجعي الذي نصطلح عليه «مسلمات الاعتقاد»، «المتاع المعرفي» «bagage cognitif»، «الإخبارات القبلية» «إخبار الكواليس» (زولكوفسكي Zolkouvskij) «مسلمات صامتة» (كورزبسكي Korzybski) «مركب الاقتضاءات» (شميت Schmidt) «نسق المعرفة الأساسية (فلاهولت Flahault) «الأرض المرجعية للإخبار» (سورل Searle، نوردمان Noordman)، إلخ...، والتي يعبأ جزء منها فقط في عمليات حل السنن Décodage.

هاته الإخبارات الموسوعية الملائمة يمكن أن تكون حسب الحالات.

- (تقريبا) عامة أو مختصة
- متعلقة بالعالم (على العموم أو الخصوص: نتحدث إذن عن الإخبارات المقامية) أو ممثلي التلفظ (على العموم أو الخصوص: هكذا تتدخل في عقد السنن بعض «الصور» التي يجعلها المتكلم حول نفسه، وعن المتكلم...، وبكيفية مماثلة في حل السنن الصور التي يجعلها المخاطب عن نفسه، عن المتكلم، إلخ...).
- محايدة أو تقويمية، مجموع الإخبارات التقويمية حول العالم (أحكام القيمة المحمولة في التعابير التقويمية...) التي تشكل ما تصطلح عليه الكفاية الإيديولوجية «La compétence idéologique» للمتكلم، كفاية ذات طابع خارج - لسانية على غرار كل مكونات الكفاية الموسوعية والتي تأتي لتحدد كل أشكال السلوكات الكلامية وغير الكلامية، ولكن تسجل في نفس الوقت في الكفاية اللسانية للشخص لتطبعها ببعض

الوحدات الإيديولوجية Idéologèmes ذات طبيعة معجمية، أو تركيبية أو أسلوبية التي تشكل مجتمعة لهجة إيديولوجية خاصة Idéolecte (يمكن أن نتحدث إذن عن اللهجة الإيديولوجية لأي شكل من الأشكال الخطابية).

- مشتركة أم لا لدى الممثلين المشاركين الذين تتقاطع كفاياتهم الموسوعية تقريبا بقوة: حسب نمط الخطاب حيث يمكن أن يظهر تباينهم (مثلا في الحرب الكلامية التي تميز الجدالات) أو على العكس تشابههم (في التبادلات المواطئة التي تهدف إلى تأكيد توافق مقرر سلفا). لكن التبادل الكلامي لا يمكن أن يتحقق إلا في جدل الذات والآخر: يسقى دائما - والخطاب الجدلي نفسه لا يخرج عن القاعدة - انطلاقا مما يسميه ليبوف Labov «معرفة - متقاسمة» ويسميه بيرإلمان Perelman «أساسا» (مجموع الوقائع والحقائق والقيم التي يفترض المتكلم أنها معروفة أو مقبولة لدى مخاطبه)، في نفس الوقت الذي يغير فيه بشكل ما المعارف والمواقف الخطابية للأشخاص الحاضرين. ليبوف يعتبر أنه بمجرد إجراء التفاعل يتضاعف بتلازم عدد أحداث «أ - ب» (أ = مرسل / ب مستقبل) وإن كنا متفائلين كثيرا بشأن هذا الجهر بالرأي السياسي الإجمالي الذي يعوض القصور البديهي للكفاية الموسوعية (وخاصة الإيديولوجية)، لا يمكننا أن نتجاهل الخاصية الدينامية والتحويلية للممارسة الخطابية، إذن «الموسوعات» الخاصة بكل شخص هي فضاءات تتطور باستمرار. تختلف إذن من شخص لآخر بنسب أهم من الكفاية اللسانية، وهاته التشعبات الموسوعية هي المسؤولة بدون شك عن الجزء الأكبر من الفشل التواصلي.

تعمل الكفاية الموسوعية في جميع الاتجاهات. تتدخل في حل سنن المضامين الظاهرة، ولكن بشكل بديهي وأقوى في المضامين المضمرة. لفك إضمار أم تلميح يجب الاستعانة بمعرفة خارج - تلفظية نوعية، الأمثلة متعددة جدا: الكفاية الموسوعية للقارئ كفيلة بتدبرها.لاسترجاع المثال الوحيد للمجاز الخيالي، قلنا أنه لا يمكن في الغالب كشفه إلا في ضوء ما نعرفه عن العالم «الحقيقي» أو بالأحرى ما نظن أن المرسل يعرف عن هذا العالم.

الخطابات كلها تتجهز على أساس «المسلمات الصامتة»، المخزونة في الكفاية الموسوعية، وحل السنن هو الذي يعيد البناء إذا أردنا فهم «القول» Enoncé.

في عمليات حل السنن نجد أن الكفايتين اللسانية والموسوعية يتبادلان العون ويستمر الذهاب والإياب بين الإخبارات الداخلية والخارجية: كلمة تقييمية «جوهريا» (يتم التعرف عليها بفضل معرفة لسانية خالصة) تقدم للمرسل إشارة عن الكفاية الإيديولوجية للمستقبل، تلك الإشارة التي يتم مراكمتها في الكفاية الموسوعية الذي يمكنه أن يستعملها فيما بعد لتأويل إنتاجات أخرى للمستقبل. الخطاب ممارسة تستعمل المعارف السابقة في نفس الوقت الذي تشكل فيه معارف جديدة.

III - الكفاية المنطقية

ليكن هذا القول الذي أشار له أوزفالد دكرو O. Ducrot –1972 p. 7:

جاء فلان لرؤيتي إذن عنده هموم.

يمكن أن نعتبر أنه يحقق في السطح بشكل غير كامل البنية القياسية الآتية:

1 – المقدمة الكبرى: فلان لا يجيء لرؤيتي إلا إذا كانت لديه هموم. (إذن من أجل فائدة معينة).

2 – المقدمة الصغرى: والحالة هاته، فلان جاء لرؤيتي.

3 – النتيجة: إذن لديه هموم.

من وجهة نظر عقد السنن، المقدمة الكبرى المضمرة التي تؤسس الاستدلال توجد مسجلة في الكفاية الموسوعية للمرسل على شكل «إخبار سابق».

من وجهة نظر حل السنن هاته القضية سيعاد بناؤها من طرف المخاطب (ودمجها في كفايته الموسوعية إذا لم ترد فيها بعد، أي إذا لم يكن لها وضع الإخبار السابق) بمساعدة ما سنصطلح عليه كفايته المنطقية (التي يعود إليها طبعا المرسل حينما يُشيِّدُ استدلاله).

هاته الكفاية تلعب دورا جوهريا في الاشتغالات اللغوية (ليكوف Lakoff 1976 – p. 11: «أردنا ذلك أم أبينا، معظم الاستدلالات التي نسوقها في العالم تقوم باللسان الطبيعي، وبشكل موازي معظم استعمالات اللغة الطبيعية تدخل استدلالا أيا كان»). تمكن من إنجاز عدد من العمليات المختلفة التي أقسمها اعتباطيا شيئا ما إلى ثلاث فئات:

1 – عمليات تنتمي للمنطق الصوري (أساسا للاستدلال من النمط القياسي):

أ – القياسات الموافقة للأصول نادرة جدا في الأقوال المنجزة باللسان «الطبيعي» حيث تفضي بحق إلى أثر «غير طبيعي». لندرج المثالين الآتيين:

> الشاب: – لنحتضن بعضنا البعض. لا زال لنا بعض الوقت، لو كانوا هنا لسمعناهم. والحالة هاته لا نسمع شيئا. إذن ليسوا هنا.
>
> *(Roland Dubillard, les crabes 1971 p. 68)*
>
> أصبح الكل سهلا بالنسبة لك، إذا لم تعد تحبني... – صحيح.

– والحالة هاته الأشياء ليست سهلة... – لا، ليست كذلك.
– إذن تحبني !

(Serge Doubrovsky, Un amour de soi, Hachette 1982)

مثالان للقياسات التصريحية التي يمكن أن نفسرها: الأول بقصد هزلي والثاني (الذي تظهر قلبا في الكلمات وانزلاقا من الشرط الكافي إلى الشرط الضروري) بجسامة المجازفة الحجاجية.

القياسات الناقصة (أو الإضمارية[4] Enthymèmes) توجد به على النقيض بشكل دائم.

– الكبرى المضمرة:

رن الجرس مرتين، يمكن أن يكون إذن ساعي البريد:

أ – الكبرى: يضرب ساعي البريد الجرس عموما مرتين، وهو من حيث المبدأ الوحيد الذي يفعل ذلك (خاصية الحجاجات «الطبيعية» – التي تتطور في المجال الاحتمالي – هي هنا الحدث الثابت لصيغة القضايا المتناولة).

ب – الصغرى: (والحالة هاته) رن الجرس مرتين.

ج – النتيجة: (إذن) يمكن أن يكون ساعي البريد.

– الصغرى المضمرة[5]:

نظرا لأنني أحبك، فإنك تحبني مع ذلك.

تحبني من أجل حبي، إذن ستحبني دائما (أغنية فرنسية):

Tu m'aimes pour mon amour, donc tu m'aimeras toujours

---

4 – يجب فهم المصطلح هنا في المعنى الذي نصادفه بالتأكيد عند أرسطو، والذي تم تثبيته وتعميمه بالخصوص من طرف بويس Boèce، يعرف في القرون الوسطى.

5 – بورسيي D . Bourcier - 1979 يلاحظ (P. 15) أن النصوص القانونية تتضمن عددا كبيرا من القياسات الإضمارية Enthymèmes من هذا النمط.

أ – تحبني من أجل حبي.

ب – والحالة هاته سأحبك دائما.

ج – إذن ستحبني دائما.

- النتيجة المضمرة:

أ – «المسؤولية الأساسية للستالينية تتمثل في لإمبريالية التي تأتي بها» (جون إيلنشتاين).

ب – «والحالة هاته، انتهاكات الحريات في البلدان الاشتراكية هي من آثار الستالينية» (جون كنبا).

ج – إذن بالنسبة لهذا المتلفظ الفريد الذي هو P. C. F. (لكي «يَسيِّر» قياس، هل يجب أيضا أن يضطلع متلفظ واحد بمكوناته المختلفة)، الإمبريالية (الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها) هي المسؤولة عن انتهاكات الحريات في البلدان الاشتراكية (حسب: p. 62 J. N 1983).

م1 – هل أنت غيور؟

م2 – فقط حينما أحب

م1 – والآن هل أنت غيور

م2 – لا[6] !

- كبرى + نتيجة:

م1 – هل تريد كأسا من الخمر؟

م2 – أنا مسلم

---

6 – مثال مشابه (حيث تترابط مع ذلك الكبرى والصغرى مباشرة وسط تَدخُّل): «... خلال غيابك لم أَلْحَظْ بشيء. أحب الرجال أمثالي في السن. أنت سيكون عمرك عما قريب خمسين سنة» دوبروفسكي S. Doubrovsky: كتاب: *Un amour de soi* (حب الذات) (Hachette 1982 P. 265).

م[1] - أنت جئت إلى هنا قبل هذا؟

م[2] – أنا من أوربينو Urbino!:

أ – حينما نكون مسلمين من أوربينو فلا نشرب الخمر/نعرف جيدا هذا المكان.

ب – والحالة هاته أنا مسلم / من أوربينو.

ج – إذن ...

دون زبدة، تبقى الحياة ينقصها الملح:

أ – يجب أن يتوفر للحياة الملح (الشوك، النزوة).

ب – والحالة هاته دون زبدة، الحياة ينقصها الملح.

ج – إذن أُكُلُوا الزبدة.

عدد لا يستهان به من الشعارات الإشهارية تتكون من هذا النموذج من القياس الإضماري، أو من النموذج الموالي (التي تتكون من قضية واحدة، النتيجة في كل الحالات تكون مضمرة[7]):

- **صغرى + نتيجة:**

- الحياة قصيرة جدا يجب تفادي أن نرتدي لباسا حزينا:

أ - الحياة قصيرة جدا

ب - والحالة هاته ارتداء بشكل نيومان Newman هو ارتداء «غير حزين»

ج – إذن يجب ارتداء بشكل نيومان= (بأسلوب جديد).

---

7 - تكْثُرُ الأمثلة: «الكحول يقتل»، «بيرسيل Persil يغسل أكثر بياضا»، «كوكا كولا تروي أفضل» [التي يمكن مقارنتها بـ «اشربوا كوكاكولا»، الشكل المباشر للشعار، الذي يعلن رأسا النتيجة (أي بلا إعداد) بطبيعة متفائلة].
نسجل في الفقرة، فيما يخص الملفوظات (الأقوال) Enoncés المنجزة باللغة الطبيعة، يصعب أحيانا تحديد فيما إذا كانت المقدمة المحققة يجب أن تعتبر بالأحرى كبرى أو باعتبارها صغرى.

- يمكننا أخيرا أن نعتبر أن الإثباتات غير المدعومة بالحجج (التي تفرض على الأقل أن تكون مدعومة بالحجج) تفضي إلى نتائج كثيرة دون مقدمات.

ب — من ضمن القياسات الناقصة التي تم إدراجها نعود لهذا: قول يأخذ الشكل الآتي «ف إذن ق»، ولكن لا يمكنه أن يشتغل منطقيا إلا شريطة التعزيز بالقضية ض التي تمنح وحدها استنباط ق.

هاته الخطاطة يمكن أن تعمم لتشمل أنماط أخرى من أدوات الربط. إذ دون أن يتعلق الأمر بالقياس الحقيقي سأعتبر كل الحالات التي تتضمن البنية ف س ق (حيث س عنصر من جرد الروابط المنطقية) تعود للاستدلال المنطقي الصوري - الموازي Para-Formel باعتبارها تفضي حقيقة إلى البنية العميقة ذات الشكل.

ف ← ض س ق

على اعتبار أن ق لا تأخذ تسلسلها مباشرة من ف ولكن من قضية مضمرة ض التي يمكن ويجب أن تستنتج من ف لكي يعتبر التسلسل مرضيا.

العلاقة المعبر عنها ب س يمكن أن تكون من نمط تعاقبي، سببي، تفسيري أو إضرابي Adversatif («بيير طيب [والحالة هاته الأشخاص الطيبون يكونون عموما محبوبين] رغم ذلك كل الناس يكرهونه») - الحالة الأحسن تمثيلا حسب الظاهر هي الحالة التي تكون فيها س = «لكن» أو أي رابط مماثل:

تقترب جان من النافذة، لكن المطر لم يتوقف

لأنها تتمنى لو توقف المطر

↓

هذا المثال الآخر (من موباسون Maupassant) أخذه دكرو Ducrot 1980: لا يمكننا في الواقع فيما يخص هاته النقطة إلا أن نبعث إلى هذا

المقال الذي يحلل بدرجة عالية من الدقة عددا من البنيات من هذا النمط، ويبرهن بطريقة مقنعة أن في غالب الأحيان «ف لكن ق» لا يمكن أن تؤول إلا شريطة تكوين قضية ض مضمرة[8].

ملاحظات

إضافة إلى الحالات التي تم تحليلها يمكن أن نضيف إلى هذا الباب كل الاستنتاجات المستخلصة بمساعدة استدلال من النمط الحسابي نحو:

- كم سنك؟
- ولدتُ سنة 1936.
- كم بقي من الوقت؟
- إنها الساعة الخامسة وعشرون دقيقة.

ما هي المسرحة Théâtralité ؟ هي المسرح ناقص النص[9] (/ المسرح، هو النص + المسرحة /
/ النص، هو المسرح ناقص المسرحة /).

يمكننا أن نسجل الليونة الفائقة لمعظم هاته الاستدلالات التي يعتبرها بيرالمان Perelman رغم ذلك شبه - منطقية «quasi-logiques»؛ ليونة أقوى بالأحرى في العمليات التي سنراها في الفقرات الموالية.

8 - يمكن الرجوع أيضا إلى ريفارا (1981) R. Rivara، وحول اشتغال الروابط التداولية «Connecteurs Pragmatiques» والأدوات التي تسم التفاعل «Marqueurs d'interactivité» غير: «لكن» («إذن»، «على النقيض»، «مع ذلك»، إلخ.)، سبينغلر Spengler (1980) [الذي يقول مثلا: التي تسم التضاد «Contrastifs» تسجل وجود تعارض أو عدم توافق، وذلك ليس مباشرة بين العناصر المترابطة، لكن قد يكون بين النتائج التي يمكن استخلاصها من هاته العناصر أو بين أحد العناصر ونتيجة الآخر). وعدد من مقالات دفاتر اللسانيات الفرنسية خصوصا رقم 4 حيث نجد في الصفحة 176 (موشلير، شلينغ، زينزن): «تنطلق من مبدإ أن كل رابط تداولي ينجم عنه تدخل المضمر»، إلخ.

9 - رولان بارث Roland Barthes = أبحاث نقدية، مسرح بودلير(*Le Théâtre de Baudelaire* .(Seuil, Paris 1964, p.41

- الاستدلالات «الطبيعية» هي في الغالب كما قلنا إضمارية Elliptiques، التماسك النصي (مونولوجي أو حو ري) لا يمكن أن يتم إلا بتكوين عدد من القضايا المضمرة حيث تكون:

- إما تعود لمضمون معروف من قبل من طرف المخاطب حيث سيعبؤه من أجل تأويل المتوالية: القول له مفعول (- في هاته الحالة - تنشيطي لمضمون نائم في الكفاية الموسوعية للشخص حالِّ السنن (أو مفكِّكِ السنن) Sujet décodeur.

- أو تقابل مضمونا جديدا بالنسبة له: منبثقة لحساب البنية الداخلية للقول، يأتي هذا المضمون إذن لتقوية خزان الوحدات المكونة للكفاية الموسوعية للمخاطب.

- تحدثنا آنفا عن «النتيجة» Conclusion. لكن المصطلح خطير الغموض. من المناسب في الحقيقة تمييز ثلاث أنماط من القضايا المسجلة بكيفية ظاهرة أو مضمرة في القول:

(I) نمط التتابع الخطي على البنية السطحية النصية.

(II) نمط منطقي مجرد (كبرى - صغرى - نتيجة).

(III) نمط وجهة النظر الكرونولوجية لحل السنن: هاته الأخيرة تنجز بكيفية إجمالية حسب (1)، ولكن تنتهي بإعادة تكوين القضية المضمرة، التي حسب وجهة النظر هاته (مهما كانت منطقيا: كبرى أو صغرى أو نتيجة) ستشتغل باعتبارها نتيجة للاستدلال التأويلي، وأحيانا كنتيجة حجاجية حقيقية للقول (مثل القضية التي يجب حمل المخاطب على القبول بها: هناك إذن استعارة إضمارية[10] (Trope Implicitatif). هكذا

---

10 - هي مثلا حالة الشعارات الإشهارية المذكورة آنفا.

يلاحظ كل من دكرو Ducrot (1972 p.8) وفلاهولت Flahault (1978 p.45)، الغياب نفسه للإثبات المضمر هو ما يمكنه من حضور من نمط خاص: دون شك نظرا لأنها تفرض عملا تأويليا أقوى من جانب المخاطب إذ عليه أن يبعثها من الأعماق النصية، لأن في الغالب الأقوال تتركز على مضامينها المضمرة.

IV- عمليات جد خاصة «للمنطق الطبيعي»

لم يعد اليوم ضروريا - بفضل أعمال كل من بيرلمان Perelman، دكرو، كرايز Grize ومركز الأبحاث السيمولوجية لنيوشاطيل Neuchâtel - الإصرار على أن العمليات «المنطقية» التي تكرسها الألسن الطبيعية ليس لها إلا علاقة بسيطة مع تلك التي يعقدها المنطق الصوري. ولا يتعلق الأمر هنا بوصف أو تناول جميع الميكانيزمات المميزة للمنطق الطبيعي[11] la logique naturelle. على الأرجح يمكننا أن نسجل انطلاقا من بعض أمثلة العمليات المؤكدة أهمية الدور الذي تلعبه مثل هاته العمليات في تكوُّن الاستدلالات.

أ - أساس تمثيل خطابي مبسط

تكوين فئة ف ^{1} تضم أشياء على أساس عدد من الخاصيات المشتركة، وتفكّكها بنفس القوة مع مجموعة أخرى من الأشياء المكونة هي نفسها في فئة ف^{2}؛ بين ف^{1} و ف^{2} علاقة تعارض جدرية تقريبا؛ وفي شأن ذلك عموما أحكام تقويمية التي تضع علامة زائد (+) وعلامة ناقص (-) على الفئتين الموازنتين.

---

11 - نُذَكِّر أن هاته العبارة تشير بكيفية مضمرة إلى مجموع الميكانزمات التي تميز الاستدلال والحجاج المنجزين باللغة الطبيعية.

يمكننا أن نغتاظ ونتعذب من اكتشاف أن لا خطاب مهما كانت مجهوداته لمخادعة هذا النموذج المانوي [12] شيئا ما لا يمكنه أن يبنى بشكل آخر سوى على أساس اختزالي مهين: انضمام، تفكيك، ماثل، واجه، س ص ط مقابل ش ض ظ، النموذج الجيد مقابل السيء. لكن التكلم هو دون شك بهذا الثمن.

تأملنا سابقا (1981) المشاكل التي يطرحها استعمال التقنيات الجمعية Associatives techniques والتفكيكية dissociatives والإفادات التي تمنحها. ما يهمنا هنا هو أنهما مصدر عدد كبير من الاستدلالات Inférences[13]:

أ – التقنيات الجمعية، بالنظر إلى أن لنا ميلا نحو تمديد القياس القائم بين الأشياء المستوعبة جزئيا إلى خاصيات أخرى غير المستندة إليها ظاهريا. يتحدث فرويد Freud بهذا الصدد عن التوحيد (Unification 1971) الذي يوضح اشتغاله بمساعدة مثالين مأخوذين عن هاين Heine معلنا أن «عموما ساكنة كوتينجن Göttingen ينقسمون إلى طلبة، أساتذة، غير المثقفين والماشية»، وأنه في المدرسة «تُكَبَّدُ أيضا اللاتينية، التصحيحات والجغرافيا». نرى هنا ماهي الآثار الدلالية للبنية النسقية: ظاهريا تعرض أن س، ص و ط تمتلك كلها خاصية واحدة أو خصائص متعددة مذكورة في السياق اللساني[14] Cotexte. لكن في الصيغة المضمرة تقول أكثر من ذلك: تشير إلى أن هاته الحقائق المنسقة لها

12 – Manichéisme : مانوية (مذهب ماني الفارسي صاحب عقيدة الصراع بين النور والظلام).
13 – Inférence : استدلال يرتكز على قبول قضية من خلال ارتباطها بقضايا أخرى مقبولة قبلا
14 – Cotexte : هو اللسياق اللساني الخالص أي ما يحيط بالكلمة في السابق واللاحق. أما Contexte : فهو السياق بصفة عامة سواء منه السياق اللساني أو السياق الخارج-لساني.

فيما بينها قرابات أخرى غير تلك المشار إليها ظاهريا، وأنها تنتمي لنفس «النوع»، ويجب وضعها في نفس الحقيبة[15].

- بعض الأمثلة للاستدلالات المضمرة المرتبطة بإنشاء علاقة نسقية وآثار العدوى التي تمنحها:

تأثير أحادي الجانب

نائمة في حالة غامضة من الكآبة، من الوهن الجسمي، من المرض، من الأفكار الثابتة والورع (بروست Proust).

أمسية يونانية، أمسية أرجنتينية، أمسية مغاربية أو أرمينية، أمسية مرآة (ليون Lyon – Poche).

أنت جميلة، مضيئة، مثيرة

عيناك مؤثرتان

شعرك كستنائي نير (Jean – Luc Godard).

فيما يخص مضمونه التقريري، فإن أحد عناصر المتوالية البيانية نجم عنه انقطاع النظائر، وقد تمت استعادته على المستوى التضميني: تضمينيا «كستنائي نير» يصبح نوعا من التقويم، الورع نوع من الكآبة الحصرية المرضية، ومجموع النساء عرق خاص. العطف يلعب دور مدحاة مجانسة، تسوس الاختلافات الدلالية، تنقص الدخيل وتسترعيه لنظام النظائر المهيمنة.

---

15 - عمل حل السنن Décodage هذا يعكس تماثليا مبدأ عقد السنن encodage الذي يتوخى أننا لا ننسق (ولا نرتب) إلا الأشياء التي تعود إلى نفس الفئة الدلالية «Sémantique Catégorie» دون أن نتمكن من تحديد بوضوح ماذا يناسب أن نفهم من هذا (مجموع العناصر المتجانسة نسبيا من حيث المعاني التعيينية Dénotativement لكن على الخصوص من حيث معانيها التضمينية Connotativement).

ملاحظة:

يمكن أن يكون هناك تأثير من جانب واحد في كنف مجموع العناصر المعطوفة حتى حينما يكون عدد العناصر منحصر في اثنين، مثل:

يمنع البصق على الأرض والتحدث بالبروطونية[16] breton إنه بفضل ترتيب العناصر وبخاصة المضامين المستخدمة (في عقل مستعملي هاته الصياغة حيث اللهجة البروطونية تشبه لا شعوريا إفرازا كريها، أكثر احتمالا من العكس) يتحدد المعنى الذي تتم فيه العدوى الدلالية.

• **تأثير متبادل:**

الطبيعة (الإنسانية) كئيبة، واحسرتاه، وقرأت كل الكتب.

عطف القضيتين المعلن بالتناغم الإيقاعي، يفضي احتماليا إلى استخلاص استدلال مزدوج: / أستسلم لكل نزوات الطبيعة الإنسانية / فكري كئيب ومتعب /

– البنية العطفية ليست الوحيدة لتعبر على السطح عن علاقة منطقية من نمط التشارك. يمكننا أن نتصور هنا مشكل التماثل Analogie (تشبيه ومجاز) الذي تطرقنا له آنفا (1981) حيث يتيح عددا من الاشتغالات الاستدلالية المرتبطة بما نصطلح عليه مبدأ التجاوز Principe de débordement على اعتبار أن كل تماثل يوحي بأن المشابهة بين س و ص تمتد إلى أكثر من الخاصيات المعلنة تصريحيا، أو بشكل مضمر، أو أكثر من ذلك نعلنها من جديد. في جرد «الأخطاء الحجاجية المرتبطة بتقنيات التشارك»).

16 – breton: اللسان السلتي Langue Celtique المتحدث به في غرب بروطاني Bretagne. (إقليم فرنسي عاصمته رين).

الإجراء الذي يرتكز على إقران - على أساس علاقة تجاور مرجعي - شيئين س و ص وإسناد محمول شائن إلى ص بهدف أن ينبو على الموضوع س المأخوذ هدفا للتصويب نحوه:

التقييم في يوم كذا نويل فيلد.

انكشف نويل فيلد عميلا أمريكيا.

(← أنتم عميل أمريكي).

كان ميتران صديق فابر Fabre

فابر خان ← هو خائن (تأصيل الإسناد).

(← ميتران خائن).

يتم الوصول إلى نتيجة الاستدلال بكيفية صريحة أحيانا كما في حالة أوندري مارتي André Marty الذي أصبح «الشرطي مارتي» في اللغة الخاصة بالحزب الشيوعي الفرنسي انطلاقا من سنة 1953 لسبب بسيط كونه كان في علاقات متواصلة مع أخيه جون الذي كان هو نفسه مرتبطا بمدير الشرطة.

ب - في حالة بنية معارضة سننتحي على النقيض إلى إبراز التحديدات المعاكسة عن التحديدات التي تميز الفئة نفسها.

- حركة أحادية الجانب لـ «ص» على «س»:

تفضل لزوجها الهادئ حب عشيقها القاسي:

زوج مقابل عشيق

هادئ مقابل قاس

مقابل حب

← / وزوجها لا يحبها حقيقة /.

كم كتبوا من المجلدات دون الوصول إلى شهرة توازي أهليتهم.

كتاب واحد كان كافيا لبودلير ليكسبه شهرة بقدر ما أمكن الحديث عنها بقدر ما كانت حقيقية (بيير لاروس):

يتكون هذا الحكم من جملتين تشكلان لوحة فنية مزدوجة:

كثيرون كتبوا مجلدات عدة بينما شهرتهم أقل من أهليتهم.

بودلير كتب مؤلفا واحدا بينما شهرته حقيقية.

الجملتان متوازيتان ومتضادتان. لكن التوازي والتعارض الدلالي ناقصان. خلال «الحساب التأويلي» لَنَّامَيْلٌ إلى تنضيل التقابل عند تشكيل الاستدلال

/ شهرة بودلير أقوى من أهليته: إنها متعدية /، والافتراض العرضي.

بالرغم من إمكانية التحدث بشأنها.

الذي يأتي لتقوية انبثاق الاستدلال يُظهر التلطيف:

هاته الشهرة ليست قابلة للنقاش فقط، بل هي لا مبررة إطلاقا.

(ملحوظة: المجموع الإسنادي الظاهر المميز لأحد الموضوعين - بل لكليهما - يمكن أن يبطل كما في هذا الجهر بالرأي الذي قيل خلال ندوة لسانية: «لا أضع أبدا شومسكي في نفس مرتبة بارث، إنه مفكر كبير ورجل رصين للغاية. لكن ...»).

- حركة متبادلة لـ : «س» على «ص» ولـ «ص» على «س».

- طوطو يلتقي «س»، صديق العائلة، حيث يتنبأ له: «ستكون جميلا مثل أمك وذكيا مثل أبيك»، عند رجوعه إلى المنزل ينقل المشهد لأبويه: «التقيت س الذي قال لي سأكون غبيا مثل أمي وبشعا مثل أبي».

(histoire drôle, citée par V. Morin, 1966 p.1. 4)

الأطرف منها القصة الآتية: تنسب لطاليروند Talleyrand - لسنا ألطف ولا أكثر تصنعا - التصريح الآتي: «ها أنذا بين الجمال والذكاء»؛ مما قد يجعل إحدى النساء المستهدفات بهذا المديح ترد: «إنها المرة الأولى التي يقال لي فيها إنني ذكية!».

كما في الحالة السابقة، لأسباب تم ذكرها آنفا والتي تتضاعف بميكانيزم سنراه بعد قليل، البنية

«س» هو «خ» و «ص» هو «خ»

تضمر مرارا حينما تمثل خ و 'خ خاصيتين متعارضتين بوضوح، وأن الرابطة «و» تغطي بذلك علاقة من النمط التفكيكي: /«س» ليس «خ» و«ص» ليس خ /

هذا هو الاستدلال الذي يحتفظ به طوطو حينما يفسر لقصد أبويه قول «الصديق»، وهو الذي يعلق على إحدى المرأتين المعنيتين بالجملة المنسوبة لطاليروند لكن من هي! لا يمكن أن يتعلق الأمر إلا بالتي حاولت تعيين الكلمة «جمال» بمجاز مرسل تجريدي وهو ما يبرر «إنها المرة الأولى....» ويعمق طرافة القصة والرد. الرد فكري بالنظر إلى أن هذا الخطأ الخادع يشي بالغموض التقريري للصيغة ويشي أيضا بنذالة الإضمار الذي يختفي وراء المجاملة الأدبية للقول؛ لكن على الخصوص بالنظر إلى أنه يشكل مثالا «للتناقض التداولي» الكامن بين المضمون المضمر هنا في القول:

/ يعتبرونني عادة مجردة من الذكاء/، وما يثبته تلفظه- دقة ومناسبة الرد تبينان على النقيض ذكاء صاحبته.

- Post hoc, ergo propter hoc -

من السبب إلى النتيجة

حينما تقدم واقعتان على نحو أنهما في علاقة تتابع كرونولوجي (أو حتى مشاركة في الوجود) يكون لنا غالبا نزوع لتأسيس علاقة منطقية بينهما من

السبب إلى النتيجة أو من النتيجة إلى السبب - هذا المبدأ الذي يشير إليه بعد فريج Frege ريكور Ricœur (1975 p.117) هو المسؤول عن استدلالات عديدة: «نابليون الذي تبين الخطر في الجانب الأيمن، نظم بنفسه حرسه في مقابل موقع العدو». الجملة «المركبة» تطرح أن نابليون تبين ...، ونظم[17]...؛ لكنها توحي «بأن القيادة حدثت بعد معرفة الخطر وبسبب هاته المعرفة، بإيجاز أن هاته المعرفة كانت السبب الذي قرر به نابليون القيادة؛ الإيحاء يمكن أن ينكشف خطؤه [...]»: ليس هنا في الواقع إلا إضمار محتمل يتناوله ريكور Ricœur بحق «تضمينا» Connotation.

آلية الانزلاق التأويلي هاته تلاحظ دوما في الألسن الأصلية Langues Maternelles

1 - تميز أيضا كل البنيات التركيبية التي تعلن حرفيا علاقة تجاور بين واقعتين س وص:

- تجميع Juxtaposition أو تنسيق Coordination بواسطة واو العطف: لن أركب السيارة أبدا مع ألفريد، أتشبث أنا بالحياة (مثال مقتبس من فلاهوت Flahault p. 45 1978).

- تمديد يأخذ شكل الصلة une relative التي تعتبر تفسيرية؛ أو شكل مركب نعتي Syntagme adjectivale أو حالي Gérondif:

2 - علاقة السببية لا تستأثر بالنهج: كل العلاقات المنطقية إذن قابلة لأن تصاغ على شكل المضمر: أندروماك – أحبك (بالرغم من أنك) متقلب، ماذا كنت أفعل (لو كنت) مخلصا؟

جيرونط - هل أنت ظريف؟

---

17 – بالنسبة لريكو Ricœur مضمون الجملة المتعلقة المبدل منها هي الفرضية (الطرح) le Posé، لكن بالنسبة لنا (لكن أشرنا آنفا أن وضعها من وجهة النظر هاته إشكالي) يتعلق الأمر بالأحرى بالمضمون الاقتضائي Contenu Présupposé.

دورانت – آه لقاء مزعج! بما أنها صدرت عنك فإن الشيء غير مؤكد.

جيرونط – [...] وفي النذالة السخيفة التي أراك عليها، لست أبدا ظريفا، بما أنها صدرت عني.

3 – المقتطف السابق (من كتاب V Menteur 3) يبين ذلك بوضوح: لا شيء يشير على السطح بأن أشباه الجمل (... أنها صدرت عنك، أنها صدرت عني) تأخذ على التوالي قيمة سببية وإضرابية Valeur Concessive[18] : (هاته المسألة واضحة في المقتطف باللغة الفرنسية وليس العربية).

ليكن أيضا المقتطف الآتي من كتاب La vie d'Henri Bruland:

«قبلني هونري، تقول لي. لم أرد. تغضب. عضضت بشدة.»

إذا أسسنا عند القراءة علاقة من السبب إلى المسبب بين الإجراءات المعينة بالجمل (2) و (3) و (3) و (4)، لكن ليس أبدا بين الأولتين، حيث لا تمكن الكفاية اللسانية بهما من شيء. معرفتنا بالوقائع الاجتماعية فقط، وكذلك معرفة النمط السيكولوجي (رفض ل «ص» يمكن أن ينجم عنه غضب «س» وهذا الأخير يفضي إلى انتقام «ص» الذي يمكن أن يتمظهر على شكل عضة شديدة) وحدها كفايتنا الموسوعية هي التي تمكن إذن من استخلاص استنتاجات كهاته وقد تضاف إليها كفايتنا البلاغية التداولية.

4 – الاحتمال التأويلي حاضر هنا، يجب أن نقول هذا، لكن الأمارات «الموسوعية» وعند الاقتضاء «البلاغية» التي تمكن من استخلاص استنتاج من هذا النمط ليست دائما واضحة ومشاركة (محافظة على المعنى نفسه في مختلف أشكالها). وبشكل متلازم متواليات مهمة تبقى من وجهة النظر هاته غامضة:

---

18 – قيمة إضرابية هي صفة عبارة تسلب الحكم عما قبلها وتجعله لما بعدها.

تتغيرون: غيروا ساعة كيلطون!:

هذا الشعار الإشهاري هل يعني

/ كل مرة تتغيرون، غيروا أيضا الساعة/ و / أو

/ نظرا لأنكم تغيرون ملابسكم، لماذا لن تغيروا أيضا الساعة/

هاته الساعة هي بالتأكيد كيلطون؟

La Région vit La BNP est là

هنا علاقة سببية بين القضيتين المتجاورتين Juxtaposées[19] لكن ما هي الوجهة التي تتجهها هاته العلاقة؟ هل هي إحدى الـ «إذن» أو «لأن» التي يجب إضافتها؟

يمكن أن يحصل في الشفاهي، أن يمكّن النبر من تمييز البنيتين لكن نجد أنفسنا أمام مشكل آخر: إذا كان النبر مميزا بوضوح، ينتهي التعبير عن العلاقة المنطقية بشكل مضمر، ووضعها ليس نفسه بحسب أن تحلل الإرسالية في تحققها الشفاهي أو الكتابي

تلتقي هنا بمشكل نظري دقيق ومركزي أشرنا له في بداية هاته الدراسة: إلى متى يجب أن نعتبر أن مضمونا، ملفوظا في الصيغة المضمرة وانطلاقا مماذا يمكننا أن نخصه بوضع المضمون الصريح؟ أين تمر بالضبط الحدود بين الصياغتين المضمرة والصريحة؟ المشكل الذي لا يهم حالة الإرساليات الشفهية فقط (حيث تحصل بالخصوص شكوك متعلقة بتمييز الدلائل النبرية: هل يوجد نبر خاص بالتعلق المضمر[20] «Implicite» «Subordination» عموما، وبشكل خاص لهذا النمط أو ذاك من التعلق المضمر؟) في الكتابي، علاقة السبب بالمسبب بين قضيتين ق وقَ يمكن أن تأخذ الأشكال الآتية من بين أخرى:

---

19 – Propositions juxtaposées: عبارات متجاورة لا يصل بعضها ببعض أية أداة رابطة.

20 – Subordination: علاقة تركيبية بين قضية وأخرى تكون تابعة لها. روابط التعلق هي روابط تجمع القضية التابعة بالقضية الرئيسية (مثل أدوات الشرط...)

(1) ق . ق'

(2) ق و ق'

(3) ق، عندئذ ق'

(4) ق : ق'

(5) ق إذن ق'

في (1) و (2) يتم التعبير عن العلاقة بالصيغة المضمرة.

في (3) العلاقة السببية تتصلب شيئا ما. بما أن الظرف «عندئذ» يفيد أحيانا التعبير عن علاقة تجاور زمني فقط فإن المسألة تقتضي تناولين مختلفين اثنين: إذا اعتبرناه مشتركا لفظيا في اللغة إذ يعبر في الخطاب على قيمة زمنية و / أو سببية يجب اعتبارهما معا تصريحتين؛ إذا نسبا له في اللغة القيمة الزمنية فقط، فإن القيمة السببية التي ترتبط به غالبا تأخذ على النقيض وضع المضمون المضمر؛

في (4) العلاقة السببية تأخذ الوضع التصريحي بواسطة الدال الطباعي لكن توجهه خارج السياق المبهم:

أصابه الذعر: عاد لونه مصفرا، مقابل

أصابه الذعر: بدأت الشرطة تلكم؛

هذا الذي يدعو إلى اعتبار طريقتين: إما أن نعتبر أن «النقطتين» متعددي المعنى أو أن نعتبر أن الدال يدل تصريحيا على علاقة سببية محايدة من وجهة نظر توجهها الذي لا يتحدد إلا في السياق الذي لا تتحقق فيه إلا بشكل مضمر.

في (5) بالمقابل نقول دون تردد أن العلاقة السببية توجد على الصيغ التصريحية.

إذن بكل الأشكال الوسيطة التي يعتبر وضعها إشكاليا نمر من الصيغة المضمرة قطعا إلى الصيغة التصريحية غير المشكوكة.

6 - مهما كان وضعها فمن المؤكد أن الاستدلالات السببية تحضر بكيفية شاملة في الخطابات من كل الأنواع؛ وأن عددها يتعلق باعتبار مفكك السنن تماسك النص المنجز مسلمة من طرف المرسل، ويبحث عن إعادة إنشاء هذا التماسك من جديد وإن اقتضى الأمر أن يضيف إليه بعض الأشياء؛ وهذا التماسك الخطابي يدرك أساسا - وفي ثقافتنا على الأقل - منشئا لمتواليات سببية بين الوقائع المعينة: في ثقافتنا على غرار ما يسجله كلود ريشار Claude Richard (1983 pp.15-16) بعد روني طوم René Thom يسود البانايتيزم التأويلي«panaïtisme Interprétatif».

وتقبل العلاقة السببية كمكون لآلة المعقولية بامتياز؛ ويمكن للمرسل أن يستفيد من هذا الانعكاس التفكيكي بالطريقة الآتية: يسجل بكيفية عرضية أن الواقعة ص في علاقة تجاورية (معية فضائية أو زمنية، توالي كرونولوجي) مع واقعة أخرى س؛ يحرص جيدا لتأسيس علاقة منطقية بينهما بكيفية صريحة؛ لكن يرجو أن يضطلع مستقبل الإرسالية بهما، في انشغاله «بالملاءمة الكاملة» Pertinentisation maximale (سبيربر Sperber) للقول المطروح عليه وإرجاع تلك الملاءمة إلى أصلها؛ ويضرب بذلك عصفورين بحجر واحد بما أنه يلتمس باحتشام تأويلا بإمكانه إنكاره في الغالب إذا احتاج أن يكون المسؤول عنه: «بعد إجهاضك»، يصرح أخصائي بأمراض النساء لمرأة حامل جاءت لاستشارته، «يمكن أن لا تحصلي بعدها على أي طفل»: إنه شيء لا ينازع فيه تماما؛ الشيء القابل للنقاش هو ما توحي به بشكل ماكر الجملة التي مفادها أن الإجهاض يمكن أن يؤدي إلى العقم...

هذا هو النهج الذي يعلن به Gérard Délechelle سرعة المقالات الصحفية: «يذهب الصحفي - على الأقل في تقرير الوقائع - إلى إعطاء الامتياز للتقرير الزمني باعتباره الأكثر حيادا ويترك للقارئ أو للسامع

إمكانية إضافة تأويل سببي إذا ارتأى أنه ضروري. هل هذا ناجم عن احترام المحاور أو عن احتراس؟ هل حضوره دائما؟ يعني أن هناك استراتيجية خطابية [...] (Stratégie discurssive 1983 p.48). نهج يميزه كارول Charolles (1980) في هاته الوقائع لفليب بوفار Philippe Bouvard: «حينما وصلت عند ماكسيم Maxim's لم أعرفها. احتفظت لدلفين صريغ Delphine Seyrig بذكرى شقراء عظيمة بشعر رمادي غزير، مصطنع شيئا ما. أما اليوم، بما أنه مرتب بلا إتقان مسحوب بقرملين فقط، إنها تبدو وكأنها تخرج من معمل تطريق المعادن بدلا من استوديو الممثل Actor's studio.

أعترف أنها أخافتني؛ ليس فقط بسبب أنني ظننتها تحمل في سيارتها بعض الآلات القاطعة التي ستفرض بها علينا نساء (حركة تحرر النساء) M. L. F في يوم ما المساواة الجنسية الحقيقية تلك المتعلقة ب [P'anatimie] التي يحللها بمصطلحاته (p.28): «طبعا الكاتب لا يقول أن سيريغ D. Seyrig مناضلة حديثة في حركة تحرر النساء تغيرت منذ انخراطها في الحركة النسائية، وانخراطها هذا هو سبب ثورتها المشؤومة]. الحجاج لا يتوقف عند هذا الحد. معرفتها [...] تتوقف على فكرة كون النص متماسك وأن كاتبه منطقي، إذا ذكر (بشكل غير مباشر كما رأينا) الانتماء إلى حركة التحرر النسائية في نفس الوقت الذي يتحدث عن تغير مظهرها، هذا لا يمكن أن يكون إلا بدراية. إذن بسبب أن الواقعتين بينهما علاقة لا يمكن أن تكون إلا من سبب إلى نتيجة».

هذا هو نفس النهج الذي تستعمله هاته الوكالة الصحفية الأمريكية بإعلانها أن «قاطع الطريق» سكالزون Scalzone «تم إيقافه في حي ماري Marais الذي كان مسرحا لعدة اعتداءات في الأشهر الأخيرة»، وهو ما يعلق عليه بيرتراند Bertrand le Gendre على النحو الآتي (في صحيفة

Le Monde لفاتح شتنبر 1972 ص 7): «حقا شارع شارل V حيث يسكن سكالزون يوجد على بعد خطوتين من شارع روزيي Rosiers. تابعوا الطريق... هذا التقارب يبعث على الضحك إذا لم يعكس المناخ المحفوظ هاته الأيام الأخيرة حول محاربة الإرهاب»؛ أو إدارة ليبراسيون Libération معلنة: «الطبعات المؤرخة ب الأربعاء 2 يونيو لن تصدر. الجريدة اليومية هي في الواقع ضحية إضراب تم خوضه دون سابق إشعار من فرع CGT (الكونفدرالية العامة للعمل) الصناعي، ساعة الإقفال [...]. كان هذا حين الصدى الكبير للعنوان وخاصة في نفس اليوم الذي كشفت فيه ليبراسيون مسألة مدفن العظام بخينشيلا Khenchela بالجزائر»: تابعوا الطريق... أشرنا سابقا إلى الحضور القوي - في الخطاب الستاليني أو الستاليني المحدث لهذا النهج من الإيحاء Insinuation الذي يرتكز على الإشارة أن «ليس دون شك صدفة أن ...»؛ وحللنا مثالا لاشتغال مماثل يعود هاته المرة لقلم ميشيل دروا Michel Droit: من بعض جوانب المسرح السياسي الذي نرجع إليه، تبدو لي نفس الاستراتيجيات الحجاجية نفس المهارات الخطابية التي نصادفها...

انزلاق من الشرط الكافي إلى الشرط الضروري، البنية «إذا ف، إذن ق» تعلن أن ف هي الشرط الكافي ل ق، ويعبر الشرط الكافي بمساعدة البنية إذا ف إذن ق». لكن الألسن الطبيعية جد متحررة، والعلاقات بين الدوال والمدلولات ص أقل تشاركا Mains Univoques[21]: الشرط الكافي يمكن أن يستعير في اللغة الفرنسية صيغ أخرى غير («SL») «إذا» و ال «إذا» يمكن أن تأخذ فيها قيما أخرى. كل هذا وضحه دكرو Ducrot (1971 et 1972) خصوصا «قانون الوضع المعاكس» Loi de contraposition الذي يريد أن « ف ← ق «تفضي

21 - Univoque: مشارك: + محافظ على المعنى نفسه في مختلف أشكاله.
+ تقال عن الأسماء التي تنطبق بالمعنى نفسه على أشياء كثيرة من نفس النوع.

إلى «لا- ق ← لا- ف وهي لا تنطبق إلا بصعوبة على الأقوال الطبيعية حيث تفرض فيها مهارات تحويلية فائقة «ناشزة شيئا ما» 1971، p.62).

إذا لم تتقن عملك، ستبقى في المنزل(« ←» إذا لم تبق في المنزل ستتقن عملك»). على النقيض ال «إذا» الطبيعة تنسجم بيسر مع عملية يمنعها المنطق الصوري: الانزلاق من الشرط الكافي إلى الشرط الضروري، «لنفترض أن الطفل الذي قلنا له إذا لم تتقن عملك، ستبقى في المنزل، إنه فعلا أتقن عمله، ورغم ذلك نود أن نبقيه في المنزل. سيتكون لدى الطفل الشعور بأنه خدع. على أنه أول الجملة باعتبارها دالة أيضا على أن عملا سيئا من جانبه كان ضروريا لإرغامه على البقاء بالمنزل» وهو ما سنصفه على الشكل الآتي: البنية «إذا ف (إذن) ق» تعلن

- بكيفية ظاهرة: أن ف هي الشرط الكافي (ق) يستحيل أن يكون لنا في آن واحد ف صادقة، وق كاذبة)؛

- بكيفية مضمرة: أن ف هي الشرط الضروري ل ق أيضا (لا يمكن أن يكون لنا بالإضافة إلى ذلك ف كاذبة، و ق صادقة). أي أن الـ «إذا» (Si) لها انتحاء أن تؤول باعتبارها «إذا وفقط إذا» (Si et seulement si).

يوضح دكرو O. Ducrot أن بعض التعابير تمكن من تجاوز أن تفهم «إذا» إشارة لشرط ضروري وكاف: «إذا لم تتقن عملك، على كل حال، ستبقى في المنزل» (نفس المصدر: ص 63) لكن السياق التلفظي يمكن أن يلعب نفس الدور، ويأتي لكبح آلية الانزلاق التأويلي هاته: لا يخطر ببال أحد إذا قرأ في إحدى الحانات الإعلام الآتي: «إذا أردتم أن تتلفنوا، اشربوا أولا...»، أن يرى فيه ترخيص بعدم الشرب إذا لم نرغب في الهاتف... ويجب أن نكون كولوش Coluche للوقوع في الفخ الوقح لاستدلال مستبعد بشكل واضح من ذلك الذي تقول السيرة - يُستخلص من تحذير أمومي: «تخاف أمه أن تتقلب عليه الأمور نحو الأسوأ. تريده أن يواصل

دراسته، أن يصبح شخصا صالحا. أي أن ينال الشهادة. لكنها ستخيب. سنة 1957، يوم الامتحان، تنبهه: «إذا ارتكبت خمسة أخطاء في إملائك، ستخفقه». خاف كثيرا فحرس جيدا وعرف أنه لم يرتكب أكثر من خطأ واحد. فخور ومتيقن من نفسه، يعرف أنه سيحصل فرضيا على الشهادة ويقرر إذن أن لا يعود عشية لمتابعة الامتحان» مما يبين أن الأمر يتعلق هنا (/ إذا لم ترتكب أكثر من خمسة أخطاء في الإملاء، ستفوز بالشهادة/) باستدلال مضمر قابل للتحييد في السياق، ونستخلصه على مسؤوليته. لكن بمجرد انتقاء مجيء أي شيء يعارضه، نجده (أي الاستدلال) مهيأ للظهور من تلقاء رغبات المتكلم:

إذا لم يرضكم السائق كليا، لا تعطوه بخشيش (الذي يؤوله المخاطب إذن التماسا غير مباشر: طيب، يجب أن نترك بخشيشا للسائق...)،

إذا اشتريتم س تحصلون على ص

(ترسيمة تؤول إليها حسب بلوم Blum وبريسون Brisson [1971 [P. 86

عدد من الشعارات الإشهارية والتي تبرز ما بين الأسطر «للحصول على ص يجب فعل س»)

أو تلقاء رغبات المخاطب:

لا نظن أننا سننشر لكم إذا لم تختصروا نصكم.

(عبارة يؤولها معظم الكتاب بشكل سيء يعتقدون أنها تدل بشكل مضمر أنه بمجرد اختصار مخطوطهم سيقبل دون شك...).

آلية الانزلاق هاته انزلاق من الشرط الكافي إلى الشرط الضروري تلاحظ أيضا في تعابير أخرى التي من وجهة النظر هاته تنتمي إلى البنية الشرطية Structure Conditionnelle:

القهوة باردة لا تلمع.

(← / إذا لم تكن باردة تلمع /)

دون رزق، الحياة لا طعم لها.

(← / بالرزق الحياة لها طعم /)

بمقدار ما أفوز، ألعب.

(حكمة اللعب الذي يهدف أن يوحي / بمجرد أن أبدأ في الخسران، أتوقف عن اللعب /، بالرغم من أن هذا الاستدلال لا يُعمل به دائما).

بما أنه اجتماع غير رسمي فإن هذا يمكنني من فلتات لسانية - التي أتمكن من الباقي منها في موضع آخر (تصريح ميتا - لساني قوبل بضحك الحضور، وهو ضحك يأتي جراء التناقض الموجود بين الاستدلال الذي توحي به بداية الجملة والمضمون الحرفي للجملة التصحيحية التي تليها).

أصل هذا الاستدلال يعزوه دكرو لتدخل«قانون الشمول» Loi d'exhaustivité يمكننا أن نرى فيه أيضا أثرا لقانون الإعلام Loi d'informativité :«إذا كان الجو جميلا، سأذهب للنزهة» لا تعني أنه إذا كان الجو رديئا لن أذهب، القول يتبادر منه إمكانية الذهاب للنزهة على كل حال، والجملة التابعة ستكون حشوية Superfétatoire تقريبا بما هو شأن المفاد السابق، حيث إبطال المضمر يسلب مفعول الشرط التبريري السابق؛ وهذا المثل البلجيكي المعروف:

ثلج في نونبر، عيد الميلاد في دجنبر[22]

- استدلالات مرتبطة ببنية إسنا دية من نمط (س ف) (x est p) التي يمكن أن توحي في بعض المناسبات.

---

22 – مَثَلٌ سخيف من جهتين: إذا آخذناه من جهة تأويل عناصر الشرط الكافي فإنه زيادة (تحصيل حاصل) Truisme لا تستحق أن تقال، وإذا بحثنا من جانب الشرط الضروري فإنه مخالف للحقيقة Contre – vérité.

- إما: ص ليس ف (س فقط هو ف)

وإما: س ليس ف (س هو ف فقط)

(س و ص، ف وف عنصران ينتميان لنفس الجرد المحدد بالسياق C0 (n) texte، «وأن يكون ف» تمثل في البنية العميقة كل أصناف المسند الفعلي).

1 - «س هو ف» ← ص هي ليس ف، أمثلة:

- ما ظنكم بفيلم شانيل المنعزلة Chanel solitaire؟

- أظن أن ماري فرونس بيزيي جميلة جدا، والبذل الرجالية جيدة جدا [←/ لكن في علاقتها ببذل النساء، فتلك مسألة أخرى.../].

(إدموند شارل غوكس E.C.Raux محاضرة في الدار الفرنسية لجامعة كولومبيا 11 نونبر 1981).

- صرح أرباب العمل بإدانتكم للبرنامج الاقتصادي لليسار، مما يدل بشكل مضمر أن ذلك في صالح ترشيح جيسكار ديستانغ Giscard d'Estaing [«برنامج اليسار مدان من طرفي» ← «برنامج اليمين غير مدان/].

- جلسة حوار بين مرشح لمباراة الدخول إلى المدرسة الوطنية للإدارة E.N.A وممتحنيه (حسب ج. ب. حسون)[23]

- ماذا تقرؤون؟

- من القصة المصورة حتى الرواية البوليسية، مرورا بالمقالات والأبحاث... قرأت حديثا كتاب جاك أطالي Jacques Attali...

- ماذا تأمل من القصة المصورة؟

- التسلية...

إذن تستبعد أن تسليك الروايات البوليسية والمقالات...

23- J.P. Hassoun. *Le Monde dimanche*. 23 Mars 1980 p. IV.

تعليق ج . ب . حسون: «إنه الفخ المنطقي المنصوب من طرف الممتحن بهدف قياس بدون شك الخفة الجدلية للمرشح»

لكن إذا كان المنطق حاضرا هنا فإنه منطق كل ما هو فوق«الطبيعي»، بالنظر إلى أنه لا إمكان لأي مبدإ من مبادئ المنطق الصوري أن يستنتج من «س ف» (القصة المصورة مسلية)، «ص ليست ف» (الروايات البوليسية والمقالات غير مسلية): يجب إسناد ظهور الاستدلالات السابقة واللاحقة لتدخل بلاغي صرف لقانون الشمول La loi d'Exhaustivité.

2 - س ف ← /س غير ف/

- ألفريد موصي *A. Musset*، يجب أن تفتح باب أو تسد:
- الماركيزة *La marquise*- [زوجة الماركيز: وهو لقب شرف عند الغربيين] حينما أقول: أكون في الدار يوم الثلاثاء، إنه واضح كما لو أنني قلت: بقية الزمن دعني وشأني.

في الحقيقة: «أكون في الدار يوم الثلاثاء» تضمر بمقتضى قانون الملاءمة La loi de pertinence / يمكنك أن تزورني يوم الثلاثاء/، التي تضمر بموجب قانون الشمول: / لا يمكنك أن تزورني إلا يوم الثلاثاء، لا يمكنك أن تزورني في بقية الأيام/).

بعد ذلك الماركيزة تكرر الجرم لكن بكلمات مهذبة هاته المرة:

- إذا قلت لكم أنكم تزعجونني هذا الصباح، فذلك بسبب أنها ليست عادة.

هكذا وبعد أن أوضحت مرتين للكونت Comte (نبيل أوروبي) القاعدة الدلالية التي تضم اشتغال الإضمارات قامت بتطبيقها على حساب طالب الزواج منها. كامو M.Camus:

- أنا أرملة، وهو مراهق؛ إنه جيد حينما يرتدي القفازين.

لكن تطبيق هاته القاعدة ليس دائما «واضحا» كما تريد ذلك الماركيزة:

(هو شخص يجسده فيرنانديل، عاشق مرتعد ل«قاسيه»).

هو - لم أنت جميلة هذا اليوم!.

هي - شكرا على الأيام الأخرى!

(Christian – Jacques – Monsieur Lampion)

الجملة «أنت جميلة اليوم» هل تضمر حقيقة (لست جميلة في الأيام الأخرى»؟ صحيح أنه بمقتضى قانون الشمول فإن الامتدادات الإسنادية تتجه نحو أخذ قيمة مقيدة [24] Valeur restrictive؛ بالإيحاء بأن المحمول المعني لا ينطبق على الأشياء الأخرى من نفس الجرد وأن المحمول المضاد يمكن أن ينطبق عليها؛ وأن الموضوع المعني الموصوف باعتباره حاملا ل ف، لا يملك الخاصيات التي لها علاقة تضاد [25] Relation contrastive مع ف. هذا «المنحى» مسؤول عن عدد كبير من الاستدلالات:

تزعجني هذا الصباح } ← ليس كالمعتاد
أنت جميلة اليوم }

24 – هذا المثال قريب جدا من السابق:
«ابتلع الشاب الكأس الثاني وقال لطوماس Thomas:
- زوجتك جميلة جدا اليوم!
- أبله، يقول الرئيس، السيدة طيريز! Teresa جميلة دائما.
- أعرف أنها جميلة دائما، يقول الشاب، لكن إضافة إلى ذلك ارتدت فستانا جميلا اليوم».
(M. Kundera, *L'insoutenable légèreté de l'être*, Gallimard, 1984, p. 391)

25 – وليست تضادية Antonymique.
حينما نقول أن «س هي ق « ← / س هي غير ق /، وهذا الانزلاق من ميزات المنطق الطبيعي، يجب طبعا إقصاء الحالة التي تكون فيها ق ضد ق التي تعود للمنطق الصوري:
«إنت جميلة» صوريا (دائما) / لست قبيحة /

الجو حار هنا ← / مختلف عن أمكنة أخرى /

عيناه جميلتان ← / الباقي ليس مدهشا بالفعل / ، إلخ.

لكنه منحى فقط وعديد هي الحالات التي يكون بديهيا تأويلها «مفرط» [Abusive]. على غرار المثل السابق بالنظر إلى أن هذا التصريح يردده لومبيون Lampion دينيا كل يوم...

وإذا كانت مناسبة بذكاء أحيانا، فإن الأجوبة من هذا النمط لا يمكن أن تكون دون تعسف معمم:

عيناك جميلتان - شكرا فيما يتعلق بفمي!

أحذيتك جميلة - شكرا فيما يتعلق بفستاني!

أنت جميلة هذا المساء - شكرا فيما يتعلق بهذا الصباح

- شكرا فيما يتعلق بالأمسيات الأخرى!

فخذ الخروف هذا لذيذ - شكرا على القحاطة[26]!

إنه مكتوب بشكل جيد حقيقة - شكرا بالنسبة للمضمون!، إلخ.

من جهة إذن، القاعدة التي نحاول استخراجها تشتغل هنا، هذا أكيد، وعلى أشكال جد متنوعة. ها هي بعض الشواهد الأخرى:

المرسل 1 - هل تظن أن الجو سيصحو في عطلة نهاية الأسبوع؟

المرسل 2 - هذا يدهشني: في أحوال الطقس قالوا أن الجو سيبقى صحوا مدة يومين [المرسل 2 يجهل حسب الظاهر أن أي أرصادي[27] جاد لا يخاطر بالتكهن بأحوال الطقس لمدة تفوق الثمانية والأربعين ساعة].

«إنت جميلة» طبيعيا (أحيانا) / لست ذكية /

«إنتَ جميلة» طبيعيا (أحيانا) / لستَ جميلة عادة /

26 – قحاطَة Gratin: ما يبقى من الطعام ملَتصقا على جوانب القدر.

27 – أرصادي :Météorologue: عالم بالأرصاد الجوية.

سنة سعيدة لقرائنا (أما الأخرون فليموتوا غيظا)

أحب باريس شهر ماي (شهر يونيو أيضا بالطبع؛ والذي لا يعني أنني لا أحب ليون أو مارسي)؛

هذان القولان (عنوان الجريدة Charlie – Hebdo) للثاني من يناير 1978، والتأويل الساخر لشارل أزنفور Charles Aznavour لإحدى قصائده) يبينان بشكل ساخر الاستدلالات التي تقبل أن تنضاف على الصياغات التي يتم التعليق عليها على هذا النحو - الأولى بتأكيدها بوقاحة والثانية بإبطالها.

لكن من جهة أخرى لا تشتغل إلا في بعض الحالات، ويخضع تطبيقها لعدد من الشروط التي بدونها ستكون قابلة للتعميم إلى ما لا نهاية، نظرا لأن قول س هو دائما وبالضرورة عدم قول ص أو ط، وأن تحيين كلمة هو إقصاء كل الكلمات الأخرى: وشيئا فشيئا كل جملة يتم تلفظها توحي إذن كذب كل الجمل الأخرى، وهذا ليس المقصود بوضوح.

والحالة هاته يبدو من الصعب الوقوف على شروط تطبيق قاعدة من هذا القبيل. أكثر من ذلك هل يمكننا عزل بعض العوامل التي تُمَكِّن من آلية الانزلاق لـ:

س هي ف إلى

/ فقط س هي ف / و

/ س هي فقط ف /

- قبل كل شيء، العنصران ص و ف المستحضران بشكل مضمر من جانب البنية «س هي ف» يجب أن يكونا بالضرورة في علاقة استبدالية Relation paradigmatique ضيقة تقريبا مع س و ف على التوالي، وفي هذا المعنى يأتيان بين الأسطر يرتسمان جانبيا تحت الوحدات المعلنة بكيفية صريحة، النموذج الملائم قابل للتشكل.

1 - في اللسان، حينما تشكّل س أو ف مع ص أو ف نسقا متضادا ضيقا:

«اليوم» مع «أمس»، «غدا»

«الثلاثاء» مع الأيام الأخرى

«اليسار» مع «اليمين»، ألخ.

2 - من جانب السياق اللساني Contexte [28] كما هو الشأن في القصة المصورة المسلية (في تعارضها مع المقالات والروايات البوليسية) أو في الآتي أيضا:

* المرسل أ- مارتا ميتشيل Martha Mitchell شجاعة، مرهفة ومعلقة ناقدة للبيت الأبيض في عهد نيكسون. هل تتفق مع هذا الرأي؟

* المرسل ب- طيب، أوافق على أنها معلقة

(م. هنتلي- M.Huntley 1976 ص68)

* المرسل أ- تعرف أن مارشي Marchais صرح قريبا أن الاتحاد السوفياتي كان قوة كبرى اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، ديموقراطية وعسكرية؟

* المرسل ب- له الحق في النقطة الأخيرة...:

الاستدلالات واضحة هنا. أما بالنسبة لجملة من هذا النحو:

كان رئيس الجمهورية واضحا بوجه خاص في هاته النقطة خلال حملته الانتخابية.

ستكون قابلة لتفسح المجال أم لا لمضمر حسبما إذا كان السياق السابق يشير إلى نقط عدة أو نقطة واحدة. في الأمثلة من نمط:

- ها أنذا بين الجمال والذكاء

- ستكون جميلا مثل أمك وذكيا مثل أبيك

---

28 - السياق اللساني الصرف هو الذي يشار إليه بالمصطلح Cotexe أما المصطلح Contexte فيدل على السياق بصفة عامة سواء كان لسانيا أو خارج- لساني Extra-linguistique

إنهما العاملان المترافقان 1 و 2 اللذان يستوجبان الاستدلال المزدوج:

دون شك اللسان (الإيديولوجيا التي تضمه) هل له انتحاء إلى أن يعارض هاتين الخاصيتين واعتبارهما - مع أنهما ليستا متضادتين- متخالفتين تقريبا (بمقتضى «المكان»: «لا يمكننا الحصول على كل شيء؛ دون شك هل يحصل بناءاً عليه أن جملا نحو: ها أنذا قرب الجمال

ستكون جميلا...

توحي بأنني أحاذي البلاهة وستصبح غبيا.

لكن المضمر يصبح كما توضّح ذلك هاته الأمثلة المقارنة ملحا بجلاء منذ البناء المركبي للكلمات ذات العلاقة الاستبدالية للتعارض الافتراضي.

3 - من جانب السياق الانتخابي على سبيل المثال، أو المقامي Contexte situationnel مثل:

في ندوة معينة، يمتد الحوار طويلا، يزداد التأخر؛ البرنامج يقضي بأن المداخلات سيتبعها عرض شريط قصير، ثم حفلة كوكتيل بعد ذلك عند الحاكم.

* رئيس الجلسة - اسمحوا لي لكن الوقت متأخر وأنا مشغول البال بخصوص الحاكم...

* أحد المشاركين- وليس بخصوص الفيلم؟

مثال آخر عن دور الأخبار السياقية:

بصدد الجملة «أكلنا جيدا هذا المساء»، آن لكلير Anne Leclaire تلاحظ (p.8,1979) أن المضمر / ليس كالمعتاد / أقل حظا للبروز إذا كانت هي المرة الأولى التي يتناول فيها المرسل والمتلقي وجبة العشاء مجتمعين على العكس مما إذا كانا معتادين على هذا الفعل.

انبثاق الاستدلالات خاضع إذن لخاصيات «عالم الخطاب» «Univers du discours» الذي يضم أو يزيح هذا الشيء أو ذاك الذي سيكون نتيجة لذلك مستحضرا بشكل مضمر أم لا.

مهما كانت صيغة تكوين النموذج الملائم، يمكننا على كل حال أن نعتبر أنه بقدر ما تكون حدود هذا النموذج مرسومة بوضوح بقدر ما يتصلب المضمر المقيِّد.

لكن عوامل أخرى تتدخل أيضا في هاته الآلية المرجعية[29] :Mécanisme référentiel

- عامل لساني Facteur linguistique

الجو جميل اليوم، مقابل في هاته اللحظة، مقابل في الوقت الراهن إنه قميء.

- ما تقول، مقابل

- أنت الذي تقوله:

بعض التعابير تحتمل في ذاتها أكثر من غيرها الإيحاء بهاته القيمة المقيِّدة: «في الوقت الراهن تجذب بشكل أقوى من «في هاته اللحظة»، وبالأحرى من «اليوم» المضمر / لن تدوم مدة طويلة /؛ والبنية التفخيمية (التشدقية) «إنه!.. أنت الذي» تأتي لتقوية انبثاق الاستدلال / أنا لن أقول شيئا مماثلا، لست متفقا معك / الذي يوحي من قبل بمقتضى قانون الشمول «ما تقوله»

- بعض الوقائع التطريزية، من طبيعة نبرية أساسا تلعب بالإضافة إلى ذلك دورا حاسما في تكون استدلالات من هذا النوع:

---

29 – المرجع Référent: الشيء الحقيقي (منتمي إلى الحقيقة الخارج-لسانية) أو الخيالي (المكون باعتباره شيئا في عالم الخطاب فقط) الذي تشير إليه العلامة اللسانية Signe linguistique.

بِذَلُ الذكور جيدة

أنتِ جميلة اليوم

أنا في عطلة غدا:

حينما توجد متوالية ذات قيمة حرفية تدقيقية «مبأرة» «Focalisée» بنبرة صوتية، فإنه يكون لها بوضوح انتحاء أن تتلقى قيمة مقيّدة.

(تلاحظ نفس الظاهرة في حالة البنيات التي قمنا بتحليلها في الخانة السابقة، لكن تتميز أيضا بآلية التقييد الدلالي من الشرط الكافي إلى الشرط الضروري:

أ - «سأستيقظ حينما تقوم أنت»: شرط كاف - بمجرد أن تخرج من السرير أعدك أنني سأفعل مثل ذلك، مقابل

ب - «سأستيقظ حينما تقوم أنت» - وحين تكون هاته الحالة فقط إذاك تيقن سأستيقظ الأولى...)

يخضع الاستبدال المقّيد أيضا لنمط الخطاب الذي يتعلق الأمر به.

هكذا نجد الخطاب القانوني يعلن قوانين معظمها» زجري: يعلم ويوضح حقل الممنوع ولا يُنشئ إلا بشكل مضمر الشيء المناقض النطاق المباح.[30] الأقوال القانونية، أو القانونية الموازية ستكون إذن مصدرا لعدد كبير من الاستدلالات من نمط:

«س ممنوع» ⟵ / لا – س مباح /

(انظر: «يمنع اللعب بالكرة في محل الجمهور». هذا لأن لنا الحق إذن في المشي فيه!

---

30 – في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى مقال بورسيي Bourcier (1979) الذي عنوان إحدى فقراته «الخطاب القضائي (القانوني) خطاب مضمر».
«Le discours juridique est un discours implicite».

لم يذكر إلا مع هذا الدواء، يجب ترك شرب الكحول، هذا لأنه يمكنني شربه!)

تتدخل بطبيعة الحال أيضا طبيعة المقام التفاعلي وطبيعة العلاقة الفاعلية البينية Interactants:

سواء جرى التبادل الكلامي في سياق جدلي أو ممدد، سواء كان للمتلقي فكر سيء التنظيم أو سيء التوجيه، سيكون له نزوع منهجي لإساءة الظن بهذا القول، وقراءة استدلالات ضاغنة به («أنت موهوب في هذا الميدان - آه طيب، ذلك بسبب الباقي...»).

عوامل أخرى يجب الإشارة إليها، نحو طبيعة توقعات المخاطب بخصوص مضمون خطاب المتكلم: كون الجمهور يتوقع - فيما يتعلق بفلم مخصص لكوكوشنيل Coco Chanel - أن المحاضِرة تتحدث عن البذل النسوية خاصة كون - لاستعادة مثال كَرايس، (Grice 1979 p.66) متلقي رسالة تزكية مكتوبة لصالح مرشح منصب الفلسفة يتوقع أن تقول فيها أكثر من «م.س له دراية مميزة باللغة الإنجليزية وكان مداوما على دروسي».

ما يمكننا استخلاصه على كل حال من هاته الاعتبارات كلها هو أن شروط تطبيق القاعدة التي تشغلنا هنا جد دقيقة؛ وأن الوجود المترابط للاستدلالات من هذا النمط مضمون تقريبا أو مشتبه به؛ وأن استخلاصها يترك هامشا مهما للذاتية التأويلية ويمكن أن تفضي إلى خلافات لا نهائية؛ وأن على المتكلم أن يجادل باستمرار ضد أي اقتحام مباغث لاستدلالات غير مرغوب فيها، سواء بتجنبها بمساعدة تصويب حذر:

مثلما أنت جميلة اليوم - كما هو الشأن دائما

أنت ظريف حين تنام - ليس حين تنام فقط...

الثورة، هنا - كما في أماكن أخرى...- تلقن فضلا عن ذلك القوة.

في بداية الأسبوع القادم - لا تسير التوقعات الجوية بعيدا - ستكون الشمس نادرة [الاحتياط ذو جدوى، إذا تذكرنا المشار إليه في الأوراق القليلة الماضية].

أو بالاعتراض بعد فوات الأوان ضد تأويل متعسف للمخاطب[31]

- ما يهمني هو س ...
- إذن ما أفعله لا يهمك؟
- بلى، لم أرد إطلاقا أن أقول شيئا مماثلا!
- القصة المصورة مسلية.
- إذن الدراسات تزعجك؟
- لا بالتأكيد، «س هي ف» لا تدل بالضرورة أن ص هي لا — ف.

وأن هذا النمط من الآليات بواسطة الضبابية التي تميزه والمماطلات التأويلية التي يسقط فيها تشكل حظا طارئا لمحترفي سوء النية.

V- استدلالات منطقية عملية[32] Praxéologiques

«يملك كل شخص مجتمعي معارف عن العالم، تلك المعارف تكون مستبطنة وممثلة معرفيا بسيناريوهات («مخطوطات» «Scripts» بتعبير أعمال علم النفس المعرفي) تثبت بعض الانتظارات المتعلقة بتناسق

31 - في هذا المثال على العكس من ذلك (م[1]) يضطلع ويستعمل الاستنتاج المسجل جدليا من طرف (م[2]):

جيزيل Gisèle: سترين الكل جيدا هناك عمل طيلة السنة هنا.

ماري Marie: (مغتاظة أكثر فأكثر) - في كل مكان هناك عمل في هاته الأيام.

جيزيل - بالضبط، سبب إضافي: هناك أيضا!...

(J. Grumberg . L'atelier . Stock – Théatre ouvert 1979, P . 28)

32 — نستعير هذا المصطلح من هـ. باريت H. Parret وليو أبوستيل Léo. Apostel، لكن نضيف إليه هنا معنى جد خاص، ونعمد إليه خصوصا لتلافي الغموض الذي تفضي إليه عبارة: المضمر التداولي L'implicite Pragmatique المستعملة في الاستهلال.

(«بمنطق») الأفعال الإنسانية» (A.Petitjean 1981 p.21). وعلماء المناهج الإيثنولوجية[33] أوضحوا أن المعطيات المرجعية كانت منظمة على شكل خانات استبْطنها المتكلمون حيث تسير وفقها سلوكاتهم الكلامية وتوجه عملياتهم التأويلية (إنها مثلا المعرفة التي تكون لنا عادة لما يجول حول مائدة وليمة هي التي تفسر أن قولا نحو «أفرغْ لي الماء» يؤول عموما ب / في كأسي / بدلا من / على رأسي.).

بكون إنجاز فعل من الأفعال يكون متضامنا مع عدد من الشروط والنتائج فإنه من الإيداع الكلامي لهذا الفعل يمكننا خلال حل السنن Décodage أن نستنتج بعض الإخبارات المتعلقة بما يسمى الشروط والنتائج: «صدق بعض حالات الأشياء يمكن أن يكون لها صدق حالات أشياء أخرى شرطا ضروريا، بحيث أنه يمكننا أن نرتفع بطريق الاستدلال من الأوائل إلى الثواني» (J.Jayer 1981. p.20) ونصطلح «استدلالات منطقية عملية «على الإخبارات الاقتضائية أو المضمرة التي يضمرها القول المتعلق بهاته الواقعة التفسيرية أو تلك. التي باسم أحد منطق الأفعال «Logique des actions» - (التي تنظم في «مخطوطات»، «خانات» «بنيات كبرى» «Macro-structures» و«وحدات عملية» أخرى[34] Praxéogramme) تتضمن بالضرورة أو احتماليا إنجاز أفعال أخرى مرتبطة[35] بها بشكل ضروري أو احتمالي.

---

33 – إيثنولوجيا: Ethnologie : علم وصفي لأصول وعادات وتقاليد الشعوب وتطوراتها الاقتصادية والاجتماعية.

34 - هذا المصطلح الأخير أشار إليه ب. ن كرونيك B. N. Gruning (1979 P. 16.

35 - هاته الاستدلالات يمكن أن تُقَرَّبَ من «التضمينات المرجعية الصحيحة» لبيروندنر Berrendonner (1981 P. 144) و«اقتضاءات الإمكان» Présupposés de possibilité و «رسامة الدلالة» « Ordination sémantique» لمارتان Martin (1976.

الكريديف Le Crédif يتصور على هذا المنوال في مستوى سوي - Niveau-Seuil:

- الشروط المادية الضرورية: «صعدت برج إيفيل»

← / ذهبت إلى باريز / (إخبار مقتضى لأنه يُحمل على شرط ضروري).

أمثلة أخرى من الاستدلالات المرتبطة بوجود ترابط من هذا النمط:

أولادي ماذا يجب أن نفعل من أجل أن يغفر لنا الله خطايانا؟

صبي يرفع أصبعه: أولا يجب ارتكاب الأثام.

(قصة طريفة نقلها أولبرشت تتك Olbrechts-Tyteca 1974 p.244) ضعف ظنه أوحى له بأن السؤال يقوم على شرط المغفرة بينما هو يتعلق بوضوح بوسائل الحصول عليها، الصبي (ربما طوطو دون شك) يبين هذا الشرط الذي يقتضيه في الواقع قول أستاذ التعليم الديني.

1 – هل تجد هذا الذي ارتديت جميلا؟

2 - نعم كليا؛ إذا وجدت فتاة مرتدية هكذا سأغازلها فورا.

3 - على كل حال أنت عاجز أن تغازل فتاة.

(Mini – Interaction analysée par Flahault 1978 p.188)

(3) توثق بـ (2) باعتراضها على الشرط المادي (أنا قادر على مغازلة فتاة /) المتضمن بالضرورة في التعبير الكلامي «سأغازلها»، بالطعن في مقتضى عملي Présupposés praxéologiques؛

- النتائج المادية الضرورية:

«أخفقت اللحظة آخر مترو[36]»/ لا يمكنني الدخول إلى المترو هذا المساء/؛

---

36 - مترو Métro: قطار تحت الأرض.

- الشروط المادية الممكنة: كل فعل تم القيام به (تكسير آنية، إصلاح تلفاز...) يمكن أن يتضمن احتماليا (إذن الآن أن يضمر) مهارة معينة أو توخي الفعل؛

- النتائج المادية الممكنة: مسألة أن تكون ذهبت للسينما يمكن أن تتضمن مثلا القدرة على حكاية الفيلم الذي رأيته.

- النتائج- حالات أخرى يمكن أن نضيف لها الاتفاقات المشتركة المادية الضرورية أو الممكنة التي تقبل توليد الاستدلالات (اقتضاءات أو تضمينات)، مثل:

- «خذ كرسيا» ← / اجلس عليه/: نتيجة مادية جد منتظرة (الاستعارة المضمرة شبه ممعجمة، منها التأثير الهزلي للصيغة الساخرة التي يفضلها التلاميذ: «خذ مقعدا، سينا Cinna: حاكم روماني حكم بعد سنة 86 ق. الميلاد باستبداد، واجلس على الأرض»).

- «القبطان إيبيڤون تألق شهرة؛ يعيد في كل لحظة: إيرما هاته الليلة — البارحة عند تناولنا العشاء مع إيرما...»:

(1984 p.94 29 le lit «Maupassant»)

عدد من التصريحات التي أرادها القبطان أن تدل (بشكل مجازي) / أعيش مع إيرما /.

الكفاية المنطقية: خلاصات

الاستدلالات التي تمكّن من الاستخلاص يمكن أن تأخذ وضعية المقتضى Présupposé إذا ارتبطت بالضرورة بمضمون القول (بالجملة: الأمثلة التي تعود ل III.1 وبعض الأمثلة التي تعود ل III.3) أو بمضمر إذا

لم تفعَّل إلا في بعض المناسبات السياقية Co(n)textuelles (أمثلة تعود لـ III.2 وبعض الأمثلة التي تعود لـ III.3).

كل الأشكال التأليفية ممكنة بين مختلف العمليات التي تم رصدها في هاته الفئات الثلاثة: مثل:

– باردة، القهوة لا تلمع

(1) تقتضي منطقيا، بموجب قانون التضاد الموقعي Contraposition / إذا كانت تلمع، فذلك بسبب أنها ليست باردة /

(2) تضمر بموجب مبدأ (خاص هاته المرة بالمنطق الطبيعي) الانزلاق من الشرط الكافي إلى الشرط الضروري / إذا لم تكن باردة، تلمع /

(3) تضمر أخيرا باستعمال (2) قانون التضاد الموقعي أو باستعمال (1) الانزلاق من الشرط الكافي إلى الشرط الضروري / إذا لم تلمع، فلأنها باردة /:

الاستعمال المنفرد أو المشترك Combiné[38] لهاتين العمليتين المنطقيتين الأساسيتين تمكن إذن من توليد ثلاث استدلالات جدلية أو تبريرية حسب الحالات.

– الرجال يحبون النساء اللاتي لهن أياد ناعمة[39] (= النساء اللواتي لهن أياد ناعمة محبوبات من طرف الرجال) تضمر بموجب القاعدة المعاينة في III.2 / الرجال لا يحبون النساء اللواتي ليست لهن أياد ناعمة /

---

38 – نرى أنه مهما كان الترتيب الذي نطبقه عليها فإن فعلها المزدوج يمكن من المرور من:
«إذا» ف « إذن» ق « إلى
«إذا ق لإذن ف»

39 – شعار إشهاري حلَّله ج . م . أدم J. M. Adam (1981 P. 91 .

استدلال يضمر بدوره في سياق معين (إشهار آلة لغسيل الأواني) بموجب استدلال مزدوج من النمط القياسي[39] Syllogistique (/ والحالة هاته النساء اللواتي يقمن بالغسيل ليست لهن أياد ناعمة / :

مقدمة صغرى مستخلصة من الكفاية الموسوعية)

← / الرجال لا يحبون النساء اللواتي يقمن بالغسيل /

(/ والحالة هاته تردن أن تكن محبوبات من طرف الرجال /)

← / لا تقمن بالغسيل /

الذي يفضي إلى الاستدلال «المنطقي العملي» Praxéologique (الاتفاق المادي الضروري المصاحب)

← / اقتنوا آلة غسيل، وعلى الخصوص الآلة كذا... /.

درجة تقنين القواعد التكوينية لهاته الكفاية قابلة للتغير إلى أبعد حد؛ والمنطق الطبيعي في مجمله وفي نوعيته «منطق ضبابي» (أنسكونبر Anscombre ودكرو Ducrot 1978 يتحدثان عن الاشتغال المنطقي المقنن Logicoïde للألسن)، ينشأ عن ترددات وانزلاقات: فكر باللغة الطبيعية وفسر تفكيرا طبيعيا هو من كل النواحي اشتقاق بعض المحاجات الهادفة إلى حد ما تكوين سلسلة من المعادلات التصورية التقريبية، تَنْقُل بشكل ما إلى المجال الدلالي السلوك الصوري «لقبة الحيلة»: على هذا المنوال تنشد لوس إريكَاري Luce Irigary البرهنة على صدق الفرضية.

الإنسان (الذكر)، هو الموت

بافتراض المعادلات المتوالية الآتية

39 – Syllogisme: قياس: قول مؤلف من قضايا متى سلم بها لزم عنها قول آخر.

رجولي = صلب = جثي = مي[40]

في الحين الذي يمكننا بكيفية شرعية أيضا أن نستحضر السلسلة الترابطية

أنثوي = رخو = انحلال = موت

- لكن دون شك كل الطرق تقود إلى الموت.

بصدد برنامج مخصص لمشكل الدفاع الذاتي Auto-défence كتب كلود ساروت Claude Sarraute (في Le Monde 30 شتنبر 1982 ص. 21): «العنف رديء. نحن كلنا تقريبا متفقون مع هذا الحساب». كلا، لسوء الحظ.

بالنظر إلى أنه طريق منطقي مختلف عن الذي يسلكه أتباع شريعة عقوبة المثل La loi du Talion: شر ضد شر، ليس شرا أبدا. جمع أو خفض؟ المنطق الطبيعي لا علاقة له على كل حال بعلم الحساب. هكذا نجد بكثافة:

- انعكاسات حجاجية من كل الأنواع

إذا كان العمل هو الصحة، إذن ليحيى المرض!

أي على الفراغ بما أن العمل هو الصحة. تعني أن الصحة هي العمل وإذن «المرض هو الفراغ»...

استدلال خادع على وجهين، من بين أسباب ذلك نظرا لأنه يعتبر العلاقة المعبر عنها بفعل الكينونة «être» قابلة للانعكاس بينما هي ليست كذلك عموما: «الجحيم هو الآخرون» لا تدل على نفس الشيء

40 - يمكن تناول هذا الاستدلال بمصطلحات الانزلاق من الشرط الكافي إلى الشرط الضروري. القواعد المعلنة يمكن تجميعها في فئة عامة تجمع مجموع الظواهر المرتبطة بعمل قانون الشمول الذي تتولد عنه استدلالات ذات قيمة مقيدة (حصرية).

في «الآخرون هم الجحيم»، مهما قال عنها سارتر Sartre (خلال كشفه الشعاعي[41] من طرف جاك شانسيل) «لم أقصد القول أن الجحيم ليس إلا الآخرين، لا يوجد جحيم آخر غير الآخرين. أقصد أنه إذا كانت العلاقات مع الآخرين متشنجة فاسدة إذن لا يمكن أن يكون الآخر إلا جحيما»؛

- **أكاذيب بديهية**

ثمن حاسوب صغير يكلف أقل من ثمن سيارة بالكاد ثمن CV 2 (حصانا).

وهو ما يضمر من حيث المبدأ - وعلى مستوى هذا الاستدلال تتموقع الأكذوبة - أن CV 2 ليست سيارة... (لكن في الواقع «سيارة» يجب أن تعني هنا سيارة «عادية» بثمن متوسط)[42]؛

- بل تناقضات واضحة للعيان:

على العموم يأتي دائما متأخرا.

على العموم في اللغة الإيطالية يكون النبر على الحرف ما قبل الأخير.

على العموم في الندوات لا نجيب أبدا على الأسئلة المطروحة.

يوم 15 غشت لا يكون الجو جميلا أبدا.

لكن ما تجدر معرفته: هل: «عموما» أم «دائما»؟

إنها «عموما» من جهة النزاهة والاحتراس، لكن «دائما» من جهة الفعالية الخطابية. مأخوذ بين انتحاءين متعارضين، يعمد المتكلم إلى التوفيق بينهما لقاء تناقض نظرا لأنه يقرب دون حيطة الكلمة الصائبة

41 - Radioscopie : كشف شعاعي: فحص الأجسام بأشعة إكس.

42 - خلال حوار مع جيل لابوج Gilles Lapouge:

«La Quinzaine littéraire» رقم 262، 1 شتنبر 1962 ص: 17 - 18.

والكلمة المغالية – الذي يشد الانتباه إلى أنه من النادر أن يحصل لنا التعبير بهاته الطريقة، لكن شواذا منطقية من هذا النوع تمر بيسر(سمعنا راهنا خلال ندوة حول الحجاج Argumentation هذا التصريح الرائع، الذي يتضمن تناقضا داخليا لم يستخلص في الظاهر من طرف أي عضو من الحضور، تضاف له مناقضة تداولية موجودة بين مضمون القول وما يثبته تلفظه: «عموما حينما تسمعون تناقضا في خطاب فذلك يضع إشكالا دائما»)، إذن ليكن أن شواذا مثل هاته لا يتم الوقوف عليها[43] أبدا.

حان الوقت إذن أن تحاول اللسانيات جرد الآليات[44] التي تميز بحق المنطق الطبيعي والوصف النسقي لها، البعض (دكرو Ducrot، كَرايز Grize، ألخ.) يستعمل ذلك منذ مدة. رأينا هنا بعض هاته العمليات التي تبدو منتجة بوجه خاص من وجهة النظر التي تشغلنا هنا حول أصل الاستدلالات.

توجد أخرى أيضا: النفي مثلا، مصدر لاقتضاءات وإضمارات متعددة ويعرف في اللسان الطبيعي اشتغالا مختلفا شيئا ما عما يتيحه له المنطق الصوري منذ أن قبل «علاقات ضبابية» «Relations Floues» و«قيم حقائق ضبابية» واستدلالات تقريبية[45] Raisonnement Approximatives هاته الأخيرة تقدم لنا أدوات وصفية موافقة شيئا فشيئا لوصف البرهنة الطبيعية، التي تتميز أيضا بمرونتها الفائقة وتنزاح عن الاستدلالات الصورية في وجهتين: من جهة الأقوال الطبيعية محملة بإضمارات التي قد تأتي لتعيق اشتغال

---

43 – نفس الآلية بالضبط تُلاحظ (لكن مستعملة على النقيض) في الشعر الإشهاري الآتي: «55,900 فرنك: يمكننا الحصول على فولفو Un Volvo بثمن سيارة...».
حول مسألة العوامل التي تتدخل في مقبولية التعارض يمكن الرجوع لكيربرا أوريكيوني Kerbrat Orecchioni (1984, b.

44 – بينما يتعلق الأمر هنا بتعارضات «قوية» في نفس المعنى الذي حددناه في الفصل II.

45 – يمكن الرجوع إلى مقال هـ. سنكور (1978) H. Sinacœur «عنوانه «منطق وحساب الضبابي» «Logique et mathématique du flou».

القواعد المنطقية الأكثر اعتمادا، ومن جهة أخرى القواعد المنطقية الأصلية تتداخل مع تلك المنتمية «لقوانين الخطاب» و«الميادئ الحوارية» التي تكوّن في مجملها الكفاية البلاغية التداولية للمتكلمين.

VI- الكفاية البلاغية التداولية

بلاغة Rhétorique، تداولية Pragmatique، «بلاغية تداولية»، «تداولية بلاغية»: ما هي التسمية الأفضل لهاته الكفاية التي تشكل مجموع المعارف التي يملكها متكلم حول اشتغال مبادئه الخطابية التي دون أن تكون ضرورية مثلما هي عليه قواعد التكوين الجيد التركيبي - الدلالي Syntactico-Sémantique يجب أن تُلاحظ من طرف من يريد أن يدخل بصدق في لعبة التبادل الكلامي والتي نصطلح عليها حسب الحالات حقائق «Maximes» أو مبادئ حوارية (كَرايس Grice)، «قوانين الخطاب «Lois de discours» (دكرو O. Ducrot)، «مسلمات الحوار «Postulats de conversation» (كَوردون ولايكوف)، «مسلمات التواصل العادي» (ريفزين Revsine)؟ في تلفظنا نعتبرها بلاغية فقط استنادا إلى «المكون البلاغي» «Composant Rhétorique» لـ دكرو، لكن مجازفة الالتباس تبقى كبيرة نظرا لإمكانية تأويل العبارة بالشكل الذي تعيّن فيه مثلا قابلية المتكلمين لإنتاج وحل الصور البلاغية أو أيضا الطرق الحجاجية... ومصطلح تداولية الذي يبعث أحيانا إلى الميكانيزمات التلفظية، وأحيانا إلى الاشتغالات الإيحائية والاستجابية، وإلى أشياء أخرى أيضا تتميز هي الأخرى بخطورة غموضها. لهذا السبب اخترنا أخيرا (وبكيفية مؤقتة دون شك) حل الكلمة المركبة، آملين أن تأتي كل واحدة من الوحدتين التي تكونها لتسد تعدد معنى الآخر.

بعد هذا الاشكال الإصطلاحي الذي تم طرحه ووضع حل له بين بين، نصل إلى مكونات هاته الكفاية ولتكن نقطة البداية الحقائق العامة

الحوارية Maximes conversationnelles لـكَرايص Grice الذي يمثل في هاته المواد مرجعا ضروريا[46].

نعرف أن هاته الحقائق العامة التي تتضمن مبدأ «التعاون» العام:

«أن مشاركتك الحوارية تطابق ما هو مطلوب من طرفك في الميدان الذي تصله، في إطار الهدف أو الاتجاه الذي يقبله التبادل الكلامي الذي تساهم فيه». يصل عددها إلى أربعة:

1 - **مبدأ الكمية** Maxime de quantité:

أن تشتمل مشاركتكم على أخبار قدر المطلوب (لكي تعتبر مناسبة للتبادل).

أن لا تشتمل مشاركتكم على أخبار أكثر من المطلوب.

2 - **مبدأ الكيفية** Maxime de qualité:

أن تكون مشاركتكم صادقة.

- لا تثبتوا ما تعتقدون أنه كاذب.

- لا تثبتوا ما تعوزكم فيه الحجج.

3 - **مبدأ العلاقة** Maxime de relation:

تحدثوا في الوقت المناسب وبكيفية ملائمة.

4 - **مبدأ الطريقة** Maxime de modalité:

أن تتحدث بوضوح.

- تجنبوا الحديث بغموض.

---

46 - لكن هاته المبادئ تحكم الإنتاجات الخطابية المونولوجية والحوارية على حد سواء نادرا ما يكون شرعيا تسمية هاته الكفاية محادثاتية (حوارية) «Compétence Conversationnelle».

- تجنبوا الإبهام.

- أن تكون موجزا (لا تكن مطنبا أكثر من الضرورة).

- كن منهجيا (كرايص Grice 1975 trad. Franc. 1979 p61, 62)

هاته المبادئ (الحقائق العامة) كانت موضوع دراسات نقدية عديدة على قدر شهرتها نفسها. يتم مآخذتها في أنها تلتقي بعضها مع البعض الآخر (يدخل في هذا أننا لا نرى جيدا ما يميز مثلا التعليمة «أن تكون موجزا»، التي تعود مبدئيا لمبدإ الطريقة عن التعليمة الثانية لمبدإ الكمية)، هذا الإطناب بالنسبة لصادوق Sadock يعزى لفرط قوتها. أن تكون جد عامة إذن - لكن أيضا أن تكونها بشكل غير كاف: بالنسبة لليكوف Lakoff يجب أن تكون هاته المبادئ في الواقع تابعة لمبادئ تفاعلية أعم نحو «لا تفرض نفسك على مخاطبك» «اتركه يختار»، ألخ. ونقول حول مجموع هاته القواعد ما يعترف به كَرايص نفسه بصدد الجرد الذي يقترحه لمختلف مبادئ الطريقة: «يمكننا أن نضيف لها أخرى».

مبادئ أخرى إذن تقبل أن تلعب في التفاعل دورا مماثلا للحقائق العامة الكَرايصية ويجب أن تعتبر إذن بنفس الدرجة أجزاءًا مكملة للكفاية البلاغية التداولية؛ مبادئ متعددة ومتنوعة تطول لائحتها كل يوم، والتي نقترح لها الجرد الآتي بكيفية مؤقتة:

VII- بعض القواعد البلاغية التداولية

1- مبادئ خطابية عامة

(1) مبدأ التعاون («م. ت»).

إذا اعتبرت عموم عروضنا متماسكة، فذلك راجع إلى أنها يقول كرايص «إلى حد ما على الأقل نتاج مجهود من التعاون» (المؤلف المذكور

P.60) والذي يمكننا من أن نفترض «أن الهدف المتوخى هو مردودية كبرى لتبادل الأخبار» (P.62). فرضية وجود مبدأ نحو مبدأ التعاون ترتكز إذن على اعتبارات تجريبية (P.63 «أن يكون سلوك الأشخاص على هذا النحو فذلك لأنهم تعلموا ذلك خلال طفولتهم ولم يفقدوا تلك العادة»)، لكن منطقية أيضا («أريد أن أتمكن من اعتبار القواعد العادية للحوار ليس باعتبارها مبادئ فقط حيث نلاحظها كلنا أو قريبا من ذلك في إجراء الحوار، لكن باعتبارها مبادئ نتتبعها بدراية ويجب أن نتمسك بها»): المبادئ الحوارية التي تحكم السلوك الخطابي للمتخاطبين ليست إلا نتاجا لخاصياتهم النفسية الجوهرية.

ينشأ مبدأ التعاون بفعل أن أشخاصا موهوبين بالحكمة، ويجب أن يدرك تطبيقا لمبدأ عام لعقلانية السلوك الإنساني وحكمة «Raisonnabilité» البشرية على السلوكات التفاعلية. فكرةٌ صاغها معظمُ منظري التواصل نحو فريزر 1975) Fraser الذي وضع فكرة: قاعدة واصفة» -Méta règle» للسلوك العقلاني «Rational behavior»، كَوردون Gordon وليكوف 1975) Lakoff اللذان يتحدثان عن شروط الدراية أو الحكمة «Reasonableness Conditions»، أو كَوفمان Goffman الذي يؤكد «أن الشخص يتصرف دوما بشكل يريد خلاله أن يبين أن طبعه سليم وكفايته معقولة».(P.159 1979).

لكن ماهو الشيء الذي نبين به الحكمة أكثر من أن نظهر «متعاونين» خلال تفاعل ما؟ إنه بكل بساطة حينما نمتنع بإصرار أن نكون كذلك. التبادل التواصلي يجد نفسه حتما مقفلا بضرر كبير على المخاطب لكن أيضا على المتكلم: حينما تُخرق المبادئ الحوارية من طرف المتكلم «يلحق الضررُ منافعه الخاصة إضافة إلى منافع الحضور» (Grice P.63). إلا إذا

افترضنا إذن شخصا مازوخيا (أو ماسوشيا[47]) ميالا بقوة لسلوكات الفشل، يجب أن نقبل أنه بمجرد دخوله - بطيب خاطره على الأقل - في التواصل يجتهد في أن يفعل كل شيء لكي تمر الأمور بكيفية عادية: ليس مبعث ذلك مبدأ أخلاقيا يعود لأية إيديولوجية غيرية[48] «Idéologie alruiste» بل يتعلق الأمر بشرط منظم تتوقف عليه بكيفية أساسية إمكانية عيش التبادل.

بالنسبة لـكرونيـك Grunig (1979) pp.12-13 هذا «النموذج التعاوني» هذا التصور للغة على أنها «آلة ذات تناغم ضروري وتعاضد مناسب في كنف المجتمع»، ليست إلا وهما خياليا ومهدًّأ يخفف من الصراعات، المواجهات والمخفقات التي تميز أيضا التبادلات الكلامية. دون شك. لكن وإن كانت من الناحية الإحصائية التبادلات من طبيعة صراعية أكثر عددا من التبادلات التعاونية - هل هذا التعارض معوج لأننا لا يمكننا أن ندرك تبادلات مؤسسة على شكل غير تعاوني كليا:

جادل Polémiquer هي أيضا شارك Partager، هي تقاسم (أو الإقرار بوجود قيم مشتركة) عدد من قيم وقواعد اللعبة اللسانية والحوارية — لن تُطرحَ قَاعدةً للاشتغالات التواصلية تلك التي ترتكز على وجود عقد مشابه للعقد الذي يحكم مجموع السلوكات الاجتماعية، هذا ما يعلنه بلطف ديسكومبر[49] V.Discombre (1981) «ندعو مجتمعا مجموعة من الالتزامات التي تكون بين عدة أشخاص بإزاء بعضهم البعض حينما

---

47 - Masochiste: أتباع المازوخية (انحراف جنسي يلتمس فيه المرء اللذة بالعذاب والإسم مشتق من اسم روائي نمسوي).

48 - Altruiste: محب الغير أو نسبة إلى غيرية.

49 - فكرة التعاون هاته باعتبارها معيارا دافع عنها بشكل بليغ فرونسيس جاك (F. Jacques 1979 P.P. 163, 225 - 226) الذي يوضح بالخصوص أن مخالفات عقد التعاون والملاءمة التواصلية تحاولان إفساد وتغيير مجرى مبادئ اشتغال الحوار المضبوط.

يكونون مجتمعا»، أي حينما يتشاركون الربح والخسارة مثل حيوانات الحكاية الخيالية:

العجلة، الماعز وأختهم الشاة،
مع أسد فخور، سيد الجوار،
يصنعون مجتمعا كما نقول في الزمن الغابر،
ويتشاركون الربح والخسارة
لافونتين (La Fontaine, Fable 6 Livre I)

والحالة هاته التبادل الكلامي يطابق جيدا هذا التعريف (p4) «إذا حصل لشخصين أن تكون لهما فائدة التكلم بينهما، فإنهما يحصلان معا على فائدة إذا نجحا في فعل ذلك، ويخسران معا إذا لم ينجحا في ذلك، هناك إذن تشارك الربح والخسارة، ويكون لنا الحق في أن نعتبر تبادلهم الكلامي نشاطا منجزا في المجتمع».

فيما يخص مبدأ التعاون. «فينحصر في التذكير بأن المتحاورين يشكلون مجتمعا. إذا طلب الشخص أ من الشخص ب طريق المحطة، يمنح لنا المبدأ اعتبار «أ» و «ب» يشتركان في ممارسة نشاط مشترك يتمثل في «تعيين طريق المحطة». ينجم عن هذا التشارك أن الالتزام الذي على الشخص «أ» أن يضطلع به هو أن يطلب طريقه بكلمات يفهمها «ب»، بينما يعود لـ «ب» أن يعطي جوابا بكلمات يفهمها «أ». إذا تصرف أحدهما بخلاف ذلك فإنه يعاكس هدف المجتمع الذي شكّله هو نفسه مع شريكه ومن ثم هدفَه الخاص. الالتزام الذي يعلنه مبدأ التعاون ليس إلا الارتباط الاجتماعي الكلامي» (P5).

صحيح أن بعض الأشخاص أقل «تعاونا» من آخرين: في بلاد العجائب الاستعداد التواصلي ل أليس Alice: (أليس: بطلة روايات

عجائبية طفولية). يصطدم باستمرار بسوء نية مشاركيها الخطابيين، الذين يروق لهم أن ينصبوا لها الشرك الأمكر، يريدونها بلهاء في أقوالها البريئة، يلوون بلا حشمة القواعد اللسانية والحوارية ويمارسون بكيفية منهجية: النقض، سوء النية، حركات الإعاقة والتضليل.

إنه صحيح أيضا أن بعض أنماط التبادل نحو المجادلة، الحرب الكلامية الخطاب الإرهابي، ألخ، هي من حيث مبدؤها أقل تعاونا من التبادلات الهادئة السليمة لا بل الاندماجية. ويتاح بالتأكيد أن نجد المواجهات والخلافات، ومظاهر الانشقاق وإجراءات الإقصاء[50] Ex-communication مفيدة أكثر من التفاعلات «السعيدة» بل أكثر تمييزا: بحسب تمحور فكرتها حول التبادلات الناجحة أو الفاشلة، وبحسب أن تشكل فيها صورة مرحة أو مشؤومة، يمكن لمنظري التواصل أن ينقسموا إلى قسمين: قسم المتفائلين على شاكلة كَرايص Grice والمتشائمين مثل كَرونيك B.N.Grunig لكن بصفات مختلفة هنري P.Henry، ڤيرون E.Veron أو شـڤـاليي J.Cl.Chevalier وديليصال S.Delesalle 1979 حينما يصفون النشاط الحواري على أنه سلسلة من ضربات القوة تهدف إضعاف خطاب الآخر وضمان السيطرة الخاصة على التفاعل. ويلصون Wilson وسبيربر Sperber اللذان يشغلان بشكل ما وضعا وسطا يصرحان: «الوصف الذي» اقترحناه يشير بالأحرى إلى أن المتكلم يبحث في أن يكون له أكبر تأثير عكن على المستمع، درجة ما من التعاون ستكون الثمن الذي على المتكلم دفعه للنجاح في مشروع أساسي «أناني» (P 93) سيكون متكلما إذن بشكل ما غير تعاوني بطبعه لكنه تعاوني بالضرورة.

---

50 - يمكن الرجوع بهذا الصدد للعددين رقم 26 - 27 («Langage et ex-communication») ربيع - صيف 1981 من مجلة «Degrés».

لا يمنع من حدوث بعض الوقائع المشهودة، إذ يبدو صعبا إنكار الخاصية الموسومة التي تخرق علانية مبدأ التعاون (والتي يعتبرها فرونسيس جاك F. Jacques بهاته الصفة عابرة ومنحرفة): سوء الفهم، الخلاف لا يوجدان إلا في علاقتهما بمعيار التفاهم الذي يمكننا اعتباره وهميا دائما، لكن هذا مشكل آخر: أن تكون متعاونا هو أن تتصرف كما لو أنه يستحب ويمكن أن تتواصل.

2 - قانون الملاءمة («مبدأ العلاقة»)

يشكل مبدأ التعاون بالنسبة لكرايص مبدأ كبيرا متضمنا لعدد من المبادئ الحوارية المختصة. لكن هاته الصفة تنازع من طرف مبدإ حواري آخر الذي هو بالنسبة لسبيربر Sperber وويلصون Wilson قَبلَ لأن يقوم هو وحده بمجموع أدوار المبادئ الكرايصية: هو «مسلمة الملاءمة» «Axiome de pertinence -1979 P. 93»: «توصلنا إلى أن المبادئ ترجع إلى مسلمة الملاءمة التي كانت الوحيدة المتصفة بالوضوح والدقة أكثر من مجموع المبادئ»).

نلاحظ إذن، خارج الرغبة التي يبديها هؤلاء لإرجاع مختلف القواعد التي تحكم الاشتغال البلاغي التداولي للخطاب إلى مبدإ وحيد وأساسي، هناك بعض الشكوك بإزاء تنظيمهم التدرجي بالنظر إلى أن نفس المبدإ الذي يخضعه كرايص (تحت سمة مسلمة العلاقة Maxime de relation أو Relevance) لمبدإ التعاون، يوجد في أعلى هرم القواعد الحوارية من طرف ويلسون وسبيربر.

«Be relevant» (قابل للدخول في علاقة): يتعلق الأمر هنا على كل حال بمطلوب أساسي يماثله كارول (Charolles - 1980, c p. 61) صراحة بـ «نظام الدلالة» مثلما بـ «مبدأ التماسك المنطقي «Principes de cohérence» ومبدأ التعاون. أن تكون متعاونا، متماسكا، مدركا،

تبحث عن التواصل وإنتاج المعنى: هاته أخيرا أشكال متعددة لنقول نفس الشيء من وجهات نظر مختلفة.

لكن ما الذي يمنحه بالضبط مبدأ التعاون هذا؟ «في إيجازها تخفي هاته القاعدة عددا لا بأس به من الإشكالات التي تشغل البال: ما هي مختلف أنواع ومراكز الملاءمة الممكنة، كيف تتطور خلال التبادل الكلامي، ما هي الإجراءات العادية التي تفيد في تغيير - بشكل مشروع نسبيا - موضوع المحادثة إلخ. هاته الأسئلة في رأيي صعبة للغاية». (Grice -1979 p. 61). وهي الأسئلة التي يجيب عنها ويلسون وسبيربر بالطريقة الآتية: «يكون القول ملائما بالأحرى مع القليل من الأخبار، إذ يقود المستمع إلى إغناء أو تغيير معارفه أو تصوراته. بعبارات أخرى ملاءمة القول تكون مباشرة بمقدار النتائج التداولية التي يحدثها للمستمع. وبشكل معكوس بمقدار الغنى الخبري الذي يتضمنه [...]. بشكل مجرد شيئا ما نقول أن الفرضية ف بالأحرى ملائمة في علاقتها مع المجموع م من الفرضيات إذ يتيح الجمع بين ف و م حساب عدد كبير من النتائج الجديدة» (1979 - 88 .P): هكذا إذن على فكرة النتائج الناجمة عن قول ما يتمفصل مفهوم الملاءمة الذي يغطي مثلا الوقائع الآتية:

المتكلم [1] – تعرفون أنه يوجد ملعب لكرة المضرب مجاور للثانوية؟

المتكلم [2] – لماذا، هل تعرف كرة المضرب؟

المتكلم [1] – لا

المتكلم [2] – إذن بحق قول عديم الفائدة

[القول شيء لا يجذب نتيجة].

في هذا المنظور، يكون القول ملائما إذا أمكننا أن نستخلص بعض النتائج العملية المباشرة على غرار جملة نحو: «هناك ضباب هذا

الصباح» هل تساوي في درجتها الإخبارية ملاءمة بالأحرى الضباب المعني يكون له انعكاسات أكبر على قيادة المخاطب. بل يمكن لقول غير إخباري أن يكون في هذا المعنى ملائما: «يهطل المطر» تراه جيدا وأعرف أنك تراه جيدا لكن إذا قلت لك هذا فذلك لتستخلص منه النتائج التي تستوجبها اللحظة، وتطبيق مبدأ «الملاءمة العملية» قد يمكن من استخلاص بعض الاستدلالات، على غرار ما هو موجود في هذا التبادل: «لنمرَّ من هنا، فالطريق قصيرة المسافة ولن نتبلل على الأقل...
- هل يهطِل المطر؟».

لكننا يمكن أن نجد متكلمنا الثاني الفائت قاسيا وضيق الذهن في استعماله لتصور كهذا للملاءمة[51]. يجب في الواقع أن نقبل إلى جانب الملاءمة «العملية» ملاءمة «حجاجية» Pertinence Argumentative تميز كل قول يمكن أن يكون أساسا لاستخلاص استدلال قابل لأن يغير خزان المعارف والقناعات لدى المخاطب أو أساسا لسلسلة حجاجية صريحة يكون بها هذا القول إخباريا أم غير إخباري: «البابا كاثوليكي، ليس صحيحا؟ إذن لماذا عليه أن يحتفل بعيد الفصح اليهودي؟») Gordon et .(Lakoff-1973 - P. 41

مثال آخر: في مطعم، لحظة دفع الحساب،

المتكلم[1] – قطب وجهه واحتج: «لي ثلاثة أطفال !» قول غير إخباري نظرا لأن كل الناس يعرفون عن فطنة أن المتكلم[1] متكفل بأطفال لكن مع ذلك ملائم حجاجيا. رد المتكلم[2]: نعم، لكن أنا لي ثلاثة عشاق!»، رَدٌّ

51 – تصور يأتي في أوانه لتأسيس جواب «الزبون» في هاته «القصة الطريفة» التي نقلها فرويد :Freud (1971 , P . 78

«تاجر خيل يهدي لزبونه حصانا ركوبا». إذا أخذتم هذا الحصان وانطلقتم على الساعة الرابعة صباحا ستكونون على الساعة السادسة والنصف في برسبورغ Presbourg.
وماذا سأفعل في برسبورغ على السادسة والنصف صباحا؟».

مازح ينفلت إذن لقانون الإخبار، ولكن لا ينفلت بالمرة لقاعدة الملاءمة إذا استخلصنا تماثليا الاستدلال / عشاقي يساوون عندي الكثير /.

- تعتبر أيضا ملاءمة كل الأخبار التي يمكن أن يحكم عليها بأنها مفيدة بالنسبة للمخاطب: حَادَثَ (حقا) هو دائما تقريبا (محاولة) إجبار الآخر على إدراك أن الأمر المطروح له فائدته (كارول P. 13 - 1980).

بتعبير آخر: التحدث للمخاطب هو أن تقول له شيئا وأنت ترى اتّجاهه، لكن أيضا شيئا ما يهمه. نرى إذن أن إخبار القول وملاءمته لا يتطابقان بالنظر إلى أن قولا غير إخباري يمكن أن يكون ملائما حجاجيا وأن قولا إخباريا يمكن أن يعتبر غير ملائم إذا كان مجردا من أية فائدة بالنسبة للمخاطب، وأن قاعدة الملاءمة مهيمنة في علاقتها مع قاعدة الإخبار: إن الشرعية الخطابية لأية متوالية تقاس بملاءمتها وليس بدرجة إخباريتها.

- كل قول إذن يجب أن يتوفّر أخيرا على درجة من الملاءمة موضوعاتية «Thématique» بمعنى أن يوافق السياق الحواري: «حينما أبدأ الحوار مع شخص ما حول موضوع معين، مهما كانت أقواله أعتبر أولا من حيث المعرفة أن مقاصده لها علاقة بموضوع الحوار» (كارول 1980 - P. 61).

لنفترض أن المتكلم م يتحدث مع «بصدد» (وليس «خارج الموضوع») سيذهب المخاطب إذن - حينما يواجه قولا خارج الموضوع بحسب الظاهر - إلى تكوين استدلال موافق للموضوع الخطابي. وهو ما يفسر أن في السياق Co(n)texte [52] كل قول ذي صلاحية عامة نحو المبادئ الأساسية Maximes، الحِكَم، الأمثال السائرة والأقوال المأثورة توجد مستعملة في الموضوع الحواري الخاص الذي يتعلق بها.

---

52 - Cotexte: السياق اللساني الخالص.

Contexte: السياق اللساني والخارج لساني (المناسباتي...).

المتكلم 1 – (بفرح) ابني دخل أخيرا لمؤسسة الدرك.

المتكلم 2 – لا وجود لمهنة بلهاء.

← / مهنة الدرك ليست مهنة «بلهاء» / .

(يمكن أن يظهر هذا الاستدلال على كل حال نفيا ماكرا على اعتبار أنه انضاف إليه بيسر استدلال آخر أكثر فظاظة يُولده هاته المرة قانون الإخبار:

/ يمكننا أن نعتبر مهنة الدرك مهنة بلهاء /).

الأمثلة يمكن أن تتعدد في الحالة التي ينبثق فيها الاستدلال بواسطة قاعدة تأويلية نحو: «حينما يظهر في متوالية خطابية قول ذو صلاحية عامة، ارفعوا ملاءمته باستعماله في المقام الخاص الذي يتعلق به السياق، أي شكلوا استدلالا يكون مضمونه «مختصا» (وامتداده أكثر اختزالا) في علاقته بالمضمون الحرفي.

ليس هذا إلا شكلا واحدا من الأشكال التي يمكن أن تتخذها القاعدة العامة «الملاءمة الكبرى» Pertinentisation maximale.

للقول: حينما يعتبر المضمون الحرفي غير ملائم بكفاية نحاول إذاك رفع هاته الملاءمة قدر الإمكان بتقديرنا لدلالة مضمرة أهم أو دلالة تفضي إلى استنتاج أكبر. هاته القاعدة صادفناها مرات عديدة: فيما يخص «أقلع بيير عن التدخين» (لكن لماذا الشيطان م فجأة يتحدث لي عن بيير الذي لا أبالي به، إلا إذا كان ذلك من أجل أن يقترح علي شيئا يهمني أكثر؟). من إشارة لأوسكار وايلد على دناءة أحد الشباب (إشارة لو لم تكن محملة بوظيفة حجاجية مضبوطة لجاءت هنا مثل «شعرة على الحساء»)، أو أيضا الاستعارة الاقتضائية الخاصة التي ترتكز على التحدث للمخاطب أ عن الشخص س للإيحاء بمعرفتنا أن الشخص س هو موضوع الأفكار السرية للمخاطب أ: هاته الآلية مسؤولة عن عدد كبير من الاستدلالات.

إذا صمد القول الإشكالي في إنشاء استدلال على هذا النحو فإنه يحتمل التعرض لسخرية المخاطب أ («ما هذا ؟»، «إلى مَ تريد أن تصل بالضبط ؟»). (مشهد في الميترو الباريزي: الطفل، مسرور جدا، دون شك لأنه عرف أن يقرأ:

ماما وصلنا لـ ريشليو Richelieu، ماما وصلنا لـ ريشليو! ما ما....
الأم – لكن ماذا تريد أن يفعل بي ذلك؟ لن ننزل بريشليو...».

أو ذهوله:

الشرطي جوليان صوريل ويكس «جوجو Juju»: – هل يمكنني زيارة عيادة البروفيسور بريسيت Brisset (المقتول البارحة)؟ إنه في الطابق الأول أليس كذلك؟

– نعم بالفعل! طابقه تقول أوريان Oriane (زوجة البروفيسور بريسيت والآن أرملته). لا أدري ما أفعل بها الآن؟ خذوا مستأجرا آخر مكاني؟

– آه، قال صوريل، وقد أصابه الذهول، حقا لست...»[53]

وإنه في حد حكم منحرف يأتي ليحكم على سلوك خطابي يعتبر بلا ملاءمة مبطلة: «إذا قلت في الحافلة – بلا تحذير – للشخص الجالس أمامي أن بيير في شيكاغو هاته اللحظة، سيعتبرني أحمق وليس فاقد الصواب » (R. Martin 1976 P. 19) . توجد إذن قاعدة الملاءمة، بما أنها تشتغل وتنطبق على كل صنف من أصناف الأفعال اللغوية Actes de langages: نصح، التماس، سؤال «ملائم» أو «أبله» (الرجوع إلى المثال السابق لـ توني دوفير Tony Duvert، أو أيضا هذا المثال المأخوذ من الواقع الحي:

لمتكلم 1 إلى المتكلم 2 من أصل بولوني: –«هل تذهب غالبا نحو بولونيا؟
المتكلم 2 – وأنت؟ ...»)

---

53 – T. Duvert. *Un anneau d'argent à l'oreille*, Minuit 1982, P. 26

لكن كما يقول كرايص تطرح كثير من الأسئلة الصعبة جدا بشأنها تخص وضعها والطريقة التي تتمفصل بها مع قانون الإخبار Loi d'informativité والقواعد اللسانية الخالصة التي تحكم الترابط الخطابي:

جواب ملائم هو مثلا جواب يقدم الخبر المطلوب («أنا الذي يتحدث إليك والذي تجيبه بكثير من الملاءمة»، يعلن - عكس ما هو منتظر - إلى مشاركه الذي لا يتحدث إلا بقرقرات وردود مصاداتية[54]، شخصية لجون طارديو[55] Jean Tardieu)، جواب متماسك إذن، في كنف الزوج La paire المتجاور سؤال / جواب، هل يجب اعتبار أن المبدأ العام الذي يريد أن يكون كل خطاب مونولوجي أو حواري متماسكا يعود للكفاية البلاغية التداولية، والقواعد الخاصة التي تضمن هذا التماسك تعود للكفاية اللسانية؟ أسئلة تتعلق أيضا بإمكانية تقعيد شروط تطبيق هذا المبدأ. أسئلة خاضعة برمتها للسياق التلفظي Contexte énonciatif وللمميزات الخاصة (وضعهم المعرفي، أهدافهم ومقاصدهم وغاياتهم إلخ ...) بالمتفاعلين.

3 - قانون الإخلاص

«إذا تركتموني أرى الفيلم، يمكنكم خلع أقنعتكم، وأعدكم أن أقول أنكم وضعتموها كل الوقت، ولن أقول أبدا للشرطة ولا أنني رأيت أوجهكم ولا عندي أي فكرة عن رؤوسكم، أحلف على هذا بقسم رسمي».

رفع أصابع ثلاثة ليده اليمنى، على طريقة الكشافة. لم يسبق له أبدا أن كان كشفيا، لكن ليس هناك إلا القصد الذي يهم.[56]

54 - المصاداة: ترديد مرضي لما يقوله الآخرون.

55 - «السيد أنا. حوار مع مشارك متألق» في: مسرح الغرفة: *Théâtre de chambre* (Gallimard 1966 p. 96.

56 - D. E Westlake. *V' la ant'chose*. Gallimard, «super noire», 1976. p. 165.

«أن تكون مشاركتكم صادقة»: «قاعدة الكيفية» هاته التي تعلن أنه لا يجب أن تعلن إلا ما نعتقده صادقا والتي تصدق على الإثباتات assertions لكن أيضا على الاستفهامات (يرغب المتكلم بصدق أن يعرف الجواب)، الالتماسات (يرغب المتكلم بصدق أن يمتثل المخاطب)، الوعود أو العهود (للمتكلم نية الوفاء بصدق) يعتبرها كرايص «اساسية». ما يبدو مفارقا هو اعتقادنا أن ما هو معروف غالبا عن اللغة الإنسانية بصفة إحدى مميزاتها الخاصة إمكانية استعمالها من أجل خداع الأخرين أو إذاعة أخبار كاذبة»، بمعنى إمكانية ما يصطلح عليه لاينز(Lyons - 1978 P. 73») الإخلال بالواجب "Prévarication"وللشخص ميزة أن يكون قبل كل شيء حيوانا كذوبا [Animal Mendax [57]]. نعرف على سبيل المثال أنه يستحيل على نحلة أن تعين بواسطة رقصتها لنحلة أخرى موقع زهرة غير موجودة، وفيما إذا قطعت الزهرة المعينة بين الزمنين، فيحدث أن النحلة الثانية التي تكون مبرمجة لتجد هنا ما لم يعد موجودا، لا توجد تموت، ولكن لن تموت أبدا بسبب أنها خدعت. الأشخاص يمكنهم على النقيض أن يخدعوا ويموتوا[58] عند الاقتضاء.

لهذا السبب ينبغي أن نشاكل ذكر قانون الإخلاص في هذا بالشرط الآتي:

لا يعلن إطلاقا أننا نعتقد بالضرورة صدق ما نقوله ولا أن لنا نية الوفاء بالوعود أو نرى التماساتنا تستجاب. يعلن فقط أنَّ تكلَّم هو ادعاء الإخلاص في قوله، وأن كل قول يقتضي - خارج كل تضاد من نمط «إنه

57 - هاته العبارة تأتي من ج. ألمنسي G . Almansi - 1978 P . 418، نسجل رغم ذلك أن الكلب يعرف استعمال التمويه، وأن كوكو الغوريلا يعرف كما يبدو - الكذب.

58 - يمكننا أن نفكر في حالة هاته التعاسات اللوكايينية Lucayens - Lucayes الإسم القديم للباهاماس Bahamas: الأرخبيل الأطلسي جنوب شرق فلوريدا) التي بادت (حسب تودوروف Todorov = 1982 P. 122) بيأسها بعد خديعة من طرف الإسبان، ومن طرف جون صبرغ Jean Seberg افتراءات: F. B. I.

بغرض هزلي»، «أمزح»، إلخ...، وإذا لم يتعلق الأمر بالاستشهاد الصريح أو المضمر - يقتضي أن المتكلم ينخرط في المضامين المثبتة. وبتلازم يمنح المستقبل المتكلم - خارج أي تضاد دائما - اعتماد الإخلاص Crédit de sincérité. لا يهم أخيرا أن نعرف هل كان كرايص ومور Moore على صواب حينما صرحا «إنه من السهل أن تقول الحق على أن تكذب[59]»، أو أن «الكذب وإن كان عاما نسبيا فهو استثنائي بكفاية[60]»: بالرغم من أن الكذب مؤكد بشكل ضاف، لن يكون أقل من سلوك خطابي موسوم في علاقته بمعيار الإخلاص، ولا يمكننا تصور لسان يشتغل على نقيض ذلك.

بعض الحجج المعززة لهذا الإثبات المتعلق بخاصية لا - تساوق التعارض إخلاص / كذب:

1 - اعتبار من جانب معجمي: لا يوجد ضد للإسم الموصوف كاذب، إنه عادي أن تكون شخصا يقول غالبا (عموما) أن اللسان لم يتحقق من الحاجة إلى إنشاء كلمة لتعيين هذا الشيء.

2 - ذهبت إلى السينما الثلاثاء الأخير، لكن لا أعتقد ذلك.

- في الحقيقة أنا الأكبر سنا لكن أجهل ذلك.

هاته جملة تعرف بتناقضها بشدة: أي أن الجملة «ج» تدل في الواقع «أعتقد / أعرف أن ج» (ج صادقة بالنسبة لي).

بعبارة أخرى:

---

59 - موشلير Mœschler - 1982 P. 66: «الذي يهم من أجل الأداء الجيد لفعل الإثبات acte d'assertion هو أن يقتنع المرسل إليه بأن المرسل يعتقد أن ف». وقاعدة الإخلاص يجب أن تعاد صياغتها إلى «شرط الإخلاص الانعكاسي «Sincérité réflexive».

60 - كرايصGrice - 1979 P. 63.

تأكيد هذا الإثبات: في الدرس التعليمي للغة أجنبية حيث يتعلق الأمر بتناول بنيات دون الاكتراث بموافقتها، نعاين في الغالب مقاومة بنية للكذب: يصعب على الأشخاص أن يعلنوا ما يعتقدونه مخالفا للحقيقة ولو كان تافها.

الإنسان فان = صحيح أن الإنسان فان، صحيح أنه صحيح أن ...

يمكن أن يكون الإنسان فانيا = صحيح أنه يمكن ...

إنه خاطئ أن الإنسان فان = إنه صحيح أنه خاطئ ...

الإنسان غير فان = إنه خطأ أن يكون الإنسان فانيا، إنه صحيح أنه خطأ...:

فقط الأقوال المعبر فيها بالنفي تصل إلى إثبات كذب (خطأ) المضمون القضوي.

نذكر أيضا إذا أمكننا عموما صياغة التماس غير مباشر بطرح استفهام عن شروط نجاحه («هل تريد. هل يمكنك أن تناولني الملح؟»).

شرط الإخلاص وحده الذي ينفلت للقاعدة («هل أريد أن تناولني الملح؟ «جملة غير مقبولة): هذا الشرط لا يمكن أن يطرح (بينما يمكن أن يثبت: «أريد أن تناولني الملح») بالنظر إلى أنه يتعلق الأمر هنا - يستنتج هـ. باريت H. Parret - 1978 P. 15 «بمبدإ نظري موضوعاتي مركزي» «Principe Théorématique Central».

3 - بشكل مماثل توضيح مبدإ جد صلب يُنتج عموما الأثر الغريب للحشو[61] Tautologie:

لا يمكنني أن آتي، لدي شخص سأذهب للبحث عنه في المحطة - بالإضافة إلى أن ذلك حقيقي.

في اليوم الماضي أثناء إعادتي قراءة أرسطو - إنه حقيقي زيادة...:

تبيين مبدإ الإخلاص الذي يُفْتَرض امتداده تحت كل سلوك خطابي هو بشكل ما انتهاك لقانون الإخبار، ولا ينتج هذا إلا في بعض المناسبات الخاصة على نحو:

61 - ج. مور G. Moore ذكره ريكاناتي Récanati - 1979, a P. 183.

- لِـصَادَقَ على[62] to endorse وأكَّدَ to confirm، وخَوَّلَ to concede وصنف to reassert مضمون معين يمكننا أن نقول مثلا: « It is true that it is raining» = حقيقة إن السماء تمطر، حينما تكون العبارة العادية هي بكل بساطة «It is raining» «السماء تمطر»، (Grice 1978 P. 125).

- في بعض الأنماط الخطابية نحو المجاهرات بالرأي الانتخابي، ادعاء الإخلاص يعثر على بعض الإخبار، إذن شرعية، وإذن اعتياد فيما يجب أن يناضل به ضد منطقة مشتركة تحمِّل هاته اللهجة النمطية: كل السياسيين كذابون، وأصحاب أيمان كاذبة:

أقولها لكم بكل صراحة...

برنامجي الانتخابي سأنجزه.

ما أقترحه عليكم سأفعله إذا أردتم ذلك.

- النزوع الطبيعي إلى أخذ موقع القائل المثالي والنهائي للصدق تميز أخيرا حسب ج. ن. دارد J. N. Darde - 1983 بعض الخطابات الإيديولوجية في مجملها وبخاصة خطاب الحزب الشيوعي الفرنسي، وخطاب يومية[63] l'Humanité.

بعد أن قال (P. 15): «حينما نأخذ الكلمة، القاعدة العامة هي أن نظهر ضمنيا قائلين للحقيقة أو على الأقل معتقدين بإخلاص قولها. هذا

---

62 - Tautologie: ما كان لفظه زائدا على أصل المعنى من غير أن تحمل الزيادة فائدة.
- to endorse: يوقع على شيك أو سند، ويدل أيضا على يصادق على.
- to confirm : يقوي، يعزز، يصدق على (معاهدة) يؤكد ظنونا.
- to concede : يمنح، يخول، يسلم ب، يذعن أو يقوم بتنازلات.
- to reassert : صنف، أكمل.

63 - L'Humanité: يومية أسسها ج. جوريس J. Jaurès سنة 1904 ناطقة بلسان الحزب الاشتراكي حتى مؤتمر 1920 [Tours 1920 el fu] ثم بعد انشقاق أغلبية الحزب الشيوعي الفرنسي.

الالتزام الضمني باحترام مبدأ الصدق هو الشرط الأول للتواصل. وفي الواقع على هذا المبدأ الأساسي تتأسس إمكانية الكذب بنجاح [...]. نظرا لأن التعهد باحترام مبدإ الصدق، عقد الصدق ضمني، لا يعتبر في الغالب من الضروري الصياغة الصريحة». يضيف دارد (P. 16) «ما يميز يومية L'Humanité عن باقي الجرائد الإخبارية الكبرى، هو من جهة المكانة التي يشغلها التأكيد الصريح باحترام عقد الصدق وعلى الشكل التفخيمي الكبير الذي يأخذه: على لسان الحزب الشيوعي الفرنسي «أقول الصدق حول ...» تترك غالبا المكان لـ «أنا الصدق».

4 - قاعدة الإخلاص تريد أن لا نعلن إلا ما نظنه صادقا، لكن أيضا، وهنا في هذا المنحى يتعلق الأمر بمبدإ تفاعلي، أن نكون قادرين على ضمان هذا الصدق، أن نظهر أننا نتحدث بمعرفة عن الباعث («ماذا تعرف عنه؟»، «تحدث عما تعرفه!»، «حينما لا نعرف عنه شيئا يحسن بنا أن نصمت!»)، أن نضبط من وراء ذلك الاقتناع (الداخلي بقوله إزاء الآخرين. نذكر أن كرايص يفَصل مبدأ الكيفية على هذا النحو:

لا تؤكدوا ما تظنونه كاذبا.

← / لا تؤكدوا إلا ما تظنونه صادقا.

(الذي لا يعني، وهذا ما سنعود إليه، أنه يجب عليكم تأكيد كل ما تظنونه صادقا).

لا تؤكدوا السبب الذي تعوزكم الحجج بشأنه.

بديهي جدا أن هاته المبادئ الجميلة أبعد من أن تلاحظ دائما، أن نعلن في الغالب مضامين غير متأكدين من الانخراط فيها، دون الحديث عن المشكل النفسي - الذي سنتركه بشكل حذر جانبا - الذي يطرحه مفهوم الانخراط بخصوص الأشخاص المنفسخين

والمضامين المترددة[64] ...: لكي نبقى في المستوى الذي يهمنا هنا مستوى «أن نفعل كما لو أن»، نسجل على كل حال الكثرة المزعجة في الشفهي للوقف «j'sé pas» الذي لا يمنع رغم ذلك الأنا من أن يثبت، - ونكون بالأحرى عاجزين عن الحجاج: قلت هذا بمحض هواي، كما اتفق، لكن تعرف ما أقول عنه على كل حال لست مرغما على الاعتقاد بما قلته ... بالنسبة لباريت H. Parret -1978 - P. 1 الخطاب الكاذب يشكل قطيعة اعتقادية تجازف باستمرار بتقويض مبدأ التخاطبية نفسه (Principe de discursivité)»: سنرجع فيما يلي إلى هذا المشكل من أجل الوقوف (بعد أوستين Austin 1970 وسورل Searle 1982) على الحالات المختلفة لخرق «عقد» الإخلاص الذي يتأسس ضمنيا، على العموم وبشكل مبدئي بين شركاء التبادل الكلامي.

64 — باسم اعتبار هذا الترتيب يشجب بافيل1982 (Pavel) قاعدة الإخلاص، ودون شك باسم نفس الاعتبار اختلق الكلمتين المدغمتين mots valises : «Vraux» vrai – faux و« Farai - faux – vrai».

في كتاب: sauve qui peut: روبين Robin، كراصي Grasset: P. 1979 - 30.

معجم المصطلحات الألسنية

- أ -

الإبستمولوجيا Epistémologie

في الاصطلاح الفلسفي هي الدراسة النقدية لثلاث مسائل:

أ - دراسة نقدية للعلوم من حيث مساراتها العلمية ومدارسها التي تساهم في تطور الرؤية التحليلية.

ب - دراسة نقدية لتشكل هاته العلوم والظروف العلمية التي ساهمت في الانبثاق العلمي لعلم معين.

ج - دراسة نقدية لشروط المعرفة العلمية من حيث الأدوات والمفاهيم والإجراءات التي تميز المعرفة العلمية على غيرها من المعارف.

الأداة Article

كلمة ترتبط باسم Substantif، تحدده وتعين فيه النوع والعدد ← الـ: (le): أداة تعريف.

الأدب الموازي Paralittérature

مجموع الإنتاجات الأدبية ذات الصبغة الشعبية المبعدة عن نطاق «الأدب» بحصر المعنى (الأغاني، روايات الصور Romans -Photos، الأشرطة المصورة Bandes dessinées، إلخ...).

إرداف Parataxe

الربط بين أجزاء الجملة من غير استعمال أدوات الربط نحو حروف العطف مثلا. مثال ذلك في العربية جواب الأمر كقولك «ذاكر تنجح» ومثاله أيضا قوله تعالى: «**قول معروف خير من صدقة تتبعها أذى**».

استقراء، استنتاج، استدلال Induction

في الاصطلاح الفلسفي هو طريقة في التفكير ترتكز على استنتاج شيء من شيء آخر، والانطلاق من المسبِّبات إلى السبب، ومن الوقائع الخاصة إلى القوانين.

استنباط، استنتاج Déduction

منهج في التفكير والاستدلال انطلاقا منه نستنتج من مبدإ أو من فرضية كل النتائج الناجمة عنها.

الشكل الكلاسيكي للاستنباط هو القياس Syllogisme: (وهو قول مؤلف من مقدمات إذا تحققت لزم عنها لذاتها نتيجة من النتائج).

أسلوب Style

أ - طريقة في استعمال وسائل التعبير اللغوية خاصة بكاتب ونوع أدبي خاصين نحو الأسلوب الحداثي في السرد.

ب - طريقة في التعبير طيبة ومبتكرة مثلا: خطيب مفوه يجد تعابيره بطريقة مبتكرة.

اسم، موصوف Substantif

وحدة معجمية يمكن أن تتألف مع بعض

المورفيمات (أدوات، إشاريات، كلمات دالة على الملكية تبين النوع والعدد).
وتستند إلى شيء (مادي أو مجرد)، Substantif يرادف الإسم ←
اسم ذات: Substantif concret.
اسم معنى: Substantif abstrait.

الاشتراك اللفظي **Polysémie**

تعدد معاني اللفظ: حال اللفظ المستعمل في لغة من اللغات بمعان متعددة في وقت واحد أو في أوقات متباعدة.

الإملاء **Orthographe**

أ – مجموع القواعد التي تحكم كتابة لسان ما وتطبيقها الفعلي.
ب – الطريقة الصحيحة لكتابة كلمة ما.
ج – النسق الإملائي الخاص بفترة معينة.

- ب -

بدل **Apposition**

البدل هو التابع المقصود وحده بالحكم بغير واسطة عاطف، تمهّد له بذكر اسم قبله غير مقصود.

البلاغة **Rhétorique**

فن الكلام الجيد، مجموعة من الإجراءات التي يستعملها الخطيب من أجل الاستمالة والإقناع.
← انظر الصورة البلاغية في حرف الصاد.

بنية **Structure**

في الاصطلاح الفلسفي هي نسق أي مجموعة متضامنة عناصرها متآلفة بعلاقة تَعَلقِيَّة.
في الاصطلاح اللغوي: تنظيم، ترتيب وتنسيق عناصر مختلفة لكل ملموس أو مجرد: مثلا بنية هيئة، بنية نبتة، بنية التضاريس الأرضية، بنية الذرة.

البنيوية **Structuralisme**

أ – نظرية ومنهج في التحليل يقود إلى اعتبار مجموعة من الوقائع بنية.
ب – مصطلح بنبوية يشير في الأصل إلى مناهج لسانية مختلفة تشترك في اعتبار اللسان مجموعة مُبَنْيَنَة.

- ت -

التأويل **Interprétation**

تفسير، توضيح ما هو غامض، منح الدلالة لشيء ما، تعيين هذا المعنى أو ذاك لشيء ما.

تجانس **Homogénéité**

خاصية ما هو متجانس homogène : من نفس الطبيعة، مكون من نفس المادة.
التماسك، الترابط، التلاحم (في تعارضه مع التغاير: hétérogénéité).

تجريبية، اختبارية **Empirisme**

أ – نسق ومنهج يرتكز على التجربة وحدها دون الرجوع إلى الاستدلال أو إلى النظرية.
ب – مذهب يقول بأن كل المعارف تنبثق من التجربة (في تعارضها مع العقلانية [انظر العقلانية] أو الأفكار الفطرية [انظر الفطرية]).

التحليل **Analyse**

تفكيك الكل إلى أجزائه، عملية يفكك بفضلها العقل الأشياء - التي يريد أن يصل إلى معرفتها – إلى عناصرها.

التحليلي **Analytique**

الذي يتضمن تحليلا، طريقة منبثقة عن التحليل.
طريقة أو نهج تحليلي الذي يستعمله المحلل النفسي.
في الفلسفة: التحليلي عند أرسطو هو المنطق اليقيني Logique du certain، عند كانط Kant: التحليلي هو نقد الإدراك Critique de l'entendement.

الترادف **Synonymie**

تعدد الكلمات للمعنى الواحد.

Ponctuation **الترقيم**

(وهناك من يطلق عليه الترقين وهو خطأ)

وهو نسق من العلامات الخطية يمكن من فصل جمل النص، وتعيين بعض العلاقات التركيبية داخلها، وتسجيل مختلف الوقائع النبرية، وتعتبر تلك العلامات جزءا لا يتجزأ من المستوى اللفظي اللساني Le niveau linguistique لتدخلها المباشر في إنجاز المعنى. لذلك فإن الخطأ فيها (أي وضع النقطة بدل الفاصلة، أو نسيان النقطة أو غير ذلك من الهفوات). يعتبر خطأ إملائيا faute orthographique وعلامات الترقيم هي النقطة والفاصلة ونقطتا التفسير... (انظر بعضها في أبوابها).

La Synchronie **التزامنية**

مجموعة الوقائع التي تهم نسقا لسانيا معينا في فترة محددة.

اللسانيات التزامنية

Linguistique Synchronique:

أ - هي التي تدرس نسقا لسانيا في فترة معينة (عكس التطورية

Linguistique Diachronique.

ب - هي التي تدرس الوقائع اللسانية التي نتجت في نفس الفترة في أماكن مختلفة.

Représentation **تصور**

في المنطق هو إدراك الشيء إدراكا حسيا لا إدراكا عقليا.

في علم النفس: التصور هو العملية التي نسترجع بها خبرة سابقة.

Idéographique **تصويري**

الخط التصويري أو الكتابة التصويرية هي التي تعتمد على علامات تسجل على العموم (رسوما وليس حروفا) والخط الهيروغليفي والخط الصيني مثالان للخطوط التصويرية.

Connotation **التضمين**

أ – في المنطق هو المعنى المسند إلى كلمة، وهو أعم من المعنى الخاص بها. (في تعارضه مع المعنى التعييني = Dénotation).

ب – في اللسانيات التضمين هو معنى خاص تأخذه الكلمة أو الملفوظ في مقام أو سياق معينين.

ج – التضمين هو اللغة الثانية = الميتالغة. والتعيين هو اللغة الأولى = اللغة.

Diachronie **التطورية**

تطور الوقائع خلال الزمن.

اللسانيات التطورية Linguistique Diachronique: متعلقة باللسانيات التاريخية مقابل اللسانيات التزامنية.

Dénotation **التعيين**

أ – تعين كل الأشياء (والمواضيع) المنتمية إلى الفئة المحددة (المعَرَّفة) بمفهوم.

ب – اللغة الأولى (علاقة دال بمدلول في المستوى الحقيقي) = اللغة. وهو غير التضمين الذي هو اللغة الثانية = الميتالغة.

Hétérogénéité **التغاير**

خاصية ما هو متغاير. الشيء المتغاير hétérogène هو الذي يتشكل من عناصر أو أجزاء من طبيعة متغايرة (في تعارضه مع الشيء المتجانس = homogène).

Communication **تواصل**

أ – فعل الاتصال، الإبلاغ، الإفصاح.
إطلاع شخص على معلومة.
نقل معلومة إلى شخص.

ب – ما يخبر به ← مثلا: أقدم لكم خبرا مستعجلا.

ج – أن تكون على اتصال مع شخص أو شيء نحو: اتصال هاتفي.

د – في علم الاجتماع: التواصل هو مجموع الظواهر التي تمكن شخصا من إبلاغ

خبر إلى شخص آخر بواسطة اللغة المنطوقة أو بأنظمة سننية أخرى (Code).

هـ – الخبر الذي تقدمه وسائل الإعلام عن نشاط أو صورة شخص معين.

– ج –

الجدل Dialectique

– في الاستعمال الاعتيادي الجاري: الجدل يعني طريقة في التحدث في الطرح وفي الحجاج: نحو جدل دقيق، جدل حذر...

في الاصطلاح الفلسفي:

أ – عند أفلاطون: الجدل هو فن المحادثة والحوار اللذان يعتبران وسيلتين لإنماء المعارف المتأثرة بالأفكار.

عند أرسطو: الجدل هو منطق المحتمل Logique du Probable في تعارضه مع المنطق التحليلي Logique Analytique .

ب – في العصر الوسيط: الجدل هو المنطق الصوري (في تعارضه مع البلاغة)؛ يشكل الجدل والبلاغة والنحو التقسيم الأدنى للفنون الملقنة في الجامعات.

ج – لدى كانط Kant : الجدل هو منطق الاحتمال: «Logique de l'Apparence» وهو منطق الفكر الذي بنزوعه إلى التحرر من التجربة يسقط في التناقضات.

د – عند هجل Hegel الجدل هو تقدم الفكر الذي يعترف بترافق المتناقضان [(القضية ونقيضها) Thèse et Antithèse] ثم يكتشف مبدأ للاتحاد (الحصيلة Synthèse) التي تتجاوزهما.

الجملة Phrase

تجميع كلماتٍ يُقدمُ معنىً تاماً.

الجملة النحوية Phrase Grammaticale

هي الجملة التي تَتّبع قواعد النحو والأعراف الدلالية والتداولية (أي مقبولية المعنى).

جوهر، مادة Substance

في الاصطلاح الفلسفي: كل ما هو في ذاته، الحقيقة الثابتة التي تفيد عمادا للصفات المتغيرة. في الاصطلاح الأدبي: تعني المضمون:

«La Substance du Discours» مضمون الخطاب والأساسي فيه. «En substance»: بالاختصار، بإيجاز.

– ح –

الحجاج Argumentation

أ – فن استعمال الحجج.

ب – مجموعة من الحجج الهادفة إلى نفس النتيجة.

ج – مجموعة من الحجج لصالح رأي إو أطروحة.

الحجة Argument

تفكير منطقي يهدف إلى تأسيس البرهان وتبرير الرأي.

الحرف La lettre

(ح. حروف وأحرف).

العلامة الخطية، الحرف المطبعي الألفبائي الذي نستعمله لتدوين لسان ما، والذي يمثل – منفردا أو مرتبطا مع حروف أخرى – فونيما (انظر: «الفونيم»).

– الفرنسية 26 حرفا، العربية 29 حرفا؛

– الصينية الكلاسيكية لا تُدَوَّن بحروف ولكن بخطوط تصويرية: Idéogrammes.

الحرف الصامت La Consonne

فونيم ناتج عن التقاء الإرسال (من الجهاز) الصوتي بحاجز مشكل من الحنجرة أو الفم.

الصوامت الأسنانية: «الدال»، «الثاء».

الصوامت الشفوية: (ملفوظة بالشفتين): «الباء».

الصوامت الشفهية الأسنانية: «الفاء».

الصوامت الحنكية أو اللهوية: «الجيم» و«الكاف».

الصوامت النخروبية أو السنخية: (السنخ: مغرز السن في الفك): «الزاي»، «السين».

الحرف الصوتي **La Voyelle**

أو: مصوت:

صوت لغوي، فونيم منجز بالصوت الذي يتردد في التجويفات العليا للقناة الزفيرية (خاصة التجويف الفموي)

← مصوت قصير voyelle brève: حركة (فتحة، ضمة، كسرة).

← مصوت طويل voyelle longue: حرف لين (الألف، الواو، الياء).

الحشو، التطويل **La Redondance**

الزيادة، الإطناب، الإسهاب

أ — خاصية غير الضروري من الألفاظ أي المزيد منها.

ب — زيادة اللفظ على المعنى من غير مقتضٍ بحيث إذا حذفت لا يختل المعنى.

- خ -

الخارج - لساني **Extra-Linguistique**

كل ما تحيل عليه الألفاظ (المذكورة لسانيا ← فهي لسانية)

من المعاني الإيديولوجية والاجتماعية والثقافية (غير المذكورة لسانيا فهي خارج - لسانية) بإيعاز من السياق التلفظي.

الخطاب **Discours**

1 — ما يقوله شخص ما.

* أقوال، كلمات، كلام، عبارات، أحاديث (في تعارضها مع أفعال ووقائع).

2 — عرض شفوي اتجاه جمهور معين حول موضوع محدد.

3 - عرض مكتوب ذو طابع تعليمي: رسالة، بحث، مقالة.

4 — التعبير الكلامي عن الفكر.

أقسام الخطاب أو أقسام الكلام: هي فئات الكلمات التي يميزها النحو التقليدي:

الاسم، الفعل والحرف هي أقسام الكلام في اللغة العربية.

أما أقسام الخطاب في اللغة الفرنسية فهي تسعة (9) كالآتي:

الأداة Article، الاسم Nom، الضمير Pronom، الفعل Verbe، الصفة Adjectif، الظرف Adverbe، حرف الجر Préposition، الرابطة Conjonction، حرف النداء أو التعجب Interjection.

* في اللسانيات: الخطاب هو مجموع الأقوال، الملفوظات الكلامية أو غير الكلامية.

5 - في الفلسفة: الخطاب هو الفهم والإدراك في تعارضه مع الحدس.

الخطية **La Linéarité**

خاصية وكيفية ما هو خطي: خطية اللسان: في اللسانيات البنيوية والتوزيعية، خاصية يملكها اللسان في تعارضه مع أنساق أخرى للظهور في ملفوظات أو عناصر تجري حسب بعد واحد هو بعد الزمن سواء في شفهيتها أو كتابتها.

- د -

الدال **Signifiant**

التمظهر المادي للعلامة سواء كان خطيا أي الرمز الخطي (الحرف) أو سمعيا أي الصورة السمعية (الصوت).

الدلالة **Signification**

أ — ما يدل عليه الشيء (كأن نقول: لا أعرف ما يدل عليه إيماؤه).

ب — ما تدل عليه العلامة أو الكلمة:

في الاصطلاح اللساني: الدلالة هي العلاقة الضرورية التي يحافظ عليها (ويتعهدها) الدال والمدلول.

الديموطيقية **Démotique**

مشتقة من الكلمة اليونانية «ديموس» وهي أحد الخطوط المصرية القديمة التي استخدمت في تدوين النصوص الدينية، ونصوص تدريب

الكتابة والرسائل والوثائق القانونية والتجارية لدى المصريين القدماء. ظهر في القرن الثامن قبل الميلاد واستمر حتى القرن الخامس الميلادي، يمثل المرحلة الخطية الثالثة بعد الهيروغليفية والهيراطيقية. وقد كتب هذا الخط على مادتين رئيسيتين وهما البردي والأوستراكا «الشقافة».

- ز -

الزمن **Temps**

ذلك الخاص بأبعاد الكون حيث يبدو أنه ينظم التتابع اللانعكاسي للظواهر.

- «الحركة والزمن متعلقان الواحد بالأخر» باسكال Pascal.

في الإعلاميات هناك زمانان: زمن حقيقي temps réel وزمن مشترك temps partagé:

* الزمن الحقيقي: طريقة الاشتغال التي تمكن الإدخال الدائم للمعطيات والحصول المباشر على النتائج.

* الزمن المشترك: طريقة الاشتغال الذي يصل فيه المستعمل باستمرار للحاسوب دون إزعاج الآخرين، ويجيز العلاقات بين المستعملين.

في النحـو:

كل فئة من الفئات المختلفة لأشكال الفعل تُبرزُ علاقةً محددة مع الزمان ومع جريانها فيه.

الزيادة، الحشو **La Redondance**

التطويل، الإسهاب، الإطناب.

أ – خاصية غير الضروري من الألفاظ أي المزيد منها.

ب – زيادة اللفظ على المعنى من غير مقتضٍ بحيث إذا حذفت لا يختل المعنى.

- س -

سنن **Code**

أ – مجموعة قوانين مؤلفة في نسق تشريعي متكامل حول موضوع معين. مثل القانون المدني Code Civile ، قانون السير Code de la route.

ب – نسق عرفي من العلامات أو الإشارات، من القواعد أو القوانين التي تمكن من تحويل رسالة بهدف استعمال خاص (نحو الاستعمالات الإعلامية).

Code Informatique = الرموز الإعلامية.

← السنن الإعلامي.

ج – مجموعة جمل، كلمات وحروف ونقولها المرموزة.

السياق **Contexte**

أ – مجموع العناصر التي تسبق أو تلي وحدة معينة (فونيم، كلمة أو مجموعة كلمات: مركب إسمي أو فعلي...) في الخطاب.

ب – مجموع المناسبات التي تحيط بحدث من الأحداث: نحو:

* السياق الاقتصادي بعد توسيع السوق الأوروبية.

* السياق الاجتماعي لما بعد الأزمة المالية.

- ش -

شرح، تفسير **Paraphrase**

إسهاب، إطناب

شرح تفسيري لمصطلح أو لنص، وبالأخص هي جملة مرادفة لجملة.

الشكل (أو الصورة) **La Forme**

أ – معناه اللغوي: هو الصورة الخارجية والهيأة الخارجية والحالة التي نُدرك عليها الشيء.

ب – في الاصطلاح النحوي: الشكل هو متغيِّر وحدة نحوية أو صياغة جملة: نحو شكل استفهامي أو شكل المذكر المفرد.

والشكلي أو الصوري Formel, elle :

الذي يتعلق بالشكل الذي له حقيقة آنية (راهنة في تعارضها مع الحقيقة الافتراضية أو الحقيقة المادية.

مثلا إذا كان النحو التوليدي Grammaire Générative نحوا شكليا بامتياز من خلال تعريفه: «مجموعة متناهية من القواعد التي تمكن من توليد كل الجمل النحوية (ولا غيرها) للسان معين ومنحها وصفا بنيويا». فإن كل الجمل النحوية المنجزة لها حقيقة آنية راهنة. فيما التعريف يحمل حقيقة افتراضية فحسب.

والشكلي أو الصوري هو المحدد بوضوح ودقة ولا يمكن أن ينازع بشأنه.

والمنطق الصوري هو الذي يشتغل على أشكال الاستدلال باستقلال عن مضامينها.

الشكلانيون **Formalistes**

الذين يرتبطون بالشكل (La Forme) بشكل دقيق.

- ص -

الصامت **La consonne**

(انظر: الحرف الصامت)← في حرف الخاء.

الصوت **Le Son**

إنجاز صوتي خاص يستعمل بهدف التواصل.

الصوتيات **Phonologie**

فرع من اللسانيات يعنى بوصف أنساق فونيمات الألسن بحسب الاختلافات والتشابهات (الملائمة في التواصل).

الصور البلاغية **Figures de Rhétorique**

الصورة هي شكل تعبيري في الخطاب.

والصورة البلاغية هي إجراءات لغوية موجهة لجعل الفكر مثيرا للانتباه.

ونميز جريا على العادة أولا الصور التي ينجم عنها تغيير في المعنى أو المجازات Tropes - استعارة Métaphore ، تهكم Ironie ، الإثبات بالنفي Litote [صورة بلاغية يعبَّر فيها عن المعنى القوي بنفي عكسه وذلك كأن تصف عملا من أعمال شخص ما بأنه ليس بالهين وأنت تريد أنه عمل عظيم] إلخ.... وثانيا الصور التي تعتمد على شكل أو ترتيب الكلمات: التجانس الاستهلالي Alliteration [تكرار صوت أو حرف في أوائل الكلمات المتوالية يكون له وقع حسن في السمع]، التكرار Repetition [الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني].

- ط -

طب الأصوات **Phoniatrie**

وهي شعبة من الطب تدرس التصويت (إخراج الأصوات) واضطراباته.

والطبيب المتخصص في طب الأصوات يطلق عليه: Phoniatre.

- ظ -

ظاهرة **Phénomène**

كل واقعة خارجية أو حدث خارجي يتجلى للوعي (أو للشعور) بواسطة الحواس، كل تجربة داخلية تتمظهر للوعي. ظاهرة حسية، انفعالية.

لدى كانط Kant: الظاهرة هي كل ما هو موضوع تجربة حسية مدرك في المكان والزمان، وإذن متجلي للوعي (في تعارضه مع المعقول Noumène: مفهوم الشيء كما هو في ذاته أو كما يبدو للعقل المحض (في الفلسفة الكانطية)).

ظاهرية **Phénoménalisme**

مذهب الظواهر: نظرية تقول إن المعرفة محصورة في الظواهر المادية والعقلية، وإن ظاهرة ما لا تفهم إلا باعتبارها مركبة من ظواهر أخرى أو داخلة في تركيب ظواهر أخرى، كما يقصد بهذا المذهب أن الذهن لا يدرك إلا الظواهر.

ظواهرية **Phénoménologie**

علم وصف الظواهر:

أ - بحث ودراسة في الظواهر.

ب - ظواهرية العقل (هجل : Hegel): «علم الوعي» «Science de la Conscience» الذي يأخذ بعين الاعتبار التمظهر الجدلي للعقل في العمل في التاريخ.

ج - لدى هوسرل Husserl: الظواهرية منهج فلسفي يهدف الرجوع إلى الأشياء كما تتمظهر للوعي باستقلال عن أية معرفة مسبقة.

د - الظواهرية: هي الدراسة الوصفية لمجموع الظواهر كما هي عليه في الزمان والمكان، وهو مختلف عن دراسة أسباب هذه الظواهر وقوانينها المجردة الثابتة، أو عن البحث في الحقائق المتعالية المقابلة لها، أو عن النقد المعياري لمشروعيتها.

- ع -

عبر - لساني **Translinguistique**

بعض القضايا والمسائل اللسانية التي تهم فرعين من اللسانيات أو أكثر كالصوتيات والتركيب والدلالة وغيرها...

نحو مسألة التغاير Hétérogénéité: التي تهم الصوتيات والتركيب فهي ظاهرة عبر - لسانية.

الجدير بالذكر أن التغاير هو الاختلاف في الفونيمات وهو المسؤول الأول عن حضور المعنى. مثلا «كتب» الاختلاف بين حروفها هو المسؤول عن حضور المعنى إذ لا تتشكل الكلمات في معظم الأحيان من أحرف متماثلة متتالية وهذا هو معنى التغاير.

كذلك مسألة الخطية La Linéarité وهي خاصية يملكها اللسان (في تعارضه مع أنساق دالة أخرى = للظهور في ملفوظات أو عناصر تجري حسب بعد واحد هو بعد الزمن سواء في شفهيتها أو كتابتها.

العقلانية **Rationalisme**

أ - مذهب بحسبه كل ماهو موجود له علة وجوده، لا وجود لشيء - من الوجهة النظرية - غير مدرك بالعقل.

ب - مذهب بحسبه كل معرفة يقينية هي منبثقة من مبادئ قبلية، كونية وضرورية (في تعارضها مع التجريبية الإختبارية= Empirisme) العقلانية الديكارتية.

ج - كل مذهب يتجه أن يسند للعقل قيمة بارزة واستثنائية.

(على عكس الباطنية الصوفية Mysticisme والروحانية Spiritualisme).

د - العقلانية في المفهوم اللاهوتي: Théologique: مذهب مفاده أن عقائد الدين لا يمكن تقبلها إلا بعد تفحصها على ضوء العقل (على عكس الإيمانية Fidéisme).

هـ - العقلانية في علم الجمال Esthétique: مذهب ظهر في بداية القرن العشرين (كان رد فعل ضد الأسلوب الحداثي Le Moderne style) يقول بجمال الأشكال (الصور Les Formes) في مطابقتها للشيء، وجمال البنيان في ملاءمته لوظيفته.

علامات وقف **Points de Suspension**

وتترجم أيضا نقط وقوف.

علامة ترقيم تأتي على هذا الشكل (...) تعلن انقطاع الجملة (أو النص، أو اللفظ) أو تعويض أحد أجزائها خاصة تَتِمَّةُ تعدادٍ.

العلامة **Le Signe**

المعنى اللغوي: العلامة هي الشيءٍ الذي يكون أمارة على شيء آخر، الذي يذكر به أو الذي يعلنه.

مثلا: الحمى تكون في الغالب علامة على سريان المرض.

المعنى الاصطلاحي: العلامة وحدة لسانية مكونة من ائتلاف مدلول ودال.

اللسان هو نسق من العلامات.

- المدلول Signifié: هو مضمون العلامة المعلن بشكل ملموس بواسطة الدال.

- الدال Signifiant: التمظهر المادي للعلامة: (الرمز الخطي، الصورة السمعية).

العلم Science

مجموع المعارف التي نحصل عليها بطريق البحث، التجربة، الدراسة والملاحظة إلخ....

علم الأصوات Phonétique

فرع من اللسانيات موضوعه وصف أصوات الكلام باستقلال عن قيمتها في نسق اللسان. وينضوي تحت هذا الفرع علوم صوتية نطاقية أخرى:

أ – علم الأصوات النطقي Phonétique Articulatoire:

← التي تدرس إرسال الأصوات من أعضاء النطق.

ب – علم الأصوات السمعي Phonétique Accoustique:

الذي يدرس البنية المادية (الفيزيائية) للأصوات.

أ – علم الأصوات التاريخي Phonétique Historique:

الذي يدرس تغييرات الأصوات الطارئة خلال تاريخ لسان معين.

علم الدلالة La Sémantique

أ – دراسة اللغة من وجهة نظر المعنى (ومنها المصطلحات: المشترك اللفظي Polysémie، والترادف Synonymie ...).

← الدلالة البنيوية، الدلالة التوليدية.

ب – متعلق بالدلالة أو بالمعنى: جملة دالة Phrase Sémantique هي الجملة التي لها معنى.

علم النفس اللساني أو اللسانيات النفسية Psycholinguistique

في مفهومها الديدكتيكي (البيداغوجي التعليمي) تهتم بدراسة السلوكات اللسانية (سيرورات إنتاج الملفوظات: الأقوال وفهمها، سيرورة اكتساب اللغة إلخ...)، في مظاهرها السكولوجية.

← الصفة: الدراسات اللسانية النفسية، أو الدراسات النفسية اللسانية.

علمي Scientifique

متوافق مع الإجراءات الدقيقة والمناهج المضبوطة للعلوم.

- غ -

الغامض Ambigü (ue)

في معظم معناه، لا يمكن من تفسير دون التباس.

← الغموض Ambiguïté. ضد الوضوح، الدقة والإحكام.

- ف -

الفطرية Innéisme

أ – مذهب يدافع عن وجود الأفكار والبنيات العقلية الفطرية.

ب – القول بأن الأفكار والمبادئ جبلِّيَّة وموجودة في العقل قبل التجربة والتعَلم، (عكس الاكتسابية Acquisivité).

← Innéité . في الاصطلاح الفلسفي تعني فطرية الأفكار.

الفكر La Pensée

أ – ملكة (خاصية) التفكير والفهم والإدراك.

ب – نظر عقلي تفرزه خاصية التأمل والتفكير.

الفلسفة Philosophie

1 – فرع من المعرفة يعنى بدراسة المبادئ والعلل على المستوى الشمولي، ودراسة أسس القيم الأخلاقية وتنظيم المعارف في نسق متماسك.

2 – بحث ودراسة المبادئ المؤسسة لعلم أو فن معينين؛ فلسفة التاريخ، فلسفة الرسم.

3 – مذهب فلسفي: الفلسفة الديكارتية، الفلسفة الهايدكيرية.

4 – تساو في المزاج، هدوء، شجاعة: نحو: تَصَرَّفَ مع المستجدات بفلسفة.
5 – مادة تعليمية تتضمن علم النفس، الأخلاق، المنطق والميتافيزيقا.

فونيم Phonème

وحدة أساسية في الوصف الفونولوجي، إنها قطعة غير قابلة للتقسيم، محددة بخاصياتها التي لها قيمة مميزة؛ إنها صوت لغوي Son du Langage..

الفاصلة Virgule

علامة ترقيم تشير إلى توقف ضئيل، وتستعمل لفصل الجمل المتعلقة غير الموصولة بربط، وذلك بهدف عزل كلمات المناجاة والالتفات Apostrophes وكذلك عطف البيان (البدل) Apposition (نحو: فاس العاصمة العلمية، ...).

مصطلح: Apostrophe: مناجاة: صورة بلاغية تتوجه من خلالها مباشرة إلى الأشخاص أو الأشياء المشخصة (غالبا ما يتحقق ذلك بحرف النداء).

Apostrophe أيضا فاصلة عليا التي تسجل حذف صائت Voyelle من الكلمة نحو (j'irai): الصائت «e» حذف من الضمير «je».

الفيلولوجيا Philologie

أو فقه اللغة

دراسة لسان معين من حيث نحوه ومن حيث تاريخه انطلاقا من النصوص.

– ق –

قياس شدة الصوت Phonométrie

ويتم هذا القياس بجهاز المقياس الصوتي Phonomètre.

القياس Syllogisme

قول مؤلف من مقدمات إذا تحققت لزم عنها لذاتها نتيجة من النتائج.

القياس النفسي Psychométrie

وهو فرع من علم النفس يهتم بقياس الخصائص والسمات لدى الأفراد والجماعات ويعتمد على الاختبارات والمقاييس النفسية مثل اختبارات القدرات ومقاييس الشخصية والاتجاهات والميول والقيم والطرق الإسقاطية في قياس الشخصية.

القيمة La Valeur

الماهية التي تعطي للشيء ما يليق به من فائدة.

– ك –

الكتابة Ecriture

أ – تمثيل الكلمات اللغوية والأفكار بواسطة الرموز Signes (أو العلامات). ومنها الكتابة الألفبائية Ecriture Alphabétique (كالعربية والفرنسية وغيرهما). الكتابة التصويرية Ecriture Idéographique (كاللغة الهيروغليفية، الصينية...).

الكتابة الصوتية Ecriture Phonétique وهي ألفباء صوتية عالمية لتمثيل الكلمات والحروف وفق نطقها في اللغة الأم.

الكلام Parole

كلمة أو مجموعة كلمات تفيد في التعبير عن الفكر.

– ل –

اللسان Langue

مجموعة من العلامات اللسانية وقواعد التأليف فيما بينها التي تؤسس آلة التواصل لجماعة معينة.

اللسانيات Linguistique

أ – يمكن الوقوف على معان عدة لمفهوم اللسانيات:

1 – الدراسة العلمية، التاريخية والمقارنة للألسن.

2 — تعتبر علما للغة: اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة الإنسانية.

3 — يعتبر لسانيا كل ما هو منظور إليه من وجهة النظر اللسانية.

4 — يعتبر لسانيا ما يتعلق باللسان الواحد أو الألسن المختلفة.

5 — يعتبر لسانيا ما يتعلق بتعلم الألسن.

إلى حدود القرن العشرين كان الاهتمام بتطور الألسن عبر الزمن وعلاقات القرابة التي تجمع بينها.

من منطلق انتقاده لنقائص اللسانيات التاريخية بنى صوسير محاضراته في اللسانيات العامة الذي صدر سنة 1916 على يد تلامذته، وهو الكتاب الذي ستتبلور منه كل اللسانيات المعاصرة.

طرح صوسير المفاهيم الجوهرية: التزامنية Synchronie، النسق Système، التمييز بين اللسان Langue والكلام Parole، إلخ....

ب — بعد صوسير يمكن أن نتعرف على ثلاث مدارس كبرى:

1 — مدرسة براغ Prague (تروبتسكوي Trobetskoy، وجاكسون Jakobson) أسَّسَتْ في السنوات 1920 — 1930 الفونولوجيا Phonologie (علم الصوتيات) وتعنى بدراسة أصوات اللسان وملاءمة هاته الدراسة مع مستويات اللسان الأخرى (المورفولوجيا والتركيب): نظرية هاته المدرسة تحمل اسم الوظيفية Fonctionnalisme لأن عناصر اللسان تحدد بوظيفتها في إطار التواصل.

2 — مدرسة كوبنهاك Copenhague (يلمسليف Hjelmslev وتوكبي Togeby): أسست نظرية لسانية تهدف ضم الفكرة الصوسيرية القائلة بأن اللسان شكل (Une Forme) لا مادة (Une Substance) عن قرب.

العناصر المفترضة المكونة للسان ليست إلا حزم من العلاقات يتعلق الأمر بجبر اللسان Algèbre de la Langue.

3 — مدرسة لسانية قوية ومؤثرة تدعى بنيوية تطورت في الولايات المتحدة خصوصا على الميدان الإيثنولوجي (Ethnologie : علم الأجناس أو الأعراق البشرية).

بلومفيلد L. Bloomfield (في السنوات 1930 — 1940 هو الممثل الرئيسي لهذا التيار المناهض للمذهب الذهني «Mentalisme» الذي يُفرط في التفسيرات السيكولوجية؛ وبهدف ضمان موضوعية الوصف يقصي تحليل المعنى. المساهمة الأكثر تميزا لهاته الأطاريح هي توزيعية هاريس Harris (نحو 1950) الذي يحصي (في مقال: المتن Corpus) كل توزيعات الوحدات (التوزيعية باعتبارها مجموع الجوارات التي تظهر بها وحدة ما) ثم يعتبر مرادفات الوحدات التي لها نفس التوزيع ويجمعها في نفس الفئة. لكن الثورة الكبرى مردها إلى أحد تلامذته شومسكي N. Chomsky الذي باشر نحو سنة 1957 نقدا جذريا للسانيات ذات الإيحاء البنيوي المؤسَّس على التوزيع؛ مثلا مجموعة من الكلمات نحو «انتقاد بيير» التي ليست لها إلا صياغة واحدة (اسم مضاف واسم مضاف إليه). تغطي في الواقع بنيتين مختلفتين: بيير ينتقد شخصا ما وبيير انتُقِدَ من طرف شخص ما». أسس شومسكي النَحو التوليدي التحويلي Grammaire Générative et Transformationnelle الذي تعتبر فيه اللغة سيرورة يستطيع من خلالها كل متكلم أن يولد ما لا نهاية من الجمل الملائمة والجديدة.

اللسانيات الموازية Paralinguistique

وتهم كل الإشارات والإيماءات والحركات غير اللسانية التي تواكب ما هو لساني (أي ما هو لفظي) وتعمل على تفسيره أو تعويضه نحو الإيماءة الرأسية التي تدل على الرضى

فهي تعوض قولنا «نعم»، أو الإشارة بالأصبع التي تعوض «أنت» أو تزكيها.

اللغات الحامية السامية Langues Chamito-sémitiques

في اللسانيات العائلة الحامية — السامية تضم الألسن الآتية:

العربية، الأمازيغية، المصرية القديمة، العبرية، الأمهرية ومجموعة ألسن إفريقيا الشرقية (التي تصنف تحت اسم المجموعة الكوشيتيكية Groupe Govchitique) التي يتحدث بها بالأساس في الصومال.

اللغات السامية Les Langues Sémitiques

هي لغات آسيا الغربية وإفريقيا الشمالية، وتتميز على الخصوص بالجذور المتكونة من ثلاثة صوامت Consonnes وتَكَفُّل المصوتات Les Voyelles (الحركات) بعناصر الدلالة المضافة للكلمة مثلا في اللغة العربية الجذر «كتب» يعبر عن مفهوم «الكتابة» الذي هو المصدر / والكلمة «كاتب» تدل على صيغة الفاعل....

واللغات السامية تنتظم في ثلاثة مجموعات:

1 — المجموعة السامية الشرقية: (الأكادية).

2 - المجموعة الغربية الشمالية: (الآرامية، الكنعانية، الفينيقية، العبرية).

3 - المجموعة الغربية الجنوبية: (العربية، الأمهرية،: وهي اللغة الرسمية للحبشة، واللغات الحبشية: الإثيوبية).

السامي ← هو واحد الساميين وهم شعوب ذات أصول أسيوية غربية تنحدر من سام بن نوح عليه السلام وهي التي تتكلم اللغات التي يطلق عليها سامية.

اللغة Langage

أ - ملكة خاصة (وظيفة نفسية) إنسانية تواصلية بواسطة علامات كلامية (الكلام) قابلة عند الاحتمال أن تسجل خطيا (الكتابة).

ب - تفعيل اللسان في التواصل.

اللغة الآرامية Langue Araméenne

اللغة الخاصة بالآراميين، لغة سامية كان يتحدث بها أهل الشرق الأوسط قبل دخول العربية إليها.

الآراميون: Araméens

قبائل (تنحدر حسب الرواية التاريخية من آرام بن سام بن نوح عليه السلام). سامية من البدو الرحل في منطقة من آسيا الغربية بين دجلة والفرات من جهة الشمال.

في القرن الثالث عشر قبل الميلاد كونت في سوريا ولبنان كيانات صغيرة عدوة للعبرانيين. أخضع الآشوريون الآراميين في القرن الثامن قبل الميلاد وكان ذلك سببا في تفرق الآراميين مما نجم عنه انتشار لسانهم، الذي كان لسان الفلسطينيين في زمان المسيح، وبقي لسان التجارة في الشرق الأوسط حتى مجيء اللغة العربية.

اللغة الأمازيغية La Langue Berbère

لغة من العائلة الحامية السامية Chamito - Sémitique يتحدثها الأمازيغيون (مجموعة من اللهجات).

الأمازيغ سكان إفريقيا الشمالية منذ ما قبل التاريخ، يتكلمون عدة لهجات أمازيغية، يتوزعون حاليا في المغرب (سهل سوس، الأطلس الصغير، الأطلس الكبير، الأطلس المتوسط والريف). في الجزائر (القبايل، مزاب الأطلس الصحراوي). في جنوب تونس وليبيا بعض السكان كانوا يدينون اليهودية وآخرون المسيحية؛ لكن بعد الفتح الإسلامي (نهاية القرن السابع الميلادي) معظم السكان دخلوا الإسلام.

اللغة الصينية La Langue Chinoise.

في اللسانيات: فرع من عائلة اللغات

الصينية التبتية التي تتضمن لغة الماندران Mandarin التي هي: أ - اللغة الصينية الشمالية (التي كانت لغة البلاط والطبقات الرسمية في عهد الإمبراطورية).
ب - اللغة الصينية الرئيسية المنطوق بها في حوالي أربعة أخماس الصين.
إضافة إلى الماندران (اللغة الوطنية) هناك لهجات متعددة يتكلمها الصينيون.
واللغة الصينية لغة عازلة: Langue Isolante: لأنها لا تستعمل أشكالا مترابطة فيها علاقات نحوية محددة بواسطة النبر ورتبة الكلمات في الجملة.

اللغة العربية **L'Arabe**

لغة سامية من المجموعة الغربية الجنوبية التي تضم إلى جانب اللغة العربية، اللغة الأمهرية (وهي اللغة الرسمية للحبشة)، واللغات الحبشية (الإثيوبية).
أصل العرب:
انطلاقا من القرن الثالث عشر قبل الميلاد - بحسب الروايات التاريخية - كان العرب متعايشين مع أمم بالهلال الخصيب قرونا بعد ذلك أمكن لبعض منهم من البدو الرحل أن يقدموا برحلات مهمة إلى داخل شبه الجزيرة العربية، ومع مرور الزمن أمكن لهم أن ينشؤوا مملكتين: مملكة السبئيين جنوبا ومملكة النبطيين شمالا، وهما مملكتان مستقلتان عن بعضهما البعض بضراوة حتى في المسائل الدينية، لكل منهما آلهته ولكل منهما أحجاره المقدسة. (والبقية معروفة في التاريخ الإسلامي...)

اللغة الفينيقية **La Langue Phénicienne**

لغة سامية من المجوعة الكنعانية تكلم بها الفينيقيون القدماء.
فينيقيا Phénécie: اسم أطلق على الحزام الشاطئي للساحل السوري اللبناني يحده من الغرب جبل لبنان ومن الشرق البحر الأبيض المتوسط بينما جبل الكرمل يحده من الجنوب.

اللغة الكنعانية **La Langue Cananéenne**

تتضمن مجموعة ألسن سامية هي العبرية، الفينيقية، القرطاجية والموابية (الموابية تكلمها شعب سامي قديم كان يسكن بلدة مواب: مواب ولد لوط عليه السلام الجد الأول للموابيين) في الجنوب الشرقي لفلسطين.
وكنعان هو ولد شام الطفل الثاني لنوح (الطفل الأصغر) المنحدرون منه عَمَّروا إفريقيا. وأرض كنعان تتضمن فلسطين وفينيقيا (على الساحل السوري اللبناني).

اللفظة، العبارة **La Lexie**

كل وحدة معجمية، كلمة منفردة (بطاطس، جزر...)
أو عبارة معجمية (نحو: السكة الحديدية، مالك الحزين...).

اللكسيم **Lexème**

الوحدة الدلالية الدنيا: ذ - هـ - ب: هي وحدة دلالية دنيا تدخل في كلمات مثل: يذهب، تذهب، ذهاب، الذهاب.... وهي تتعارض مع المورفيم الوحدة النحوية الدنيا من التمفصل الأول: (بحسب مارتيني Martinet: التمفصل الأول هو المونيمات: أي الوحدات الدنيا الدالة: التي يتم تقسيمها إلى وحدات التمفصل الثاني أي الفونيمات: الوحدات الصوتية الدنيا).

- م -

متن **Corpus**

أ - مجموع متعلق بنفس المادة نحو: متن التسجيلات اللاتينية.
ب - في الاصطلاح اللساني:
مجموع متناه من العناصر، من الجمل (أو النصوص أو الألفاظ) مجموعة بقصد تحليل لساني.

المدلول **Signifié**

هو مضمون العلامة المعلن بشكل ملموس بواسطة الدال.

المرسل **Destinateur**

في التواصل هو الذي يُوَجّه إرسالية (إلى المرسل إليه = Destinataire).

المرسل (ة) **Emetteur - trice**

الشخص الذي يرسل: يدلي: يصدر، الذي ينتج يقدم يبعث نحو الخارج: أرسل صوتا.
Emettre: بث موجات هرتزية.
وفي الاستعمال المجازي: عبر عن رأي، عبر عن وجهة نظر ملائمة.

المرسل إليه **Destinataire**

الشخص الذي نوجه إليه إرسالا بصفة عامة.
وفي اللسانيات هو الشخص الذي نوجه إليه إرسالية.

المركب **Syntagme**

نوعان هما
- المركب الاسمي Syntagme Nominal
هو الاسم + أداة التعريف
«الرجـل»
- المركب الفعلي Syntagme Verbal:
«يأكل الفاكهة»

المستقبل **Récepteur**

المتلقي
الذي يتلقى (يستقبل)، في وظيفة التلقي (الاستقبال)
في اللسانيات: المرسَلُ إليه (Destinataire) الإرسالية اللسانية.
في السيكولوجيا: كل بنية وكل عضو قابل لاستقبال منبهات وتحويلها على شكل دافع عصبي أو رسالة مقننة كيميائيا:
مستقبلات حسية Récepteurs Sensoriels
في التيكنولوجيا: جهاز يستقبل الطاقة الكهربائية ويحولها إلى طاقة حرارية أو كيميائية أوميكانيكية.

المصوت **La Voyelle**

(انظر: الحرف الصوتي)← في الحرف (حاء).

المعجمية **Lexicologie**

فرع من اللسانيات يعني بدراسة الوحدات الدالة (اللكسيمات، المونيمات) وتركيباتها (كلمات، عبارات) وتاريخها (الاشتقاق Etymologique) واشتغالها في نسق اجتماعي ثقافي محدد.

المعرفة **Le Savoir**

هي مجموع الدرايات والمعلومات والمعارف المكتسبة Les Connaissances عن طريق التعلم Apprentissage أو عن طريق التجربة L'éxperience.

المعلومة **Information**

وَحدَةُ المعرفة (أو عنصر المعرفة) والإفادة الأساسية القابلة لأن تنقل (أو تحول) وتحفظ بفضل عماد Un Support وسنن Un Code (انظر مصلح سنن).
نظرية المعلومة Théorie de l'information: تدرس مختلف أشكال الإرسال والاستقبال وتناول المعلومات التي تتضمنها كل رسالة.

المعنى **Le Sens**

هو الفكرة، المعنى المجرد (المفهوم) الذي تشير إليه العلامة أو مجموعة من العلامات.
Sens Propre : المعنى الحقيقي
Sens Figuré : المعنى المجازي.

المعيار **La Norme**

القاعدة أو القانون الذي يجب الامتثال له.

المعيارية **Normative**

المعياري هو الذي له قوة القاعدة، الذي يطرح معيارا (Norme).

النحو المعياري Grammaire Normative:
الذي يحدد قواعد موافقة لوضعية اللسان المعترف بها أنها وضعية صحيحة.

مفهوم، واضح ومعقول Intelligible

أ – القابل للمعرفة بواسطة الإدراك والفهم الواحد.

ب – الذي يمكن أن يفهم ويدرك بشكل جلي بصوت عال ومفهوم.

مفهوم وتصور Concept

معنى كلي، تمثيل عقلي مجرد وعام.

Concepts Intellectuels: تصورات عقلية.

Concept d'un mot : مفهوم كلمة.

المفهومية والمعقولية والوضوح Intelligibilité

خاصية ما هو مفهوم وواضح وجلي. وخاصية ما هو معقول أي ما يدرك بالعقل دون الحواس.

فلسفيا:

* هي خاصية القابل للمعرفة بواسطة الإدراك والفهم الواحد.

* هي خاصية الذي يمكن أن يفهم ويدرك بشكل جلي بصوت عال ومفهوم.

المناجاة أو الالتفات Apostrophe

صورة بلاغية نتوجه من خلالها مباشرة إلى الأشخاص أو الأشياء المشخصة: وفي الغالب يتحقق ذلك بمساعدة حرف النداء.

مناقضة Paradoxe

أ – رأي مخالف لرأي العامة.

ب – على العموم كل ما هو مخالف للمنطق وللاتجاه الصحيح.

في الاصطلاح الفلسفي: مفارقة.

المنطق La Logique

أ – علم موضوعه تحديد قوانين الفكر التي يمكن أن نصل بها إلى الحقيقة ← منطق جدلي، منطق رياضي.

المنطق· الصوري يشتغل على صور الاستدلال باستقلال عن مضمونها.

ب – منطقي: مطابق لقواعد المنطق، متماسك: تفكير منطقي: الذي يفكر بطريقة متماسكة متلائمة مع المنطق.

المنهج Méthode

– في الاصطلاح الفلسفي: سير عقلاني للفكر من أجل الوصول إلى المعرفة Le Savoir أو البرهنة على الحقيقة: «خطاب المنهج» ديكارت Descartes.

– في الاصطلاح العلمي والعملي: مجموعة من الإجراءات والوسائل للوصول إلى نتيجة.

نحو: المناهج العلمية.

– في التعابير اليومية: المنهج هو: صفة فكرية تقوم على معرفة تصنيف وترتيب الأفكار، ومعرفة إنجاز عمل ما بشكل منطقي ومنظم.

– ن –

النحو Grammaire

أ – مجموعة قوانين يتعين اتباعها من أجل تكلم صحيح للسان معين وكتابته كتابة صحيحة.

ب – دراسة وصفية لتصريف لسان معين وتركيبه.

النحو التحويلي Grammaire Transformationnelle

مجموعة القواعد التحويلية: ← أي التي تتعلق بالتحويل أو تستعمله.

النحو التوليدي Grammaire générative

«مجموعة متناهية (تامة) من القواعد تمكن من توليد كل الجمل النحوية Phrases Grammaticales (وهي فقط) للسان معين مع منحها وصفا بنيويا».

الجملة النحوية: هي التي تَتَّبع قواعد النحو والأعراف الدلالية والتداولية: أي مقبولة المعنى.

نسـق **Système**

مجموعة متماسكة من التصورات والأفكار والمبادئ المترابطة منطقيا والمحترمة في تسلسلها.

النـص – المـوازي **Para-texte**

وهو النص الموجز الذي يتقدم الكتاب أو المقال ويكون مفسرا لمضمونه وتوجهاته ومساعدا على معرفة نقطه الأساسية.

النظريـة **Théorie**

أ – معرفة مجردة تأمليـة، مجموعة من الآراء والأفكار حول موضوع خاص.

ب – نسق مفاهيمي منظم بُني عليه تفسير نظام من الظواهر.

النقطـة **Le Point**

علامة ترقيم تسجل نهاية الجملة واستكمال أركانها الأساسية (المسند والمسند إليه...) من الناحية التركيبية، وتكون نبرة الوقف إيذانا صوتيا على انتهاء الجملة. ومنها نقطة النهاية Point Final، ونقط الوقوف (أو علامات الوقف) [...] Points de Suspension ....

نقطـة وفاصلـة **Point-Virgule**

من علامات الترقيم تشير إلى توقف ضئيل، أقل من توقف النقطة؛ وتستعمل في أثناء الجمل المتعلقة الموصولة برابطة أو الطويلة غير الموصولة: (نحو: فاس، عاصمة الثقافة الإسلامية العريقة؛ ...).

– هـ –

هلالان مزدوجان **Guillemets**

(في اللغة الفرنسية تستعمل في الغالب في صيغة الجمع guillemets) من فعل هلل guillemeter (وضع بين هلالين مزدوجين).

وهي علامة طباعية Signe Typographique من علامات الترقيم تتخذ شكلين («...») أو ("...") لها قيمة واحدة. يستعملان لإبراز كلمة أو مجموعة كلمات استشهادية تمثيلية أو تنويهية.

الهيروغليفيـة **Hiéroglyphique**

وهو أقدم خط مصري يتميز بأنه تصويري Idéographique على غرار الخط الصيني. وكان قبل الخطين المصريين القديمين: الهيراطيقي والاديموطيقي. (الكتابة التصويرية هي التي تعتمد على علامات تسجل على العموم رسوما وليست حروفا).

– و –

واضـح ومفهـوم ومعقـول **Intelligible**

* القابل للمعرفة بواسطة الإدراك والفهم الواحد.

* الذي يمكن أن يفهم ويدرك بشكل جلي بصوت عال ومفهوم.

وصفيـة **Descriptive**

اللسانيات الوصفية هي التي تعرض الظواهر الكلامية التي تلاحظها (في تعارضها مع الأنحاء التقليدية ذات الطابع المعياري Normative).

الوضوح، المفهوميـة والمعقوليـة **Intelligibilité**

خاصية ما هو مفهوم وواضح وجلي. وخاصية ما هو معقول أي ما يدرك بالعقل دون الحواس.

فلسفيـا:

* هي خاصية القابل للمعرفة بواسطة الإدراك والفهم الواحد.

* هو خاصية الذي يمكن أن يفهم ويدرك بشكل جلي بصوت عال ومفهوم.

فهرس المصطلحات
بالترتيبين الألفبائيين
العربي والفرنسي

الفرنسي

الفهرس العام

تم الطبع بمطابع أفريقيا الشرق 2014
159 مكرر، شارع يعقوب المنصور، الدار البيضاء
الهاتف: 04 95 25 0522 / 13 98 25 0522
الفاكس: 20 29 25 0522 / 80 00 44 0522
مكتب التصفيف الفني: 39 زنقة علي بن أبي طالب - الدار البيضاء.
الهاتف: 54 / 53 67 29 0522
الفاكس: 72 38 48 0522
البريد الإلكتروني : E-Mail : africorient@yahoo.fr